

طبعة جديدة

وليم شكسبير

مكث

متبوع بـ:

العاصفة



مكتبة الملك فهد الوطنية

01 10 64/07

الايداع القانوني : 1492 - 2007

ردمك : 3 - 574 - 62 - 9961 - 978

© موفم للنشر - الجزائر 2007

مسرحدات شكسبير
مكبث متبوع بـ : العاصفة

الأنيس
السلسلة الأدبية
تحت إشراف مصطفى سواق

صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة
الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007
يُهدى ونوضع في المكتبات ولا يباع

وليم شكسبير

مكبث متبوع بـ : العاصفة

مسرحيات

تقديم : أبو العيد دودو



ماسة الشارقة العربية

من مؤلفات وليم شكسبير

تيتوس أندرونيكوس

روميو وجولييت

تيمون الأثيني

تاجر البندقية

حلم منتصف ليلة صيف

كما تنهواه

ترويلوس وكريسيدا

ضجة فارغة

ريتشارد الثاني

ريتشارد الثالث

أنطونيوس وكليوباترا

كوريولانوس

سيمبلين

بركليس

حكاية الشتاء

الملك هنري الرابع

سيدان من فيرونا

ترويض النمرة

الملك جون

الملك هنري الثامن

تقديم

سبق لي أن تحدثت في مكان آخر عن حياة شكسبير وعصره ومؤلفاته، ولا أرى داعياً إلى العودة إلى الحديث عن ذلك هنا، وقد يكون من المفيد أن نتحدث قليلاً عن أبطاله قبل أن نتناول المسرحيتين بالدرس والتحليل. فلعل المطلع على شكسبير والمتابع لأعماله قد لاحظ أن أبطاله ينتمون إلى الواقع، فهم مثله من أبناء هذه الدنيا، التي تحتضن كل ما لهم من مسرات وأحزان، ومن آمال وتطلعات، ورغبات ونزوات. ولم يكن يهمهم ما يحدث بعد هذه الحياة، وهو ما يبرز لنا الفرق بينه وبين دانتة مثلاً الذي لا يرى الحياة الدنيوية إلا من زاوية الحياة الأخرى، ولذلك لا يني يوجه أنظارهم ومشاعرهم نحوها.

لقد كان شكسبير يعرف ما للثروة من قيمة، وقد كان عصر النهضة نفسه يتطلب ذلك، ومن هنا لم يعر اهتمامه شخصية مثل شخصية فاوست، التي تطمح إلى المعرفة لتتخطى الحدود

المرسومة في طبيعة الإنسان ، ولم يهتم كذلك بأولئك الأبطال ، الذين يناضلون من أجل قضية فكرية أو دينية ويموتون من أجلها . كان هدفه أن يظهر في أعماله كل ما تنطوي عليه أعماق الإنسان الداخلية من شراسة وقسوة ، وهمجية وأنانية ، واستعداد كامل للقيام بأفظع الأعمال من ناحية ، والتضحية بحياته من ناحية أخرى . ولا يسأل نفسه قبل ذلك هل هو عادل في أفعاله أم ظالم ، وهل يجدر به أن يفعل هذا أو ذاك أم لا ، فمثل هذه الأمور كلها ثانوية .

إن دوافع البطل الشكسبيري تنحصر في الطموح ، أو الثأر ، أو حب السلطة ، أو الشهوة وما أشبه ذلك ، فما إن يحس بشيء من ذلك ، حتى يمضي إلى هدفه مسرعاً ويهاجم كما يهاجم الثور الرداء الأحمر ، على حد تعبير كارل بوسه . وهنا يكمن أيضاً الفرق بين أبطاله وأبطال الشعراء الآخرين ، الذين تتقاسمهم نوازع مختلفة مثل الصراع بين الحب والواجب ، وهو ما ينشأ عنه العمل المسرحي . فنحن لا نكاد نعثر على صراع من هذا النوع عند شكسبير ، فليس هناك في مأساة روميو وجولييت حديث عن الضمير ولا عن الحب البنوي ولا عن التفكير في الأمور العملية لحظة واحدة . وفي إمكاننا أن نقول هنا مع كارل بوسه أيضاً أن أبطال شكسبير يعيشون في الجانب الآخر من الخير والشر ، فهم لا يتأثرون بالمفاهيم الأخلاقية والقانونية . ولذلك يبدو البطل أحياناً وكأنه لا يعيش في مجتمع ، بل وكأنه غريب عن العالم ، وهذا هو أمر هاملت وبروتس ، فكلاهما قرأ في الكتب أكثر مما عاش في الحياة

الواقعية، وكلاهما اهتم بالتفكير أكثر مما اهتم بالممارسة، وبما أن لكل منهما بطبيعتها ضميراً حساساً، ووعياً نافذاً، فإنها يفقدان توازنهما عندما يطلب منهما أن يقوموا بعملية من عمليات الاغتيال، إذ لم يسبق لأي منهما أن فكر لحظة واحدة في العنف، وأي تصرف منهما لا بد أن ينبع من أعماقهما الأصلية.

وعلى هذه الصورة يقدم لنا شكسبير شخصيات خالدة، لانعدم أبداً العثور عليها في كل زمان ومكان. فتجده يرافق، بوصفه شاعراً، الرغبات الجامحة بصفة لا تخلو من إعجاب وافتتان، وكأنه يشعر بالعطف عليها كما لو أنها قد اتخذت شكلاً حياً، فيرعى نشأتها ويلازمها حتى تنفجر كالعاصفة بكل ما فيها من بروق ورعود. إلا أن العوامل الخارجية لها هي الأخرى بروقها ورعودها حين تتصارع فيما بينها، ولا تلبث أن تنقل صراعها إلى نفسه، فيجد نفسه مضطراً إلى مقاومتها، ولكنها تنتصر عليه في النهاية وتهلكه، لأنه لم يستطع التوفيق بين إرادته وقدرته أو بين رغباته الجامحة وبين تلك القوى الخارجية.

وهكذا لا تنتهي الفعالية التي يقوم بها البطل المأساوي إلا بالموت، هذا إذا لم يكن الجنون قد وضع له قبل ذلك نهاية ملائمة لما بذله من جهد مفرد. فمثل هذا البطل لا ينجو بحياته عند شكسبير، عكس ما يحدث عند الشاعر الإيطالي تاسو مثلاً، ذلك أن رغبات هذا البطل الجامحة تهاجم الطبيعة الإنسانية بكل ما لها من حواجز وحدود بحيث يصبح الموت أو

الإنتحار هو المخرج الوحيد . وهذا يعود ولا شك إلى طبيعة شكسبير الجريئة ، فهو يقول ما يريد قوله دون خوف أو تردد . ولا بد أن تكون هذه الطبيعة هي التي جعلت فولتير (1694 - 1778) يخلع عليه صفة «السكير الهمجي» ، وجعلت تين (1828 - 1893) يبدي بدوره نحوه مشاعر مماثلة . فهما يفضلان «الأقنعة المثالية» ، التي تظهر بها على وجه ما الشخصيات الملكية عند كورناى وراسبين (1639 - 1699) في مسرحياتهما المختلفة .

لقد اعترف له مختلف النقاد بروعة المزج بين الشخصيات السامية والشخصيات الوضيعة ، وبين الخصائص البطولية والخصائص العادية . وأبطاله يتصرفون تصرفاً طبيعياً ، ويسلكون سلوكاً بشرياً ، فحين يربح أنطونيو المعركة يحتفل بانتصاره ويتناول الشراب حتى الثمل ، وكوريولان يمسح العرق عن جبينه بعد عنائه اليومي ، ولكن بطل راسين لا يعرف شيئاً من هذا القبيل . وقد وفق شكسبير أيضاً في الجمع بين العناصر المثالية والعناصر الواقعية ، ووفق كذلك في الجمع بين المأساة والملهاة وبين الشعر والنثر . فمن مسرحياته ومنها وحدها يبرز أمامنا الإنسان الذي لا نعرف عنه أي شيء تقريباً . ومن المؤكد أن شكسبير كان ، فيما يراه بعض من النقاد ، أكثر الناس جموحاً في عواطفه ونزواته ، وكان بمثابة كرة ما تتقاذها الأهواء العاصفة وضحية أنواع من الانفعالات ، ولكنه كان في الوقت نفسه سيدها ومروضها وصاحبها ، فكان في ذلك أشبه بالحاوي البار ، الذي يعرف كيف يتحكم في ثعابينه وأفاعيه بمجرد أن تبرز رؤوسها من سلتها .

ولا يستغرب أن يكون كل ما قدمته له الحياة وكل ما أخذه منها، وكل ما شعر به وتعذب بسببه، قد انطلق من صدره إلى شخصياته وأبطاله وأخذ يخاطبها بوضوح تام. لقد أحب شكسبير مع روميو، وفكر مع هاملت، وبحث مع تيمون الأثيني عن الوحدة عندما أحس باحتقاره المرير لأبناء البشر، وفاز مع بروسبيرو بالحكمة الحليمة المتساعمة. ولا جرم أن ما وضعه في مسرحياته من خلال أبطاله، الذين يتوفرون على كل ما في الحياة من وفرة وتنوع، أكثر بكثير مما يبدو لنا فيها، مما يجعلنا نود أن نغوص في هذه المسرحية أو تلك بمجرد أن يتردد في مسامعنا إسم بطل من الأبطال.

حين نتحدث عن شخصية مكبث نجدها، كما عبر عن ذلك الناقد الدنمركي جورج برانديس (1842 - 1927) بصورة دقيقة، مناقضة لشخصية هاملت تماماً. فالأمير الدنمركي ذو شخصية مندفعة، ولكنها رقيقة ومفكرة، تبحث في أعماقها الرغبة في الإنتقام الحيرة والقلق والعذاب النفسي، ولكنها لا تشعر بأي ندم بعد أن يتم له الإنتقام من الملك مع أنه كان سبباً في موت أربعة أشخاص قبله. أما مكبث الاسكوتلاندي فهو شخصية أخرى مغايرة، فهو محارب جلف، إلا أنه رجل فعل لا رجل قول، يؤدي مهمته وينجزها بعد فترة قصيرة من التفكير، تكتنفه بعد تنفيذ العملية مباشرة هلوسة، ترتسم على وجهه، وتتردد في سمعه، ثم ينتقل - مترنحاً هائجاً كمن اعتراه الهذيان - من قتل إلى قتل آخر.

وقد استمد شكسبير خامه هذه القصة من مصدر مهم، قد يكون هو الوحيد، وهو كتاب هولنشييد «تاريخ إنجلترا واسكوتلاندا وإيرلندا»، وكان شكسبير قد اعتمد عليه أيضاً في كتابة مسرحياته التاريخية. ويتضمن هذا الكتاب خلاصة مركزة للأحداث التاريخية، التي وقعت في عهد الملك مكبث (1040 - 1057)، وهو ملك أسطوري أكثر مما هو تاريخي، في فترة لا تكاد تتجاوز ثلاثة أشهر. وقد احتفظ شكسبير بالخط الرئيسي للقصة كما وردت في هذا الكتاب، وهي نفسها التي سترد عند تقديم خلاصة موجزة للمسرحية، إلا أن شكسبير جعل من بانكو، الذي قدمه لنا هو لنشيد على أنه شريك لمكبث في إراقة الدماء، شخصية تختلف عن شخصية مكبث رغم أن بانكو تعرض للإغراءات نفسها التي تعرض لها مكبث، ولم يجرده هكذا من ولائه للملك.

وهذا التغيير، الذي أدخله شكسبير على القصة، جعل من مكبث مركز الأحداث من جهة، وجعل من القصة نفسها إقراراً بشرعية الملك يعقوب الأول، وهو من أسرة ستيوارت، من جهة أخرى. ذلك أن بانكو يعتبر من الناحية التاريخية جداً لهذا الملك. ولا شك أن القيمة التي أعطاها شكسبير للساحرات الثلاث في المشهد الأول من الفصل الأول وفي المشهد الأول من الفصل الرابع تعتبر على نحو ما تنوياً باهتمامات الملك يعقوب الأول الذي كان قد وضع كتاباً عن «علم الأبلسيات (1597)» وكان مؤمناً بالسحر والسحرة. ويذكر مؤرخو الأدب أن مسرحية «مكبث» قد كتبت عام

1606 ، ولكنها لم تنشر إلا عام 1622 نقلاً عن نسخة الملحن التي لحقها الكثير من الفساد، وهي أقصر مسرحيات شكسبير باستثناء «ملهاة الأخطاء» التي لا تصل أبياتها ألفين، وهناك من يعتبرها أيضاً أكثرها كمالاً من الناحية الفنية. ومن الجائز أن تكون قد اختصرت من أجل عرضها على المسرح، وكان الإهتمام باسكوتلاندا قد بدأ عندما توج الملك يعقوب الأول (1604)، ومن أجل ذلك نقلنا المؤلف إلى المروج والقلاع الاسكوتلاندية في وطن الملك الجديد.

وتبدأ المسرحية بشيء من الرعب، أو الخوف على أقل تقدير، وبالدم، فالمشاهد يشعر بالرهبة عندما تطالعه الساحرات الثلاث في المشهد الأول، وهن يجسمن - على الأغلب - أفكار مكبث الطموحة، ولكن ظهورهن قد لا يعد مجرد تجسيد للقوى الروحية، وإنما يعتبر في المسرحية واقعاً فعلياً، وما ينتبأن به غامض وحتمي غموض وحتمية ما كانت تتنبأ به بيثيا في المأساة القديمة. فهن يتنبأنه بمصيره، ويرشدنه إلى الغواية، ولعلهن كن يسخرن منه فوق ذلك. وبعد هذا الرعب أو الخوف يتصور المشاهد الدم، وكأن شكسبير يعده لما هو مقبل عليه من مشاهد خيفة، حين يهتف دانكن: ما هذا الرجل الملطخ بالدم! ومن هنا يبدأ الحديث عن الدم الذي لا يلبث أن يتشعب ويتفرع وينتهي بالدم، والأحداث المختلفة نفسها تتسم في الأيام الغائمة وفي الليالي المظلمة.

لقد أخبرته الساحرات الثلاث بأنه سيكون سيداً ونبياً وملكاً في النهاية، كما أخبرت زميله بانكو بأنه سيكون له أبناء

ملوك. وما إن اختفت الساحرات الثلاث، حتى شعر مكبث بالحسد، لأن ما وعدنه به لم يرض ما في نفسه من طموح، فقد صعب عليه أن يكون أبناء القائد بانكو ملوكاً وألا يكون له هو ورثة لعرشه. وخاطب زميله قائلاً: «أبناؤك سيصبحون ملوكاً!» وفهم بانكو ما دار في خلده، فأجابه: «وأنت ستصبح ملكاً!» وعرف مكبث منذ تلك اللحظة أن له منافساً خطيراً يهدده بذريته. وحين يخبره الرسول بعد حين بأنه قد أصبح أمير كودور، يلتفت من جديد إلى بانكو ويسأله، وكان لسؤاله ما يبرره، فقد تحقت نبؤتان، السيادة والإمارة، مستدرجاً أياه: «ألا تأمل أن يصبح أبناؤك ملوكاً حين تجد أن اللواتي منحني إمارة كودور قد وعدنهم بالملك؟» على أن بانكو ليس له مثل هذا الطموح ولا يصدق ما تنبأت به الساحرات. وعندما يعرف مكبث أن الملك دانكن قد عين ابنه مالكولم أميراً لكمبرلاند، يخاطب نفسه قائلاً: «تلك عتبة أخرى علي أن أكبو عليها أو أظفر فوقها في طريقي!»

ويبدأ مكبث حديثه مع نفسه عن الخير والشر، ومع هذا الحديث ينشأ الصراع في أعماقه. ويكتب رسالة إلى زوجته، يخبرها فيها بإمارته، ويخاطبها بعبارة «يا أعز رفيقة لي في العظمة!» وزوجته ليست في بداية الأمر ممن يعانون من مثل هذا الصراع النفسي، لذلك تعلق على الرسالة قائلة: «ستكون ما وعدت به، ولكنني لست مطمئنة إلى طبعك، فهو أملاً مما ينبغي بحليب الإنسانية.. أنت تريد العظمة، ولست خالياً من الطموح، إلا أنك خال من الشر الذي لا بد أن

يصحبه . . . أسرع إلي ، فأصب حيويتي في أذنك ، وأطرد بجرأة لساني كل ما يحول بينك وبين التاج الذهبي . » وتشرع في الحين في نسج خيوط المؤامرة قبل أن يصل إليها زوجها ، فالملك - بناء على ما أخبرها به بعض الرسل - قد وصل لينزل في ضيافتها وضيافة زوجها مكبث . وراحت السيدة تتصور المستقبل مُلكاً وتاجاً رفيعاً ، يرضي قبل كل شيء ما لها هي من تطلع وطموح عنيف .

ووضعت نفسها بذلك في خدمة أهواء زوجها الشريرة ، وأرشدته إلى المناسبة التي تمكنه من قتل ملكه ، الذي يثق به الثقة المطلقة ، فقتل الملك دانكن في بيته ، وأجهز عليه وهو نائم نومه الهادئ ، كما أجهز على الرجلين اللذين كانا قائمين على حراسته ، ولطخنها بالدم حتى يلصق بهما الجريمة دون أن يستطيعا الدفاع عن نفسيهما . وكان اغتياله للملك بمثابة انتهاء حياته السوية ، وهذا ما عبر عنه فيما بعد بقوله : « لو أنني مت بعد هذا الطارئ بساعة ، لكنت قد عشت زماناً مباركاً ، فمنذ هذه اللحظة لم يبق ما هو جاد في المصير البشري . كل شيء ألهية ، فقد مضى علو السمعة ، وانتهى الجمال ، ونفدت خمرة الحياة ، ولم يتبق منها غير الحثالة ! »

واعتلى مكبث العرش ، الذي كانت أفكاره تدور حوله منذ زمن طويل حتى قبل أن تتبأ الساحرات له بذلك ، فقد كان في أعماقه يعتبر نفسه أجدر به من الملك ، فالقصة الأصلية تجعله يُمْتُّ إليه بنسب . ولكن اعتلاءه العرش لم يكن ضماناً تطمئن إليه نفسه ، فما زال هناك بانكو ، فقد أصبح التخلص

منه ضرورة بعد فرار إبني الملك ، مالكولم إلى انجلترا ودونالين إلى إيرلاندا . فأرسل إليه من يغتاله في الطريق هو وابنه فليانس ، فيتمكن القتلة من اغتياله فعلاً ، ولكن ابنه ينجو منهم . وفراره هذا يسبب لروحه إرهاباً جديداً ، ولضميره عذاباً متواصلاً . إنه لم يقتل الملك وزميله بانكو فقط ، وإنما قتل معها أيضاً راحة نفسه ونوم ليله الهاديء وصفاء نظرتة المطمئنة . فها هي الصور المرعبة تهاجمه من كل الجهات ، وها هو شبح بانكو القتيل يظهر أمامه ، ويحول مرتين إثنين بينه وبين الجلوس فوق كرسيه أثناء الحفلة التي أقامها لكبار دولته ، ويرغمه على الاعتراف بفعلته أمامهم ، ولكن زوجته تعتذر لهم متذرعة بمرضه وبنوبة تعثره منذ شبابه ، وفي النهاية تضطر إلى صرفهم ، ولعل خوفه هو الذي جعله يتصور هذا الشبح الذي راح يتحداه في سخرية .

ويحاول مكبث عبثاً التخلص من هذا الخوف ، الذي يأكل جوانحه ، والقلق الذي يمزق أعماق نفسه ، ويسعى إلى دفنه في أعمال دموية أخرى . فيفكر في قتل النبيل مكدف ويقول : « لا بد لمصرعه من دم . . الدم يطلب الدم . » وقرر أن يذهب لاستشارة الساحرات ، فقد أصبح من الضروري معرفة أسوأ الأمور بأسوأ الوسائل . ذلك أنه خطا في الدم خطوات بعيدة ، وإن تخلّى عن الدم ، فإن تخليه عنه سيكون مؤلماً له مثل المضي فيه بضراوة . وكل ما في رأسه من أمور غريبة يجب أن ينتقل إلى يده . فهذه اليد لم يعد لها ما يجعل الحركة البهيجة تدب فيها غير سفك الدماء .

وتحذره الساحرات من مكدف، أمير فايف، عدوه الذي بدأ يحسب له ألف حساب، ويطلبن منه أن يكون دموياً جسوراً، يسخر مما للإنسان من قوة، فما من وليد لامرأة يستطيع أن يلحق به الأذى، ويؤكدن له أنه لن يقهر أبداً حتى تزحف عليه غابة بيرنام العظيمة وتصل إلى قلعة دنسينان العالية، ولكنهن يرفضن الإجابة عن سؤاله عما إذا كانت ذرية بانكو ستحكم المملكة في فترة متأخرة. ويرسل من يقتل مكدف، غير أنه يفلت منه بدوره ويفر إلى انجلترا، وحين يخبر بفراره يهتف قائلاً: «سأفاجيء قلعة مكدف وأستولي على فايف وأقدم لحد السيف زوجته وأطفاله وكل روح شقية هي من صلبه!» ويقضي على أسرته كلها فعلاً ويذبح أفرادها ذبحاً. ولم يعد في حاجة إلى تشجيع زوجته، بل هي نفسها لن تعد قادرة على ذلك، فقد انتقلت إليها عدوى الخوف والقلق والعذاب، التي كان يعاني منها هو قبل ذلك، فانهارت أعصابها إنهاراً كاملاً، وأصبحت تسير وهي نائمة، تمسح يديها مما علق بهما من دم غير مرئي وتقول.. ما زالت هنا رائحة الدم. إن عطور بلاد العرب كلها لن تطيب هذه اليد الصغيرة. آه، آه، وآه!

وعندما سمع بخروج الانجليز مع من انضم إليهم من الاسكوتلانديين لمحاربته، يشرع في الاستعداد للحرب، فهو لا يخشى الجحيم، ولا نار الحرب، إذ أصبح جامد الحس، ميت العاطفة، حتى اللغة التي كان يستعملها تخلت عن تلك الصور البديعة التي كانت انفعالات النفسية تثيرها قبل ذلك.

لقد صار كل شيء فيه بارداً آلياً لا نفع فيه ، وهو الذي قال عن نفسه : «مَرَّ بي زمن كانت حواسي فيه تجمد ، إن أنا سمعت زعقة في الليل ، وكانت فروة رأسي عند سماعي قصة مرعبة تثار وتتحرك وكأن فيها حياة . » وزاد من شجاعته إيمانه بأن غابة دنسينان لن تتحرك لتصل القلعة وأنه لن يقتله رجل ولدته امرأة أو يتغلب عليه . ولم يفكر فيما فكرت فيه زرقاء اليمامة حين رأت الأشجار تتحرك بمن وراءها من جنود ، وهو ما هو هنا فعلاً .

وعندما تتأكد الأخبار ، التي ستعصف به وبملكه ، لا يعيرها إهتماماً لما له من حصانة سحرية ، ويؤكد لنفسه أنه سيقا تل إلى أن يجرد لحمه عن عظمه . وهي كلمة تذكر بكلمة شبيهة بها ، قالها الطاغية رتشارد الثالث : «لقد انغمست في الدماء ، ولا بد أن تدفع الخطيئة إلى الخطيئة ، ولا مكان لدموع الرحمة في عيني . » ورغم اعتداده بنفسه يشعر أن لا أمل له في المستقبل ، ويبدأ في النظر إلى الحياة نظرة عدمية ، فما الحياة عنده سوى حكاية ، يحكيها معتوه ، ملؤها الصخب والعنف ولا تعني أي شيء . وحين يخبر بموت زوجته وهو في أرض المعركة يكتفي بالقول . . لقد كان أولى بها أن تموت فيما بعد ، حتى يكون ثمة وقت لكلمة من هذا النوع . ويبدو من هذا كأن «رفيقته في العظمة» لم يعد لها معنى محدد كحياته نفسها .

إن الغابة تتحرك ، ولم يبق له ثمة مهرب ولا مكوث كذلك ، وقد بدأ يسأم الشمس ويود من أعماق نفسه المعذبة أن يتحطم هيكل الكون كله وينتهي بصورة أبدية . وقد حتم عليه

الآن أن يقاتل في أرض المعركة كالدب حتى نهاية الجولة .
 ويتساءل عن ذلك الذي لم تلده امرأة . . . فهو المحارب
 الوحيد الذي يجب عليه أن يهابه . ويقاقل ويقاقل ، وفي
 النهاية يلتحم مع مكدف في معركة ، تزداد حدة باستمرار ،
 وهو يفخر عليه بحصانته ، على أن مكدف يفاجئه بأنه ذلك
 الرجل الذي لم تلده أمه ولادة ، وإنما انتزع من رحمها إنتزاعاً قبل
 الأوان . وعندئذ فهم مكبث ما كان خافياً وما لم يكن يفهم
 معناه على حقيقته ، فلم يستطع الصمود أمام هذا المنزوع من
 رحم أمه فقتل وصدقت فيه نبوءة الساحرات صدقاً كاملاً من
 البداية إلى النهاية .

هذا وقد أشار بول دوتان إلى أن مكبث رجل كان من
 السهل عليه أن يصبح إنساناً ، يتمتع بالفضيلة والتقوى
 والصلاح ، ولكن القدر تأمر عليه حين سلط عليه الساحرات
 من جهة ، وامرأة لا حد لطموحها من جهة أخرى . فكان
 بذلك بطلاً مأساوياً ، ارتكب أخطاء جعلت الشر يتمكن من
 نفسه ، فلم يجد بداً من الاستمرار فيه حتى يصل النهاية
 المأساوية ، التي يستلزمها الطموح المفرط إلى أبعد حدود
 الإفراط . ولعل ضميره المثقل بالجرائم ، ومنها جريمة قتل
 الأطفال الصغار ، هو الذي أفقده صموده أمام مكدف ،
 فاستسلم له ، خاصة وأن مكدف كانت تدفعه مشاعر الأبوة
 إلى الإنتقام منه ، فذبحه كما ذبح مكبث صغاره ، والإنتقام
 عنده صورة من صور إقامة العدل وإعادة الأمور إلى نصابها .

ومع ذلك يبقى مكبث قمة من قمم شكسبير الرفيعة ومن أكثرها شموخاً وعمقاً وأصاله.

ونتحدث الآن عن مسرحية «العاصفة»، التي لها أهمية خاصة بالنسبة إلى الأحداث التي سجلها التاريخ في ذلك الحين. فمؤرخو الأدب يعتقدون أن شكسبير كتب هذه المسرحية بوحى من العاصفة، التي شتت الأسطول الذي هرع آنثذ من انجلترا لمساعدة مستوطنة فرجينيا، فحوصرت سفينة منه بين صخرتين، كانت العاصفة قد دفعتها نحوهما، إلا أن ركبها استطاعوا الوصول إلى شاطئ الأمان، وأفلحوا في إنقاذ قسم كبير من حمولة السفينة، وكان ذلك في جزيرة من جزر برمودا المعروفة. ويشير بعض الباحثين إلى مصدر آخر، وهو كتاب ر. آيدن «تاريخ الأسفار». وما يدل على إطلاع شكسبير على هذا المصدر وجود أسماء فرديناند وسيباستيان وألونزو وغونزالي (غونزالو).

على أن النقاد الألمان يعتقدون أن هناك علاقة بين قصة العاصفة وبين قصة ياكوب آير (1540 - 1605)، التي عنوانها «ملهاة الجميلة سيديا وما جرى لها إلى أن تزوجت». فبعد أن خسر الملك رودولف معركته مع الأمير لويد غاست، وجد نفسه مرغماً على مغادرة إمارته، وخرج يحجب الغابة مع ابنته الوحيدة لا يهتدي إلى سبيل، وهو لا يفكر إلا في الانتقام، وكان الشيطان رونسيغان يقوم على خدمته. وعندما يخرج لويد غاست للصيد في الغابة، يتمكن الأمير رودولف من أسر ابنه انغلبريخت، فيأخذه معه ويتخذه عبداً، ولكن ابنته تشعر

بالشفقة على الأمير الأسير، بل تقع في حبه، ويفران معاً إلى قصر لويدغاست ليعقدا قرانهما. وعندها يحتد غضب الأمير رودولف ويرسل عبده الغريب الخلقة يان موليتور للبحث عنها. ويصل إنغلبريخت بمفرده إلى قصر والده، لأنه كان قد ترك حبيبته في مكان آخر على أن يعود بعدئذ لمرافقتها إلى القصر، إلا أن ظروفًا من نوع آخر كانت في إنتظاره. ذلك أن أباه كان يريد إرغامه على الزواج من فتاة بولونية، كان قد اختار لها بنفسه. وهكذا لا يجتمع الحبيبان في النهاية إلا بتدخل قوى غير طبيعية، ويتصالح الأميران عندما يتم زواج إبنيهما.

ومسرحية «العاصفة» هي آخر مسرحية كتبها شكسبير، وقد تكون ما قبل الأخيرة، ويرى بعض الباحثين أنه ودع بها المسرح. وفحواها أن برسبيرو، دوق ميلانو، كان يحب في دنياه شخصين إثنين، إبنته الصغيرة في الدرجة الأولى ويليها أخوه أنطونيو، غير أن أخاه هذا يسلبه عرشه ويطرده من إمارته بمساعدة ملك نابولي، ويركبه سفينة بحرية تمخر به نحو جزيرة مهجورة، ولم يأخذ معه سوى ألبسة ومواد وأشياء ضرورية، منها كتبه التي كانت أعز عليه من دوقيته، زوده بها النبيل غونزالو، الذي كان يعرف مدى حبه لها. وكان اهتمامه بكتبه، واتكاله على أخيه، وثقته بالناس سبباً في إضاعته لدوقيته.

واستطاع برسبيرو بفنونه السحرية أن يكون سيد تلك الجزيرة، ويقوم على خدمته فيها - بصفته ممارساً للسحر - الروح الهوائي اللطيف آريل، الذي يستجيب لأوامر سيده،

وينفذ كل ما يطلبه منه ، والعبد المسوخ كاليان الغليظ اللفظ الذي يخرج من جوفه زجرات غريزية صماء ، وكله قسوة وخبث وجهل وكسل وشره ورغبة جنسية قوية ، ولعل شكسبير استمد صورته من مقال «عن أكلة لحوم البشر» كان قد نشر عام 1603 . وكاليان هذا ابن الساحرة الجزائرية سيكوراكس ، وهي ساحرة قوية تستطيع أن تتحكم في القمر وتسبب المد والجزر ، وكانت قد طردت من الجزائر بسبب أعمالها السحرية ، التي لا تتحمل سماعتها - لروعتها - أذن بشرية ، فاعتبرت لذلك غير أهل للمجتمع الإنساني ، واستوطنت هذه الجزيرة . وعندما ماتت ، تركت ابنها مع خادمها آريل ، الذي كان أرق من أن ينفذ أوامرها الأرضية الكريهة ، فحبسته في صنوبرة مشقوقة ، أخرجه منها بروسبيرو بعد إثنتي عشرة سنة .

عاش بروسبيرو مع ابنته ، التي حملت في طفولتها إلى هذه الجزيرة ولم تر في حياتها رجلاً غير أبيها ، إثنتي عشرة سنة أيضاً في الجزيرة . وذات يوم ظهر له أن يثير بفنونه السحرية عاصفة ، فحطمت سفينة ، نجا ركبها من الغرق ووصلوا إلى نفس الجزيرة . وكان من بين ركاب السفينة ملك نابولي ، وإبنة فرديناند ، وأخوه سيباستيان ، وأنطونيو ، أخو بروسبيرو ، والعجوز غونزالو . وقد ظهر لبروسبيرو أن يعاقب الآن أعداءه القدامى بمساعدة آريل . وكان ملك نابولي يعتقد أن إبنة فرديناند قد غرق ، فراح يطوف الجزيرة دون هدف ، فينيمه بروسبيرو نوماً عميقاً . ولم يكن ابن الملك قد غرق في الحقيقة ، لأنه كان قد قفز إلى الماء عندما ثارت العاصفة ، وهو يصيح :

«جهنم خويت ، وكل الشياطين هاهنا» واستطاع أن ينجو من الفرق .

وعندئذ تبدأ المؤامرات بين من طوحت بهم العاصفة إلى الجزيرة ، فأنطونيو ، أخو بروسبيرو ، يريد أن يقنع سيباستيان ، أخا ملك نابولي ، بقتل الملك وهو غارق في النوم ، بينما يريد هو نفسه القضاء على غونزالو ، ولكن آريل ينبه غونزالو إلى المؤامرة التي تحاك ضده وضد الملك ، فيبطل المؤامرة . أما كاليبان ، الذي انضم إليه الملاح ترينكو والسكير الأبدي ستيفانو ، فيرفض أن يظل على خضوعه لطاغية ساحر ، وهو بروسبيرو ، انتزع منه الجزيرة بخداعه وحيله ، ولذلك يدبر هو الآخر مؤامرة لاغتيال سيده ، ويقول لأحد رفاقه بصدد ذلك : «عليك أولاً أن تأخذ منه كتبه ، فهو بدونها مجرد سكير مثلي ، لا يستطيع أن يصدر أمراً لروح واحدة .»

وكان فرديناند قد وصل في أثناء ذلك إلى مغارة بروسبيرو ، ووقع من أول نظرة في حب ميراندا ، إبنته ، وأحبته هي الأخرى ، فقد سرها أبلغ السرور أن تجد رجلاً غير أبيها تركز إليه . وبعد اختبارات عديدة لفرديناند ، قرر بروسبيرو أن يسمح له بالزواج من إبنته . واستطاع الملك بروسبيرو بمساعدة آريل أن يحول دون تنفيذ المؤامرة ، التي دبرها كاليبان ومن معه من رفاق السوء . ويصل ركاب السفينة إلى مغارة بروسبيرو ، وهم في حالة قريبة من الجنون ، وحين وجدوا أنفسهم هناك تصوروا أن الملك سينقم منهم أفضع إنتقام ، ولا سيما بعد أن ذكرهم آريل بأنهم ثلاثتهم قد اقتلعوا الملك من

ميلانو، وعرضوه لبحر هو وطفلته البريئة، فجازاهم البحر على ذلك.

على أن بروسبيرو يشفق عليهم عندما يرى ما وصل إليه أمرهم، فقد أدرك أن العمل الأكثر ندرة يتمثل في الفضيلة لا في الإنتقام، وما داموا قد ندموا على ذلك، فإن غايته لا تطمح إلى أكثر من الندم. ويأمر آريل بإطلاق سراحهم، لأنه ينوي أن يخفي رقا، ويعيد إليهم رشدهم، فيثوبوا إلى أنفسهم. فيعبر ملك نابولي عن ندمه بقوله: «هاأنذا أعيد إليك دوقيتك، وأتوسل إليك أن تغفر لي ما صدر عني من عمل لم يكن بي لائقاً». ويتوجه الملك إلى أخيه أنطونيو. ليقول له: «أما أنت، يا أخبث السادة - لودعوتك بأخي لأصيب حتى فمي بعدوى - فإنني أغفر لك أشنع سيئاتك كلها وأطالبك بدوقيتي، التي أعلم أنك ستعيدها إلي مجبراً».

وهنا يطرح غوانزالو سؤالاً، يعيد إلى أذهاننا بعض ما حدث في مكبث، ويتصل بها إذا كان قد نفي صاحب ميلانو من مدينته ليصبح أحفاده ملوك نابولي؟ ويعترف بروسبيرو في النهاية بقوة الحقيقة، فيقول: «لقد رميت الآن رقاى السحرية، وما بي من قوة سوى قوتي أنا وما أوهنها من قوة». ثم يضيف إلى ذلك قوله: «سأعود بنفسي إلى ميلانو، حيث سيكون كل خاطر ثالث في بالي هو موتي». ولعل هذه الكلمة الأخيرة تُعبر عن اعتقاده بأن نهايته - بعد كل هذا المنفى - لم تعد بعيدة.

ويرى بعض النقاد أن لتحديد كتابة هذه المسرحية بتاريخ معين أهمية كبيرة فيما يتصل بسيرة الشاعر الذاتية . فإذا كان تاريخ كتابتها يعود إلى عام 1610 أو 1611 ، فإنه من الضروري عندئذ أن نلحقها بالمجموعة المتكونة من «حكاية الشتاء» و «سيمبلين» ، التي خفت فيها حدة التشاؤم وما يترتب عليه من فلسفة سوداء ، تميزت بها مسرحية هاملت والملك لير وعطيل ومكبث وتيمون الاثيني . ففي مسرحية العاصفة إتجاه واضح نحو التفاؤل والثقة بالمستقبل . وهناك كذلك من يرى في شخصية بروسبيرو ، الذي يكسر عصاه السحرية ويرمي بكتاباته في البحر - يرى فيها صورة شكسبير الذي تخلى عن الخلق الشعري وأحال نفسه على التقاعد . فقد أصبح مسرحه قديماً بعد أن وصلت المخترعات الإيطالية من ستار وكواليس ومشاهد وآلات إيهامية إلى بلاط يعقوب الأول ، فانتقل بذلك الدور إلى بن جونسون ، منافس شكسبير ، ليخضع مسرحياته للتجهيزات الفنية الجديدة .

تقع الجزيرة المسحورة جغرافياً فيما بين تونس و نابولي ، أما فكرياً فهي ليست من هذا العالم ، إن هي إلا جزيرة خيالية وبلد مثالي ، يصلح أن يكون مكاناً لتجربة فكرية . وقد تساءل أحد النقاد تساؤلاً مشروعاً ، وهو ماذا سيحدث يا ترى لو أتيح لإنسان مفكر أن يسيطر على جزيرة من هذا النوع؟ فبروسبيرو هو سيدها وكل ما يحدث فيها ، كيفما كانت طبيعته ، هو المتسبب فيه أو هو قادر على أن يحوله إلى الشكل الذي يريده هو نفسه . وبروسبيرو لم يستمد قوته هذه من الطبيعة ، وإنما

استمدتها من الكتب ، وأخذها من مكتبته الخاصة ، ذلك أنه مثقف ، وليس لأقوياء هذه الأرض إلا أن يصابوا بالإغماء في ميدان حكمه . لقد أصبح بفضل روحه الهوائي آريل سيد العناصر ، وآريل هذا لا ينتمي هو والأرواح التي تخدمه إلى الشياطين الطبيعية ، التي سيطرت مثلاً على مسرحية « حلم ليلة صيف » ، وإنما هو روح من روح بروسبيرو ، روح صاف يسود الطبيعة الشيطانية . وهذه صورة من صورته فقط ، فهو عند كولريديج يمثل الخيال الحر ، وعند هازلت يمثل الروح في مقابل المادة ، وعند شليغل يمثل الهواء الخفيف في مقابل العنصر الثقيل ، أي الأرض . وهكذا تبدع العبقرية ، كما يقول دوتان ، شخصيات يفسرها كل عصر من العصور على نحو خاص به وحده .

لقد تخلى بروسبيرو إذن عن أعماله السحرية ، وسافر إلى ميلانو ، وتخلي شكسبير عن عمله وسافر إلى ستراتفورد . لقد سحر مرة أخرى ولعب حيناً مع آريل ، الروح ، وحيناً آخر مع كاليبان ، الوحش ، وخلق عالماً شبيهاً بعالمنا ، ولم يستطع تحريره بطبيعة الحال إلا عن طريق الخرافة - تطهير العالم لا يتم إلا بواسطة السحر . وما أبعده منالاً! وقد يكون هذا هو ما جعل شكسبير يودع الدنيا ببسمة ساخرة ونظرة حزينة . . من خلال هذه المسرحية . فبعد ابتعاده عن الإبداع بستين احترق ، مسرح غلوب «الذي قدمت فوقه مسرحياته ، ومات هو بعد ثلاث سنوات . وبعد عشرين سنة وضع كالدرون ، الكاتب المسرحي الإسباني (1600 - 1681) ، السلطة في يد أحد

الأقوياء، لا يستعملها هو الآخر في الإنتقام. ويكتب كالدرن أبياتاً من الشعر، تعيد إلى أذهاننا ما ذهب إليه بروسبيرو: «نحن من المادة من نفسها، نحن من الأحلام، والنوم يحيط بهذه الحياة الصغيرة.» وهذا الرأي نفسه عبر عنه سوفوكليس في أجاكس بقوله: «لسنا أكثر من أحلام، وما حياتنا إلا ظل عابر.»

ويرى باول أرنولد أن الحدث الجوهري في مسرحية العاصفة يتمثل في صراع طبقة من الملائكة مع أحفاد الشياطين، فكل فرقة يقودها ساحر، ساحر أبيض يقودها إلى الجهة اليمنى، وساحر أسود يقودها إلى الجهة اليسرى - أرواح من «شجرة الحياة» (القداسة) وأرواح من «شجرة الخير والشر» (النزوات الشهوانية)، وفي غمرة الأحداث المثيرة إلى نهاية العالم يتتصر ملك الحياة على سلالة الخنازير والغربان، على سيكوراكس، ملك الموت. والزواج الشرعي القائم على أسس فكرية إنما هو الإعلان الأرضي عن شجرة الحياة. أما اللذة فهي الثمرة، التي تحاول أرواح الخير والشر النفاذ منها إلى العالم الظاهري حاملة إليه الفساد الأبدي.

ولا غرو أن في وسعنا أن نعتبر بروسبيرو روح شكسبير، فهو قوة قلمه، وقوة فكره، وقوة وجدانه، هو هذه القوى الثلاث، التي بشرت بإنسانية جديدة، لم تعرف النهضة مثلها قبل ذلك. وما النهاية السعيدة بالنسبة لجميع شخصيات المسرحية إلا رمز لتلك السعادة، التي تركها شكسبير لكل من يقرأ

ويجب ويفكر في هذه : الحياة بما فيها من قمم وانحدارات لا
تفصل عن الطبيعة واقعاً ووجداناً وفكراً غير محدود .

أبو الغيد دودو

هوامش :

- 1- أنظر هاملت وعطيل ، في سلسلة «الأنيس» .
- 2- أنظر مقدمة هاملت وعطيل في سلسلة «الأنيس» .

المصادر:

هذه هي المصادر المعتمدة في كتابة المقدمة :

أ - المصادر العربية والمترجمة :

1 - إيفانس ، إيفور ، موجز تاريخ الأدب الانجليزي ، ت
السكري ، القاهرة ، 1960 .

2- برادلي ، ا. س . التراجيديا الشكسبيرية ، ت حنا
إلياس ، القاهرة ؟

3 - خلوصي ، صفا ، دراسات في الأدب المقارن والمذاهب
الأدبية ، بغداد ، 1958 .

4- دوتان ، بول ، الأدب الانجليزي ، القاهرة 1948 .

5- العقاد ، عباس محمود ، التعريف بشكسبير ، القاهرة ؟

6- عوض ، لويس ، البحث عن شكسبير ، القاهرة ،
1968 .

7 - كوت ، يان ، شكسبير معاصرنا ، ت جبرا ، بغداد ،
1979 .

ب - المصادر الألمانية :

(1) Busse, Carl, Geschichte der Weltliteratur, 2 Bde. Leipzig 1910

(2) Hensel, Goerg, Spielplan, 2 Bde. Berlin 1966

(3) Kindlers Literatur Lexikon, 25 Bde. Zürich 1974

(4) Mann, Otto, Geschichte des deutschen Dramas, Stuttgart
1963

ج - المصادر الانجليزية :

(1) Smith, D. Nichol, Shakespeare Criticism, London 1961

(2) White Anne Terry, Shakespeare and the Globe Theater,
New York 1955

د - المصادر الفرنسية :

- (1) Dalatre, F. , les chansons Eléizabethaines, Paris 1948
- (2) Shakespeare en france, Etudes Anglaises, Paris 1960
- (3) Shakespeare ,Wiliam, la Tempete, Text et Trad. J. Aynard, Paris 1947
- (4) Shakespcare W. Mackbet, Text et Trad. M.Castelain, Paris 1937
- (5) Shakespcare, La Tempete, Text et Trad. J. Aynard, Paris 1947

مکبث

أشخاص المسرحية

Duncan	دنكن ، ملك اسكوتلنده
Donalbain	{ دونالدين مالكولم
Malcolm	
Macbeth	{ مكبث بانكوو
Banquo	
Macduff	{ مكدف لينوكس روص منثيث آنفس كاثنيس
Lennox	
Ross	
Menteith	
Angus	
Caithness	
Fleance	فليانس ، ابن بانكوو
Siward	سيوارد ، ايرل نورثمبرلاند ، قائد القوات الإنكليزية .
Siward Young	سيوارد الابن .
Seyton	سيتون ، ضابط مرافق لمكبث .

Boy, Son to Macduff

صبي ، ابن مكدف .

A Porter

بوّاب .

A Captain

رائد

An English Doctor

طبيب إنكليزي .

A Scottish Doctor

طبيب اسكوتلندي .

An Old Man

شيخ .

Lady Macbeth

ليدي مكبث .

Lady Macduff

ليدي مكدف .

A Gentlewoman

وصيفة ، ترافق ليدي مكبث .

The Weird Sisters

أخوات القدر ، ثلاث ساحرات .

Three Witches

ثلاث ساحرات .

Hecate

هكاته ، ربة الساحرات .

The Ghost of Banquo

شبح بانكوو .

Apparitions

أطياف .

لوردات ، سادة ، ضباط ، جنود ، قتلة ،

مرافقون ، رُسل .

الفصل الأول

المشهد الأول مكان في العراء

(رعد وبرق . تدخل ساحرات ثلاث (1)).

ساحرة 1: متى نلتقي ثانية نحن الثلاث
في رعود وبروق وأمطار كاللهاث؟

ساحرة 2: حين يكف الهرج والمرج رعباً
ويمسي القتال خسراناً وكسباً.

ساحرة 3: ذلك قبل مغيب الشمس حاصل .
ساحرة 1: أما المكان؟

ساحرة 2: ففي القفراء مائل .

ساحرة 3: حيث نلتقي بمكبث .

ساحرة 1: قطتي الشهباء ، ليك! (2)

ساحرة 2: علجومتني تنادي!

ساحرة 3: ليك ، ليك!

الثلاث معاً: الجميل هو الدميم ، والدميم هو الجميل على الدوام
فهيّا حمّوا في حلقة من ضباب وقتام .

(يخرجن)

المشهد الثاني

معسكر

(نفير من الداخل . يدخل الملك دنكن ، مالكولم ، دونالسين ،

لينوكس ، مع مرافقين ، ويلتقون برائد جريح يتزف .)

دنكن : ما ذاك الرجل المخرج بالدم⁽³⁾ ؟ بوسعه إخبارنا .

كما يبدو من سوء حاله ، بأحدث

مراحل العصيان .

مالكولم : هذا هو الضابط الذي

قاوم الأسر ، كما هو قمين

بالجندي الباسل الصلب . مرحباً بالضيف الشجاع !

أذل للملك بما تعرف عن المعمة

كما كانت حين تركتها .

الرائد : لقد ظلت بين بين :

كسباً حين منهكين يتشبث كلاهما بالآخر

فيخنقان فنها . والجائر مكذبونالد

(وما أجدره بالتمرد ، إذ لتلك الغاية .

راحت نذالات الطبيعة المتكاثرة

تَنُغَلْ عَلَيْهِ) من جزر الغرب يأتيه
 مَدَدٌ من المشاة والخيالة ،
 وربة الحظ ابتسمت لعصيانه اللعين
 وبانت كبغي تهوى متمرداً . ولكن ضعفه ظل بادياً .
 لأن مكبث الجريء (وما أحقه بهذا النعت)
 يزدري بربة الحظ ، وبسيفه المسلول الذي
 يبخر الدم منه لكثرة ما ضرب ،
 يشق طريقه ، وهو للشجاعة حبيبها ،
 حتى يجابه العبد .

ولم يصافحه أو يودعه حتى
 قدّه قدّاً من السرة إلى الشدقين ،
 وغرز رأسه على شرفات قلعتنا .
 دنكن : يا لابن عمي الشجاع ! يا سيد المروءات ! (4)
 الرائد : وكما من حيث تبدأ الشمس ارتدادها (5)
 تنطلق العواصفُ المحطمةُ السفنَ والرعودُ الرابعة ،
 هكذا من المصدر نفسه الذي يبدو الأمان قادماً منه ،
 يتصاعد الخطر . . فانظر ، يا ملك اسكوتلنדה ، أنظر!
 ما كادت العدالة ، مسلحةً بالبأس ،
 تكره المشاة المنتنطين على تولية أدبارهم
 حتى ابتهل سيد الترويج الفرصة ،
 وبأسلحة مصقولة ومدد جديد من الرجال

شرع بهجوم ثان .

دنكن : أو لم يُفزع هذا

قائدينا ، مكبث وبانكوو؟

الرائد : بلى ،

كما يُفزع البغاتُ النسورَ ، أو الأرنبُ الأسد .

وإذا قلت الصدق ، فعلي أن أعلمكم أن كليهما

كان كمدفع مشحون ببارود مزدوج ،

فراحا يكرران الضرب على العدو مكرراً :

هل كانا يبغيان إستحماً بالجراح الشاخبة

أم إحياء لذكرى جليجلة ثانية ،

لست والله أدري -

ولكنني وهنت ، وطعناتي تطلب العون .

دنكن : ما أجمل كلماتك بك ، كجراحك !

في كليتهما مذاق الشرف . - عليكم بتطبيبه .

(يخرج الرائد برفقة مساعدين)

يدخل روص وأنغس

من القادم هنا؟

مالكولم : الكريم أمير روص .

لينوكس : يا للعجلة المطة من عينيه ! هكذا يبدو

من يريد قول أشياء غريبة .

روص : عاش الملك !

دنكن : من أين أنت قادم أيها الأمير؟
 روص : من فايف ، أيها الملك العظيم .
 حيث البيارق النرويجية كانت تهزأ من السماء
 وتُرفُّ إخماداً لنار رُبْعنا . سيدُ النرويج نفسه ،
 ومعه أعداد مريضة
 ويسنده ذلك الخائن الناكثُ عهدَه
 أميرُ كودور ، شرع في قتال مرير .
 إلى أن جابهه عريس ربة الهيجاء ⁽⁶⁾ ، مكسواً بالحدِيد ،
 بمثل ما لديه ،
 سيفاً لسيف ، سلاحاً متمرداً لسلاح ،
 كابحاً إقدامه الوقح . وختاماً ،
 كان النصر حليفنا -
 دنكن : يا للسعادة !
 روص : وراح الآن
 سوينو ، ملك النرويج ، يرجو التفاهم .
 ولم نسمح له بدفن قتلاه
 إلى أن دفع لنا في جزيرة سانت كولم
 عشرة آلاف دولار ⁽⁷⁾ لأغراضنا العامة .
 دنكن : لن يخون أمير كودور بعد اليوم
 مصالحنا الداخلية . - إذهب واعلن مصرعه ،
 وبلقبه السابق حَيٍّ مكبث !

روص: سافعل.

دنکن: ما ضیّعه کودور غذا کسباً للنیل مکبث.

المشهد الثالث

قفراء

(رعد . تدخل الساحرات الثلاث)

ساحرة 1 : أين كنت يا أختاه؟

ساحرة 2 : أقتل الخنازير.

ساحرة 3 : وأنت يا أختاه؟

ساحرة 2 : لقيت زوجةً بحارٍ والكستناء في حجّرها

وهي تمضغ ، وتمضغ ، وتمضغ .

«أعطيني» قلت لها

«انقلعي ، يا ساحرة!»

صاحت الحيزبون المدللة .

زوجها إلى حلب قد سافر ، وهو ربان «النمر»⁽⁸⁾ ،

لكني في غربال سأبحر إلى مركبه ،

وكجرذون بلا ذيل

سأفعل ، وأفعل ، وأفعل .⁽⁹⁾

ساحرة 2 : سأعطيك ريحاً واحدة⁽¹⁰⁾ . . .

ساحرة 1 : لك شكري .

ساحرة 3: ومني أخرى واحدة .
 ساحرة 1: أنا لدي الأنخريات ،
 والموانيء التي تهب منها وعليها ،
 والأماكن التي تعرفها
 في خرائط البحارة كلها .
 جفاف القش سأجفقه
 من رأسه حتى قدميه
 والنوم لن يعلق حتى بالهدب من عينيه
 في حُلُكة الليل أو وضوح النهار .
 ملعوناً سيحياً ، بل طريد اللعنات .
 ولسبع ليالٍ ، مضروبة بتسع تسع مرات ،
 سيصاب بالضمور ، والنحول ، والهزال : (11) .
 ولئن عجزتُ عن إفقاده سفيته ،
 جعلتها العوبة للزوابع المزجرات .
 أنظروا ما عندي .
 ساحرة 2: أريني ، أريني .
 ساحرة 1: عندي إبهام ملاح
 تحطمت عند عودته سفيته .

(صوت طبل من الداخل)

ساحرة 3: طبلٌ ، طبلٌ !
 مكبث القادم !

كلهن معاً : أخواتُ القدرِ المسرعات
عبر الأراضى والبحار
يُدرن كذا في حلقات
يبدأ بيد .

لكِ ثلاثٌ ، ولي ثلاثٌ (12) ،
وأخرى ثلاثٌ تثلث الثلاث . . .
كفى ! فالرقية استوت !

(يدخل مكبث وبانكورو)

مكبث : يوماً دميماً وجميلاً كهذا ما رأيت قط .
بانكورو : ما المسافة إلى فورس ؟ - ما هؤلاء
الذاويات المشعثات بلبوسهن ،
لا يشبهن أهل الأرض ،
ولكنهن عليها ؟ أحياء أنتن ؟ أو كائنات
يجوز للأنس سؤالكن ؟ (13) يبدو أنك تنفهمتنى ،
إذ تضع كل منكن أصبعها المشققة
على شفيتها الجلوديتين : لا بد أنك نساء
ولكن لحاكن تمنعني عن تأويلكن كذلك .
مكبث : انطقن - إن استطعتن ! من أنتن ؟
ساحرة 1 : سلاماً يا مكبث ، سلاماً يا أمير غلامس !
ساحرة 2 : سلاماً يا مكبث ، سلاماً يا أمير كودورا !
ساحرة 3 : سلاماً يا مكبث ، يا ملكاً فيها بعد !

بانكوه: سيدي الكريم، أراك تجفل، وتبدو خائفاً
 من أمورٍ جميلٍ سمعُها؟ - ألا حلفتكن،
 أمن خلق الخيال أنتن، أم أنتن حقاً
 ما تبدين في ظاهركن؟ زميلي النبيل
 تحيينه بها أنعم للتو عليه، وبالتنبؤ الكبير
 بنبل وشيك، وبأمل في الملك،
 حتى هو مشدوه مما سمع: أما معي فلا تتكلمن.
 إن يكن بمقدوركن التمعن في بذور الزمن
 فتعرفن أيها سينمو، وأيها لا،
 حدثني - أنا الذي لا أرجو منكن معروفاً
 ولا أرهب منكن كراهية.

ساحرة 1: سلاماً!

ساحرة 2: سلاماً!

ساحرة 3: سلاماً!

ساحرة 1: أقلّ شأنًا من مكبث، وأعظم.

ساحرة 2: أقلّ منه سعادة، ولكن أسعد بكثير.

ساحرة 3: ستلد الملوك، وإن يفتك أنت الملك.

ولذا، سلاماً يا مكبث، ويا بانكوه!

ساحرة 1: يا بانكوه ويا مكبث، سلاماً، سلاماً!

مكبث: مكانكن، يا ناقصات النطق! أخبرني بالمزيد.

أنا أعلم أنني الآن، بموت ساينل، أمير غلامس.

ولكن كيف أمسيْتُ أميرَ كودور؟ أميرُ كودور في قيد الحياة
سيد متنعم (14). وأن أجعل في منظور الصدق
صيرورتي مَلِكاً، بعيدٌ بُعدَ كوني أميرَ كودور.
من أين لكن هذا العلم الغريب؟ ولماذا
توقفتن سيرنا في هذه الثلاة الممطرة بالصواعق
بهذه التحيات النبوية؟ تكلمن! أمركن!

(تتلاشى الساحرات)

بانكوو: للأرض فتاقيع ، كما للهاء ،
وهؤلاء منها . - أين تلاشين؟
مكبث: في الهواء . وذاك الذي بدا مجسداً
ذاب كنفخة في الريح . ليتهن تريثن!
بانكوو: هل كانت هنا كيانات كالتي نتحدث عنها ،
أم أننا التقمنا جذور المجانين (15) التي
تجعل من العقل أسيراً؟
مكبث: أبناؤك سيصبحون ملوكاً . . .
بانكوو: وأنت ستصبح ملكاً . . .
مكبث: وأمير كودور أيضاً ، ألم يقلن ذلك؟
بانكوو: بل بالنعمة ذاتها ، والكلمات . . . من هنا؟

(يدخل روص وأنفس)

روص: لشد ما سعد الملك ، يا مكبث ،
بأنباء نجاحك . وعندما اطلع على

مغامرتك بشخصك في حرب المتمردين ،
تصارعت دهشته مع مدائحها ،
أيدش لنفسه أم يمدحك أنت : وإذ أسكته ذلك ،
واستعرض بقية ذلك النهار بالذات
فوجدك في صفوف النرويجي الضخمة ،
غير خائف ما كنت تصنع أنت بنفسك -
صُوراً للردى عجيبةً . وكالبرد الغزير
جاء الرسول مع الرسول ، وكل منهم يحمل
المدح لك لدفاعك العظيم عن مملكته ،
ليصبّه بين يديه .
أنفس : لقد أرسلنا
لنُهديك الشكر من سيدنا الملك ،
لرافقك إلى حضرته وحسب ،
لا لنجزيك .
روص : وعربونا لتكريم منه أكبر ،
أمرني أن ألقبك ، نيابة عنه ، «أمير كودور» .
وها أنا بهذا اللقب المضاف أحييك ، أيها الأمير الكريم ،
لأنه الآن لك .

بانكورو : ماذا أينطق الشيطان بالصدق ؟
مكبث : أمير كودور حيّ يرزق . لماذا تُلبسونني
أردية مستعارة؟ (16)

آنفس : ذاك الذي كان أميراً ، ما زال حياً ،
ولكنه تحت حكم ثقیل يحمل تلك الحياة
التي يستحق فقدانها . هل انضم
لرجال ملك النرويج ، أم أنه أمد المتمرّد
في الخفاء بالعون والفرصة ، أم أنه مع كليهما
سعى في تدمير وطنه ، لست أدري .
غير أن الخيانات العظمى التي اعترف بها وثبتت عليه
قلبت عليه أحواله .

مكبث : (جانبياً) غلامس ، وأمير كودور :
والأعظم فيما بعد . (لروص وآنفس) شكراً لأتعايبكما .
(لبانكوو) ألا تأمل أن يصبح أبناؤك ملوكاً
حين تجد أن اللواتي منحني إمارة كودور
وعدتهم بالملك ؟

بانكوو : إن أنت صدقت ذلك الصدق كله ،
ربما أهب فيك الأمل في التاج ،
فضلاً عن إمارة كودور . ولكنه أمر غريب :
فكثيراً ما تحدثنا وسائط الظلام بالحقائق
لتؤدي بنا أخيراً إلى الأذى .

إنها تكسب رضانا بتوافه صادقة ، لتخوننا
في أعماق الأمور خطورة .
يا أولاد العم ، كلمة ، رجاء .

(بتحيي بروس وأنفس)

مكبث: (جانياً) حقيقتان قيلتا
توطئتين مشرقتين للفصل المتنامي
حول الموضوع الملكي . شكراً، أيها السيدان .
(جانياً) هذا الخطاب الخارق للطبيعة
لا هو بالشر، ولا هو بالخير:
فإن يكن شراً، لماذا يمنحني عربونا بالنجاح،
بادئاً بحقيقة صادقة؟ أنا أمير كودور:
فإن يكن خيراً، لماذا أراي أستسلم لذلك الإيحاء الذي
صورته الرابعة⁽¹⁷⁾ ينتصب لها شعري
وتجعل قلبي المستكين يقرع أضلاعي،
شدوذاً عن طبيعتي؟ إن مواضع الخوف الراهنة
لأخف وقعاً من التخيلات المرعبة .
وإن فكري الذي ليس القتل فيه إلا متخيلاً
ليزلهل كياني الموحد إنساناً
حتى ليختنق الفعل في التكهن،
وما من حقيقي إلا الذي ليس بالحقيقي⁽¹⁸⁾
بانكورو: أنظر كيف وقف مشدوهاً زميلنا .
مكبث: (جانياً) إن كان للحظ أن يجعلني ملكاً، فللحظ أن يتوجني .
دونها حراك مني .
بانكورو: تأتبه ألقاب التكريم الجديدة

كثيابنا الغربية ، فلا تلتصق بهيكلها
إلا بعون من الإستعمال .

مكبث : (حائياً) مهيا حدث

فإن أعسر الأيام يخرقها الزمن والساعة .

بانكورو : أيها الكريم مكبث ، نحن في إنتظار لطفكم .

مكبث : إمنحوني عفوكم ! دماغى المتبلد قد أثير

بأمور منسية . أيها الفاضلان ، أتعابكما

سُجِّلَت حيث سأقلب الصفحات كلَّ يومٍ

لأقرأها . هيا بنا إلى الملك .

(لبانكورو) فكر بالذي صادفنا . وحين يتسع الوقت ،

وقد وَزَنَتْهُ الفترة اللاحقة ، دعنا نَبِّعْ

كل بما فى قلبه للآخر ، بحرية .

بانكورو : مع عظيم سروري .

مكبث : وحتى ذلك الحين ، كفى . أيها الصاحب ، هيا .

المشهد الرابع (19) فورس . . . غرفة في القصر

(نغير. يدخل دنكن، مالكولم، دونالين، لينوكس، ومرافقون)

دنكن: هل نفذ الإعدام بكودور؟ أم أن
المكلفين بالأمر لم يعودوا بعد؟

مالكولم: مولاي،

لم يعودوا بعد. إلا أنني تحدثت

مع رجل رآه يموت، فأخبرني

أنه اعترف بخياناته بصراحة كبرى،

والتمس العفو من جلالتك، وأبدى

عميق الندم. لم يلق به شيء

في حياته مثل مغادرته لها: لقد مات

كمن لقن نفسه الموت،

ليقتذف عنه بأعز ما يملك

وكأنه تافه بخس.

دنكن: ليس ثمة فن به

نكتشف بنية العقل في ملامح الوجه (20):

لقد كان سيداً أقمت عليه
ثقة مطلقة .

(بدخل مكبث ، بانكورو ، روص ، وأنفس)

ألا أهلاً ، يا ابن عمي الكريم !
كانت خطيئة عقوقي حتى الآن
ثقيلة علي . لقد سبقتنا بمدى بعيد
فغدا أسرع الثواب جناحاً أبطأ
من أن يلحق بك : ليتك كنت أقل إستحقاقاً
فيتعادل عندي الشكر والجزاء !
ولم يبق لي إلا أن أقول
إنك أكثر أهلاً لأكثر مما يستطيع الكل جزاءك .
مكبث : ما أنا مدين به من خدمة وولاء .
إذ أؤديها ، هو الجزاء . دَوْرُ جلالتك
هو تَلْقِي واجباتنا : وواجباتنا
هي إزاء عرشكم ودولتكم ، أولادكم وخدمكم ،
وهي تؤدّي كما ينبغي لها أن تؤدى ، بفعل كل شيء
يضمن سلامة حينا وإكرامنا لكم .
دنكن : مرحباً بك هنا .
بدأت أزرعك ، وسأجهد
في جعلك مليئاً بالنمو - بانكورو النبيل ،
ليس إستحقاقك بأقل ، ولن يكون

أقل ذيو عاً ، دعني أعانقك

وأضمك إلى قلبي .

بانكور : إذا نموت هناك ،

فالحصاد حصادك .

دنكن : أفراحي الكثيرة

تطيش بوفرته ، فتحاول أن تتخفى

في قطرات من الحزن . - أيها الأبناء ، والأقرباء ، والأمراء ،

وانتم أقرب الناس منازل إلي ، اعلموا

أننا أولينا وراثتنا

إبنتا البكر مالكو ، الذي نلقبه منذ هذه الساعة

أمير كمبرلاند⁽²¹⁾ . وهذا التكريم

لن نجعله له وحده ، يتيأ ،

بل سنجعل شارات النبيل تتألق كالنجوم

على كل ذي جدارة . - من هنا سنذهب إلى انفرنيس ،

ولتوثق الروابط بيننا !

مكبث : أما البقية فجهد ، لا عليكم به .

سأكون أنا الرسول ، فأفرح

سمع زوجتي بمقدمكم .

ولذا ، فإني بخضوع أستأذنكم .

دنكن : ما أنبلك يا كودورا !

مكبث : (جانياً)⁽²²⁾ أمير كمبرلاند ! - تلك عتبة

علي أن أكبو عليها ، أو أطفرف فوقها ،
 لأنها في طريقي . أيتها النجوم ، أخفي نيرانك !
 لا تدعي النور يرى رغابي السوداء العميقة .
 فَلْتَغُضَّ العَيْنُ عن اليد ، ولكن فليقع
 ما تخشى العين أن تراه حين يقع !

(مخرج)

دنكن : صدقت ، يابانكوو : إنه جد شجاع -
 بمداثحه أقيت نفسي .
 انها وليمة لي . لنذهب في إثره ،
 وقد سبقنا بهمة ليهيئ استقبالنا :
 إنه ابن عم ما مثله ابن عم .

(نفير. يخرجون)

المشهد الخامس انفرنيس . . . غرفة في قلعة مكبث

(تدخل الليدي مكبث وهي تقرأ رسالة)

ليدي مكبث : «لقيتني يوم النجاح ، وقد علمت وفق أتم الإستفسار أن لديهن ما يربو على معرفة الشر . وعندما تحرقت لسؤالهن المزيد ، حولن أنفسهن إلى هواء تلاشين فيه . وفيما أنا واقف مشدوهاً بتعجبي ، جاء رُسلٌ من الملك حيّوني بـ «يا أمير كودر» ، وهو اللقب الذي حيّني به قبل ذلك أخوات القدر وأحلّني على الزمن الآتي بـ «سلاماً ، يا من ستكون ملكاً!» هذا ما استنسبت إعلامك به (يا أعز رفيقة لي في العظمة) لئلا يضيع نصيبك من الفرح إن أنت بقيت تجهلين العظمة التي أنت موعودة بها . ضميه إلى قلبك ، ووداعاً .»

أمير غلامس أنت ، وكودر ، ولسوف تكون ما وعدت به . ولكنني أخشى طبعك :
أنه املاً مما ينبغي بحليب الإنسانية ،
فلا يتشبث بأدنى الطرق . أنت تريد العظمة ،
ولست خالياً من الطموح ، ولكنك خال

من الشر الذي لا بد أن يصحبه . ما تريد شائخاً ،
 تريد قدسياً ، لا تريد أن تغش في اللعب
 ولكن تريد أن تكسب عن غير حق .
 تريد يا غلامس العظيم ذاك الذي
 يصرخ بك أن « افعل كذا » إن أردته ،
 ذاك الذي أنت تخشى أن تفعله
 لا الذي تتمنى لو أنه لا يفعل (23) . أسرع إليّ ،
 فأصب حيويتي في أذنك ،
 وأطرد بجرأة لساني
 كل ما يعوقك عن المستدير الذهبي (24)
 الذي يبدو أن القدر والعون الخارق
 كليهما قد توجاك به .

(يدخل رسول)

ما أخبارك؟

رسول: الملك قادم هنا الليلة .

ليدي مكبث: جنت فقلت ذلك .

أليس سيدك معه؟ لو أن الأمر كذلك

لأنخبرني للتهيو

رسول: عفوك ، ما قلت صحيح . أميرنا قادم ،

وقد سبقه أحد زملائي

حتى كاد يموت من انقطاع النفس ، ولم يبق له منه

إلا ما يصوغ به رسالته .

ليدي مكبث : اسعفوه :

لقد جاء نبأ عظيم .

(يخرج الرسول)

أَبَحُّ هو الغراب نفسه الذي

ينعق عن دخول دنكن المميت

تحت شرفات قلعتي ! عليَّ بك أيتها الأرواح (25)

التي ترعى تُخطط القتل والدمار، وانزعي جنسي عني هنا،

واملايني بأعتى القسوة من رأسي حتى القدم،

فأطفح بها ! أغلظي دمي،

سدي المسرب والممرّ على كل رحمة،

فلا يزورني من الطبيعة وازع من شفقة

يزحزح مأربي الرهيب، أو يقيم سلماً بينه

وبين تحقيقه ! تعالي إلى ثديي المرأة مني،

وأبدلي حليبهما بعلقم، يا وصيفات القتل،

حيثما أنت بكياناتك التي لا تُرى،

ترعين كل إنتهاك للطبيعة ! تعال أيها الليل الكثيف،

وتسربل بأحلك ما في جهنم من دخان

لكي لا ترى مديتي الماضية الجرح من طعنتها،

ولا تنفذ السماء بعينها غطاء الظلام،

فتصرخ : « كفى، كفى ! »

(بدخل مكبث)

غلامس العظيم ، كودر الكريم !
وأعظم من كليهما بما ستحيا به عن قريب !
رسائلك حملتني نشوة إلى ما وراء
هذا الحاضر الذي لا يُعلم ، فجعلت الآن أحسّ
بالمستقبل في اللحظة الراهنة .

مكبث : حبيبتى العزيزة ،

دنكن قادم هنا الليلة .

ليدي مكبث : ومتى يذهب من هنا ؟

مكبث : غداً ، حسبما يقصد .

ليدي مكبث : لا ، لن ترى شمس ذلك الغد !

وجهك يا أميري ، كتاب ، للناس

أن يقرأوا فيه أموراً غريبة . . . لكيما تخادع الزمان ،

أجعل محياك في شبه الزمان . أحمل الترحيب في عينك ،

في يدك ، في لسانك : أشبه الزهرة البريئة ،

ولكن كن الأفعى التي تحتها . صاحبنا القادم

يجب أن يُهيا له ، وعليك أن تضع

أمر هذه الليلة العظيم في إمرتي ،

وهو الذي طوال ليالينا وأيامنا الآتية

سيجعل لنا مطلق الحكم والسودد والسيادة .

مكبث : سنقول المزيد .

ليدي مكبث: عليك فقط بصفاء المحيّا .
فما يتغير الوجه أبداً إلا فزعاً .
ودع لي كل ما تبقى .

المشهد السادس انفرنيس . . . أمام القلعة

(عازفو مزامير وحاملو مشاعل (26) يدخل دنكن، مالكولم،
دوئالين، بانكورو، لينكوس مكدف، روص، آنغس، ومرافقون).

دنكن : هذه القلعة بقعتها طيبة . فالهواء
بخفته وحلاوته يحب نفسه
إلى رهيف حواسنا .

بانكورو : ضيفُ الصيف هذا،
السنونو الذي يلزم المعابد ، يدلل
بما يهواه من مأوى على أن أنسام السماء
غزلية الشميم هنا : فما من نتوء ، أو أفريز،
أو دعامة ، أو حجر زاوية ، إلا ويجعل منه
هذا الطيرُ فراشه المعلق ، ومهدّه الولود :
لقد لاحظت حينما تكثر هذه الطيور ترددها وتناسلها
يكون النسيم عليلاً .

تدخل ليدي مكبث
دنكن : أنظروا ، أنظروا ! مضيفتنا الكريمة .

إن الحب الذي يتبعنا هو أحياناً تعب لنا ،
ومع ذلك فإننا نحمده لأنه الحب . وبذا أعلمك
كيف ترجين الله أن يجازينا على أتعابك
ويحمدنا على همك .

ليدي مكبث : كل خدمة منا
ولو أديناها في كل جزء منها مرتين ، ثم مرتين آخرين ،
تبقى أمراً بسيطاً باهتاً لقاء
تلك المكرمات العميقة العريضة التي
تسخون جلالكم بها على بيتنا . فللمكرمات القديمة ،
وللمنح النبيلة التي أضفتموها أخيراً إليها ،
نبقى نساكاً لكم (27) .

دنكن : أين أمير كودور؟
رحنا نركض على عقبه ، وفي النية
أن نكون نحن رسوله . لكنه فارس جيد ،
وحُبُّه العظيم ، حاداً كمهازه ، حفزه
لبلوغ داره قبلنا . يا ربة البيت الحسناء النبيلة ،
نحن ضيفك الليلة .

ليدي مكبث : إن خدمكم أبداً ،
هم ، وأولادهم ، وأموالهم ، عدداً وتعداداً ،
يتقدمون لكم للحساب وفق مشيئة جلالكم ،
ليعيدوا إليكم ما هو مُلكُ يديكم .

دنكن : أعطيني يدك ،
 وخذيني إلى رب البيت مضيّقي : عميقُ حبنا له ،
 ولسوف نستمر بأنعمنا عليه .
 ربّة البيت ، إسمحي لي !

المشهد السابع انفرنيس . . . غرفة في القلعة

(مزامير ومشاعل. يدخل رئيس الخدم وعدة خدم يحملون

أواني الطعام ويعبرون خشبة المسرح. ثم يدخل مكبث)

مكبث: لو أنها تنتهي ، عندما تُفعل ، لكان المستحسن

أن تفعل بسرعة : لو أن الاغتيال

بوسعه أن يعتقل النتيجة

ويقبض بلفظه الأنفاس النجاس ، لو أن هذه الضربة

هي الكل في الكل ونهاية الكل - هنا ،

هنا وحسب ، على الساحل هذا ، على الضفة هذه من الزمن ،

لجأزفنا بالحياة الآخرة . - ولكننا في هذه الحالات دوما

نتلقى الحكم هنا . فنحن إنما نُصدر

إيعازاتٍ دموية ، وإذا ما استوعبت عادت

لتعذيب مبتدعها : فهذه العدالة المتوازنة اليدين

تقدم عناصر كاسينا المسمومة

لشفاهنا نحن . . . إنه هنا في حمي مزدوج :

أولاً ، لكوني قريبه وتابعه ،

وكلاهما مانع قوي للفعلة ، ثم كلكوني مضيغه ،
عليّ أن أسد الباب في وجه قاتله ،
لا أن أشهر السكينَ بنفسي . ثم أن دنكن هذا
كان وديعاً في تنفيذ صلاحياته ،
بريء اليد في منصبه الكبير ، بحيث أن فضائله
سترافع كملائكة مُلَسَّنة بالأبواق
ضد الفظاعة اللعينة قي مصرعه ،
والشفقة كطفل وليدٍ عارٍ
يمتطي الزوبعة ، أو كملائكة السماء ، خيلها
رواكضُ الفضاء الخفية ،
ستنفخ الفعلة الشنيعة في كل عين
حتى تُغرقَ الريحَ بالدموع . - لا حافز لي
يهمز جانبي مأربي سوى
طموح شاهق القفز ، يبالغ بقفزته
فيهوى على الجانب الآخر (28)

(تدخل ليدي مكبث)

هه ! ما وراءك

ليدي مكبث : كاد يفرغ من عشائه . لماذا تركت الحجرة ؟

مكبث : هل سأل عني ؟

ليدي مكبث : ألا تعلم أنه سأل ؟

مكبث : لن نستمر في هذا الموضوع :

لقد أكرمني مؤخراً ، ولقد ابتعتُ
آراء ذهبية من شتى الأناس
علي الآن أن أرتديها وهي في أقشب لمعانها ،
لا أن ألقى بها عني بهذه العجولة .
ليدي مكبث : أنخموراً كان ذاك الأمل الذي
ألبسته نفسك ؟ وهل غرق في النوم بعد ذلك ؟
وهل استيقظ الآن ، مخطوف اللون شاحباً
لما قد فعل بملء حرите ؟ من الآن فصاعداً
هكذا سأعتبر حبك . هل يُخيفك
أن تكون في فعلك وشجاعتك
ما أنت في التمني ؟ أتستهي أن تنال
ذاك الذي تعتبره زينة الحياة (29)
وتحيا جباناً في اعتبار نفسك ،
جاعلاً « لا أجراً » تتبع « يا ليتني »
كالقطة المسكينة في المثل الشائع ؟ (30)
مكبث : أرجوك ، كفى .
أني أجراً على أي فعل يليق برجل .
ومن يجراً أكثر مني ، فهو ليس برجل .
ليدي مكبث : أي وحش إذن كان
ذاك الذي جعلك تُعلمني بهذه المغامرة ؟ (31)
عندما جرأت على ذلك ، كنت حقاً رجلاً .

وأن تصبح أكثر مما كنت ، فلأنت حينئذ
 الرجل وأكثر . . . لا الزمان ولا المكان
 كانا حينئذ ملائمين ، ورغم ذلك أردت اصطناع كليهما .
 وهما قد صنعنا نفسيهما ، وملاءمتها الآن بالذات
 تحطمك . لقد كنت يوماً مُرضعاً واني لأعرف
 مبلغ الحنو في حب الطفل الذي أُرضع :
 لكنك ، وهو يبتسم في وجهي ،
 انتزعت حلمتي من لثته الطرية ،
 وهشمت دماغه ، لو أنني أقسمت أن أفعل ذلك
 كما أقسمت أنت أن تفعل هذا .
 مكبت : وإذا أخفقنا ؟
 ليدي مكبت : نحن نخفق ؟
 فقط شدَّ شجاعتك حتى نقطة ثباتها ،
 ولن نخفق . عندما يغيب في النوم دنكن
 (وسفرته المضنية طيلة النهار لا بد تدعوه
 إلى نوم عميق) سأضعضع أنا
 مرافقي حجرته بالخمر والعريضة
 حتى تغدو الذاكرة ، حارسة الدماغ ،
 مجرد بخار ، ومُتلقى العقل
 محض أمبيق (32) وعندما تكون الطبيعة منها
 غريقة في نومة كنومة الخنزير ، أشبه بالموت ،

هل ثمة ما لا نستطيع فعله ، أنا وأنت ،
 في دنكن وهو بلا حراسة؟ هل ثمة ما لا نتهم به
 حارسيه المخمورين ، فنحملها تبعة
 غيلتنا الكبرى؟

مكبث: لا تلدي إلا الذكور من الأولاد!
 لأن معدنك الجسور يجب ألا يصنع
 شيئاً إلا الرجال . . . ألن يصدق الجميع
 عندما نلطح بالدم مرافقيه المأخوذين بالنوم
 في حجرته ، ونستعمل خنجرهما .
 أنها هما الفاعلان؟

ليدي مكبث: ومن يجرأ على تصديق أي شيء آخر
 عندما نجار بالحزن والفجيرة
 على موته؟

مكبث: لقد صممتُ ، ولسوف أشد
 كل عضو في الجسد لهذه الفعلة الرهيبة .
 هيا ، واخدعي الزمان بأجل المظاهر:
 على الوجه الكذوب أن يخفي ما يعلم القلب الكذوب .

الهوامش :

- (1) يعتقد البعض أن هذا المشهد دخيل على المسرحية ، وليس من قلم شكبير. غير أن كولردج يرى غير ذلك ، ويقول ، «إن السبب الحقيقي لظهور أخوات القدر في المطلع هو عزف النغمة الأولى التي ستطغى على المسرحية كلها» . إنها نغمة الشؤم .
- (2) لكل ساحرة قطعة أو علجومة (ضرب من صفادع الطين) هي رفيقتها وواسطتها في أعمالها السحرية وكان المعتقد أن الساحرات لمن القدرة على حفظ الشياطين والعفاريت في أجسام القطط والعلاجيم .
- (3) كلمة الدم أو الدماء ترد أكثر من مئة مرة في «مكبث» .
- (4) كان دنكن ومكبث حفيدي الملك مالكولم .
- (5) يقصد عودتها عند التعادل الربيعي .
- (6) يقصد مكبث .
- (7) تم سك الدولار لأول مرة عام 1518 - أي بعد أحداث هذه المسرحية بحوالي خمسة قرون ، شكبير يعيد هنا ذكر جزية دفعها في عصره لانكلترا الملك كريستيان ، ملك النرويج .
- (8) كانت هذه تسمية محبة للكثير من المراكب في أيام شكبير
- (9) أي أنها ستحول إلى جرد لتدخل المركب ، وهناك ستفعل فعلها السحري بالربان .
- (10) كان المعتقد أن الساحرات يبعن الرياح لمن يطلبها .
- (11) كانت الساحرة تصنع دمية من شمع ، فتغرز فيها الإبر ، أو تذيبها ببطء قرب نار منخفضة ، وكلما «تعذبت» الدمية أو ذابت ، تعذب وذاب الشخص المراد إيذاؤه بهذا السحر .
- (12) كانت الساحرات يؤثرن الأعداد الفردية ، ولا سيما مكررات الثلاثة .
- (13) كان المفروض أن الأرواح لا تتكلم إلا إذا خوطبت أولاً .
- (14) يبدو أن مكبث لم يعلم بتآمر أمير كودور مع الغزاة إلا بعد المعركة .
- (15) أي الجذور التي تحدث الجنون كان يعتقد أن هناك أنواعاً من النباتات تذهب بالعقل عندما تؤكل أو يشرب ماؤها المغلي ، وتجعل العين ترى ما لا تراه عين العاقل .

- (16) هذه الصورة الشعرية متكررة في خلال المسرحية كلها .
- (17) أي صورته التي يتخيلها وهو يقتل دنكن ، تمثل هذه الأبيات لحظة مولد الشر في نفس مكبث . فهو ربما ساورته من قبل هواجس الطموح ، أو حتى هواجس القتل ، غير أنه الآن يشعر لأول مرة حقيقة القتل وهي تداهمه بهولها .
- (18) هذه أمثلة المسرحية : . . الحقيقة والوهم بتبادلان الأمكنة (ثابت) .
- (19) يوحى هذا المشهد بالنظام الطبيعي الذي سيتهلك عما قريب . إنه يؤكد على العلاقات السوية ، والروابط النبيلة والنظام السياسي المستقر . (ثابت) .
- (20) تشد المقارقة الساخرة في هذا القول بدخول مكبث في الحال .
- (21) حامل هذا اللقب يكون ولياً للعرش .
- (22) يعتقد البعض أن إفصاح مكبث عن نواياه في عبارة جانبية في مكان عرج ، كما هنا ، يدل على أن بدأ غير يد شكبير عبث بالنص ، لأن شاعرنا أبرع من أن تأتي مثل هذه السذاجة غير أن الشعر هنا شكبيري بصورة ، والتضاد بين العين واليد يرد في عدة مواضع من المسرحية .
- (23) هذه الأبيات الأربعة من العبارات المشهورة بها فيها من تعقيد في تركيبها ، في الأصل ، ولو أن معناها واضح .
- (24) أي التاج .
- (25) يقول أحد الكتاب عن ريبا اطلع عليهم شكبير ، أن هناك طبقة ثانية من الشياطين تدعى بأرواح الإنتقام وصانعة المذابح ، وهي التي «تلهب خواطر البشر للإغتنصاب والنهب والقتل وشتى ضروب القسوة» .
- (26) الشمس لم تغب بعد ، غير أن المشاعل حال غياب الشمس ستصبح ضرورية داخل القلعة ، ولو أن ضوء النهار ما زال باقياً في الخارج .
- (27) أي في صلاة دائمة لله من أجلكم .
- (28) يصور طموحه كفارس يبالغ في علو قفزته عندما يأتي حصانه فيسقط على الجانب الآخر منه .
- (29) أي التاج .
- (30) يقول المثل : «تستهي القطة السمكة ، ولكنها لا تجرأ على تبليبل أرجلها .» .

(31) هذا يوحى بأن شكبير في الأرجح حذف مشهداً يُعلم فيه مكبث زوجته بنيته المبيتة ولعل التصاعد الدرامي السريع هو الذي جعله يحذفه.

(32) كان المشرحون القدامى يقسمون الدماغ إلى ثلاث مناطق، ويجعلون الذاكرة في المنطقة الخلفية منها أي في المخ. فهي كحارس للمخ تخطر العقل بأي هجوم، فإذا ما تحولت بالسكر إلى بخار، فإن العقل الذي يجب أن تقطر فيه خلاصة العملية الفكرية، يتحول إلى أمبيق يمتلئ بفقايع وأبخرة لسوائل غير مقطرة. الصورة مأخوذة عن العمليات الكيميائية التي نقلها الأوروبيون عن العرب في أسبانيا، بما فيها تسمية الوعاء بالأمبيق، وهي الكلمة العربية التي يستعملها شكبير هنا.

الفصل الثاني

المشهد الأول

انفرنيس . . . فناء داخل القلعة

(يدخل بانكورو، وفليانس، ويبيده مشعل)

بانكورو: ما هزيع الليل يا بني؟

فليانس: لقد غاب القمر. . . لم أسمع الساعة.

بانكورو: وهو يغيب في الثانية عشرة.

فليانس: أتصور أن الساعة بعد ذلك، سيدي.

بانكورو: هاك خذ سيفي. - السماء تتباخل.

فشموعها كلها مطفأة. - وخذ هذا أيضاً⁽¹⁾.

بي نعاس ثقيل كالرصاص،

ومع هذا لم أستطع النوم: يا قوى الرحمة!

اكبحي في الخواطر اللعينة التي تستسلم

لها الطبيعة ساعة الهجوع. - اعطني سيفي.

(يدخل مكبث، وخادم يحمل مشعلا)

من هناك؟

مكبث: صديق.

بانكورو: مولاي! ألم ترتح بعد؟ الملك أوى لفراشه.

كان سروره غير عادي ،
 فأرسل منحاً سخية لخدمك .
 وهذه الماسة يحبي عتيلتك بها ،
 داعياً إياها أكرم مضيقة ، ثم انتهى
 وهو في رضا لا حد له .
 مكبث : لم نكن مهياًين ،
 فجاءت إرادتنا عبدة للقصور ،
 وإلا لكانت طليقة في سعيها .
 بانكوو : كل شيء على ما يرام .
 حلمت ليلة البارحة بأخوات القدر الثلاث :
 أما لك فقد أظهرن بعض الصدق .
 مكبث : أنا لا أفكر بهن :
 ومع ذلك ، عندما نلتمس ساعة معاً
 علينا بقضائنا في الحديث حول ذلك الموضوع ،
 إن سمحت لي بوقتك
 بانكوو : في أي وقت تشاء .
 مكبث : إن أنت التزمت بالإتفاق معي ، في حينه ،
 أصابك شرف كبير
 بانكوو : ما دمت لا أفقد شرفاً
 بمحاولتي الإستزادة منه ، بل أبقى الصدر مني
 حراً أبداً وولائي ناصعاً⁽²⁾

فإني مستعد للمشورة .

مكبث : تصبح على خير!

بانكورو : شكراً سيدي . وأنت كذلك .

(يخرج بانكورو وفليانس)

مكبث : (للخادم) اذهب واطلب من سيدتك ، عندما تهين شرايبي ،
أن تفرع الجرس . واذهب إلى فراشك .

(يخرج الخادم)

أخنجر هذا الذي أرى أمامي .

ومقبضه باتجاه يدي ؟ تعال ، دعني أمسكك :

لم أنلك ، ولكن ما زلت أراك .

يا رؤية قاتلة ، ألسنت تستجيب

للحس ، كما للبصر ؟ أم أنت محض خنجر

من الذهن ، محض اختلاق زائف

صادر عن دماغ بالحتمى مضطهد ؟

ما زلت أراك ، ملموساً شكلاً

كهذا الذي أستله الآن .

إنك تقتادني في الطريق التي كنت ذاهباً فيها ،

وسلاحاً مثلك كنت سأستخدم .

أمسست عيناى أضحوكة حواسي الأخرى ، (3)

وهما لولا ذاك في قدرها جميعاً : ما زلت أراك ،

وعلى شفرتك ، ومقبضك ، قطرات دم ،

لم تكن من قبل . - ليس ثمة شيء كهذا .
 إنما الفعلة الدموية هي التي تتخذ شكلاً
 كهذا أمام عيني . - في هذه الساعة تبدو الطبيعة ،
 في نصف العالم ، ميتة ، والأحلام الشريرة تخادع
 النوم المسجّف : السّحرة يحتفلون
 بطقوس «هكاته»⁽⁴⁾ الكالحة ، و«القتل» الشاحب
 أيقظهُ حارسُهُ الذئب الذي
 ساعته هي عواؤه ، فراح بخطى متلصصة ،
 كخطى «طاركوين» الغاصبة ، يسري نحو غايته⁽⁵⁾
 كالشبح . - أيتها الأرض الصلبة الثابتة ،
 لا تسمعي خطاي ، وفي أي اتجاه تسير ، لئلا
 تُفصح الحجارة نفسها عن مكاني ،
 فتنال من هول الساعة ،
 والهول يلائمها . - فيما أنا أتوعد ، فإنه يحيا :
 لا تهب الألفاظ حرارة الأفعال إلا أبرد النفس .

(جرس يقرع)

إني ذاهب ، وإني لفاعلها : الجرس يدعوني .
 لا تسمعه يا دنكن ، فهو ناقوسٌ
 يستدعيك إلى الساء ، أو جهنم !

(ينخرج)

المشهد الثاني كما في المشهد السابق

(تدخل ليدي مكبث)

ليدي مكبث : ذاك الذي أسكرهما ، جَرَّأني :
والذي أطفأهما أجج النار فيّ - سمعا ! صمت !
البومة هي التي لعبت ، قارعة الناقوس للمحكومين بالموت ،
قارئة أَرهَب السلام⁽⁶⁾ . . . إنه مشغول بها .
الأبواب مشرّعة ، والخادمان المتخفان
يهزّان من مسؤوليتهما بالشخير : في شراجهما دسست مخدراً ،
حتى ليتنازع الموت والطبيعة حولهما ،
أفي عداد الأحياء هما أم الأموات .
مكبث : (من الداخل) من هناك ؟ - من هناك ؟
ليدي مكبث : وا أسفاه أخشى إن هما استيقظا ،
والفعلةُ ما انتهت . . . المحاولة ، لا الفعل ،
هي التي تُحبطنا . - سمعاً ! - هيات خنجريهما ،
لا بد أن يراهما - لو لم يكن في شبه أبي .
وهو نائم ، لفعلتها أنا . - زوجي

(يدخل مكبث)

مكبث: لقد فعلتها! - هل سمعت صوتاً؟

ليدي مكبث: سمعت البومة تعيط ، والزيزان تصيح (7)
ألم تتكلم؟

مكبث: متى؟

ليدي مكبث: الآن .

مكبث: وأنا نازل؟

ليدي مكبث: نعم .

مكبث: أصغي!

من يرقد في الحجرة الثانية؟

ليدي مكبث: دونالدين .

مكبث (ناظر آيديه): هذا منظر بائس .

ليدي مكبث: سخيّف منك أن تقول «منظر بائس» .

مكبث: أحدهم ضحك في نومه ، وآخر صاح : إغتيال!
فأيقظ الواحد الآخر ، وقفت وسمعتهم .غير أنهم تلووا صلواتهم ، ثم تهيأوا
ثانية للنوم .

ليدي مكبث: هناك اثنان معاً في الحجرة (8)

مكبث: أحدهما هتف : «رحمتك يا رب!» فأجاب الآخر «آمين»
كأنهما رأياني بيدي الجلاد هاتين .

وإذ أصغيتُ إلى خوفهما ، عجزت عن قول «آمين»

عندما قالوا: «رحمتك يا رب!»

ليدي مكبث: لا تتعمق في التفكير بذلك .

مكبث: ولكن لمَ لم أستطع أن ألفظ كلمة «آمين»؟

لقد كنت في أعظم الحاجة للرحمة، وغُصت

«آمين» في حلقي .

ليدي مكبث: هذه الأفعال يجب ألا نفكر بها

على غرار كهذا: وإلا فإنها ستُجَنِّتُنَا .

مكبث: خيل إلي أنني سمعت صوتاً يصرخ «ألا حُرِّم النوم عليك!

مكبث يغتال النوم!» النوم البريء،

النوم الذي يرتق قماشة الهم الممزقة⁽⁹⁾

موت حياة كل يوم، حتمًا الجهد الأليم،

بلسم الأذهان في أذاها، الطباق الثاني تقدمه الطبيعة العظمى⁽¹⁰⁾،

المغذي الأكبر في وليمة الحياة،

ليدي مكبث: ماذا تعني؟

مكبث: بقي يصرخ لكل من في الدار «ألا حُرِّم النوم عليك!

«غلامس قد قتل النوم، ولذا فإن كودر

لن ينام بعد اليوم، مكبث محرم عليه النوم!»

ليدي مكبث: من الذي صرخ هكذا؟ لا، أيها الأمير الكريم،

إن قوتك النبيلة لترتخي حين تفكر

بالأمور بذهن مريض . إذهب وعلبك ببعض الماء،

واغسل هذا الشاهد القدر عن يديك .

لماذا جئت بهذين الخنجرين من مكانهما؟
يجب أن يوضعا هناك . إذهب ، خذهما ، ولطّخ
الحارسين النائمين بالدم .
مكبث : لن أذهب مرة أخرى .
إني أخاف التفكير فيما فعلت .
ولا أجراً على النظر ثانية إليه .
ليدي مكبث : يا مُزَعزَع التصميم !
أعطني الخنجرين . النائمون والموتى ،
إن هم إلا صُورٌ مرسومة . وعينُ الطفولة وحدها
تخاف شيطاناً مرسوماً . . . إذا وجدته يدمى ،
ذهبتُ وجهي الحارسين بدمه ،
لأن الجرم يجب أن يبدو جرمهما .

(تخرج . قرع على البوابة في الداخل)

مكبث : أين ذاك القرع على الباب؟
ماذا دهاني ، حتى صار كل صوت يرعبني؟
أي يدين هنا؟ هه ! إنها تقلعان عيني⁽¹¹⁾
أو هل تغسل بحار «نبتون»⁽¹²⁾ العظيمة كلها هذا الدم
عن يدي فتتظف؟ لا ، بل إن يدي هذه
لسوف تضرّج البحار العارمة ،
وتجعل الأخضر أحمر قانياً .

(تدخل ثانية ليدي مكبث)

ليدي مكبث : يداي بلونك ، غير أنني أحجل
من أن أحمل قلباً كالحاً مثلك .

(قرع على الباب)

أسمع قرعاً على المدخل الجنوبي . فلتنسحب إلى حجرتنا .
قليل من الماء يزيل عنا تبعه هذا العمل :
ما أهونه إذن ! ثباتك

قد هجرك . (قرع) اسمع ! مزيد من القرع .
البس منامتك ، لئلا ندعى إضراراً ،
فينكشف أننا مستيقظان . لا تته
بمثل هذه الزاوية في أفكارك !

مكبث : عندما أعرف ما فعلت ، أتمنى لو أنني لا أعرف نفسي .

(قرع)

أيقظ بقرعك الباب دنكن ! ليتك تستطيع !

المشهد الثالث

المشهد نفسه (13)

(يدخل بواب قرع من الداخل)

البواب: هذا دق، أي والله! لو كان المرء بواب جهنم، لكان عليه أن يكثر من إدارة المفتاح. (قرع) دق، دق، دق، دق، من هناك، باسم بعلزبوب! - هنا مزارع شقق نفسه عندما توقع غلة وفيرة (14) أدخل، يا انتهازي الزمن، وأكثر من المناديل معك، لأنك هنا ستعرق لها. (قرع) دق، دف، دق... من هناك، باسم الشيطان الآخر؟ - هنا والله ذو لسانين (15) يستطيع أن يقسم في كلتا الكفتين ضد كلتا الكفتين، وقد اقترف ما يكفي من خيانة من أجل الله، ولكنه لم يستطع التكلم باللسانين لرب السماء: آ، أدخل، ياذا اللسانين! (قرع) دق، دق، دق... من هناك؟ هنا والله خياط انكليزي، جاء هنا لأنه سرق سروالاً فرنسياً (16) أدخل يا خياط، هنا لك أن تسخن مكواك وتشوي عراك. (قرع) دق، دق، دق... لا هدوء أبداً! من أنت؟ ولكن هذا المكان أبرد من أن يكون جهنم (17) حسبي بواباً شيطاناً: لقد خطر لي أن أدخل أناساً

من كل حرفة، يطرقون درب الزهور المؤدي إلى المحرقة
الأبدية. (قرع) حالاً، حالاً. رجاء، تذكروا البواب.

(يفتح الباب ويدخل مكدف ولينوكس)

مكدف: هل تأخرت جداً يا صاح في الذهاب إلى الفراش، فتأخرت
هكذا في القيام؟

البواب: والله يا سيدي بقينا في لحو حتى صباح الديك الثاني.
والشراب يا سيدي يثير أشياء ثلاثة

مكدف: وما الأشياء الثلاثة التي يثيرها الشراب خاصة؟

البواب: إنها، والله يا سيدي، إحمرار الأنف، والنعاس، والبول. أما
الفحش، يا سيدي فالشراب يثيره ويحمده: فهو يثير الشهوة،
ولكنه يقضي على الأداء. ولذا، فإن الشراب الكثير يمكن أن
يقال أنه يخاطب الفحش بلسانين: يسويه ويفسده؛ يهيجه،
ويكبحه؛ يغريه ويحبطه، ينهضه ولا ينهضه: وختاماً، يخادعه
فينومه، وإذ يبطحه، يتركه.

مكدف: يخيل إلي أن الشراب بطحك هذه الليلة.

البواب: أي والله يا سيدي، من حنجرتي. غير أنني كافأته على بطحته.
ولما كنت، كما أعتقد، أقوى منه، ولو أنه رفع ساقي أحياناً، فقد
تزعزعت وقذفته...

مكدف: هل سيدك ناهض؟

(يدخل مكبث)

فرعنا قد أيقظه . ها هو قادم .

لينوكس : صباح الخير، سيدي النبيل !

مكبث : صباح الخير لكليكما !

مكدف : أيها الأمير الكريم ، هل الملك ناهض ؟

مكبث : لا ، بعد .

مكدف : لقد أمرني أن أراجعه مبكراً :

وقد كادت الساعة تفوتني .

مكبث : سأخذك إليه .

مكدف : أنا أدري أن في هذا إزعاجاً مفرحاً لك ،

ولكنه إزعاج ، رغم ذلك .

مكبث : الجهد الذي يسرنا يداوي الوجع .

هذا هو الباب .

مكدف : سأتجراً وأدخل عليه ،

لأنه واجبي المحدد .

(يخرج مكدف)

لينوكس : أيرحل الملك اليوم ؟

مكبث : أجل . لقد عيّن ذلك .

لينوكس : كانت الليلة هائجة : ففي المكان حيث مكثنا ،

قوضت الريح المداخن . ويقولون

أن الناس سمعوا نواحاً في الهواء ، وزعقات موت غريبة ،

وراح طير الظلام ينعب طوال الليل (18)

متنبئاً بفوضى رهيبة ، وأحداث مضطربة ،
يلدها الزمن الفاجع مجدداً . والبعض يقول
إن الأرض حُتّت ، وزُلزِلت .
مكبث : كانت ليلة فظة .

لينوكس : ذاكرتي الشابة لا تعي ليلة مثلها .

(يدخل مكدف ثانية)

مكدف : يا لك من هول ! يا لك من هول !
لا القلب له أن يتصورك ولا اللسان أن يسميك !
مكبث : لينوكس ، ما الأمر ؟

مكدف : لقد صنعت الفوضى الآن رائعتها !
لقد انتهك القتل الحرام عنوة
هيكल المشوح بزيت الرب⁽¹⁹⁾ وسرق منه
حياة البنيان !

مكبث : ما هذا الذي تقول ؟ حياة ماذا ؟

لينوكس : أتقصد صاحب الجلالة ؟

مكدف : اقتربوا من الحجرة ، وحطموأبصاركم
بمرأى ميدوزة جديدة⁽²⁰⁾ - لا تطلبوا إلى الكلام :
أنظروا ، ثم تكلما أنتما .

(يخرج مكبث ولينوكس)

أفيقوا ! أفيقوا !

اقرعوا جرس النذير . - جريمة وخيانة !

بانكوو، ودونالين! مالكولم! أفيقوا!
 أنفضوا عنكم ناعم النوم هذا، مزيف الموت،
 وحدقوا في الموت نفسه! - انهضوا، وانظروا
 صورة يوم القيامة الكبرى! - مالكولم، بانكوو!
 قوموا كما من قبوركم، وسيروا كالأطياف،
 لتشاهدوا هذا الهول!

(جرس يقرع تدخل ليدي مكبث)

ليدي مكبث: ما الذي جرى
 حتى راح هذا الصور المرعب يستنفر
 نائمي البيت للتفاوض؟ تكلم، تكلم!
 مكدف: سيدتي الرقيقة،
 ليس لك أن تسمعي ما أستطيع قوله.
 سرده في أذن امرأة
 لسوف يقتل حيث يقع.

(يدخل بانكوو)

بانكوو! بانكوو!
 سيدنا مليكنا قد قتل!
 ليدي مكبث: يا ويلتاه!
 ماذا! أفي دارنا؟
 بانكوو: فظيع، أينما كان.
 عزيزي مكدف، أرجوك، ناقض نفسك،

غير كلامك .

(مكبث ولينوكس يدخلان ثانية)

مكبث: لو متُّ قبل هذا الطاريء بساعة ،
لكنت قد عشت زماناً مباركاً . فمنذ اللحظة هذه
لم يبق ما هو جاد في المصير البشري .
كل شيء أُلْهِيَ : علو السمعة مضى ، والحُسْنُ مات ،
ونفذت خمر الحياة ، ولم تبق إلا الحثالة
يتباهى بها قبو الأرض هذا .

(يدخل مالكولم ودونالدين)

دونالدين: ماذا دهاكم؟
مكبث: أنت الذي دُهِيت ، ولا تعلم .
ينبوع دمك ، مصدره ، رأسه ،
قد سُدَّ ، منبعه الأصلي قد سُدَّ .
مكدف: أبوك الملك قد قتل .
مالكولم: آه! من قتله؟
لينوكس: اللذان يحرسان حجرتة فعلاهما ، فيما يبدو .
فالأيدي والوجهان منها كانت كلها ملطخة بالدم ،
وكذلك خنجرهما ، وقد وجدناهما غير ممسوحين
على وسادتيهما : راحا يحملقان وقد طار رشدهما ،
ولا يؤتمنان على حياة إنسان .

مكبث: آه ، ومع ذلك فإنني نادم على هَوَجِي ،

إذ قتلتهما .

مكدف : لم فعلت ذلك ؟

مكبث : ومن يقدر أن يكون حكيماً ومنذ هلاً ، معتدلاً وهائجاً ،
موالياً وحيادياً ، كلها في آن معاً ؟ لا أحد .

إندفاع حبي العنيف

تخطى العقل الذي أراد أن يوقفه . - هنا رقد دنكن ،
فضيَّ اهايه موشى بذهبيِّ دمه .

وطعناته الفاغرة أشبه بثغرة في الطبيعة
ينفذ منها الخراب والدمار : وهناك القاتلان .

ونحنجراهما غارقان في لون مهنتهما ،

يكسوهما النجيع بلا حياء . من يستطيع الإحجام عندها ،

وله قلب يحب ، وفي قلبه ذاك

جراً على إعلان حبه ؟

ليدي مكبث : اسعفوني من هنا !

مكدف : اعتنوا بالسيدة (21)

مالكولم : (جانياً لأخيه دونالدين) لماذا نمسك اللسان ونحن أحق الجميع
بهذه القضية ؟

دونالين : (جانياً لمالكولم) ما الذي نقوله

هنا ، حيث مصيرنا ، مخفياً في خُرم مخزّن ،

قد ينطلق ويمسك بتلابيبنا ؟ لنرحل :

دموعنا لم تقطُر بعد .

مالكولم: (جانبياً لدونالدين) ولا حزننا العميق
بدأ يتحرك .

بانكويو: اعتنوا بالسيدة .

(تحمل ليدي مكبث إلى الخارج)

وعندما نكون قد أخفينا ضعفنا العاري
الذي إنها يشتد بالتعرض ، (22) لنجتمع ،
ونحقق في هذه الفعلة الدامية الشنيعة
لنعرف المزيد . المخاوف والشكوك تهزنا :
إني أقف في يد الله العظمى : ومن هناك
أصارع خطة مكتومة
ملؤها الحقد والخيانة .
مكدف: وهكذا أنا .

الجميع: وهكذا نحن جميعاً .

مكبث: دعونا نرتد بسرعة ما يليق بالرجال ،
ونجتمع في القاعة معاً .
الجميع: موافقون .

(يخرج الجميع سوى مالكولم ودونالدين)

مالكولم: ماذا ستفعل ؟ لن نجتمع معهم .

ما أسهلها مهمة على الخائن

أن يبدي حزناً لا يشعر به ! سأذهب إلى انكلترا .

دونالدين: وأنا إلى إرلندة : تفريق مصيرينا .

أدعى لسلامتنا كلينا . فحيثما نحن ،
ستكمن الخناجر في بسطات الرجال : وأقربهم دماً إلينا ،
أقربهم إلى إدمائنا .

مالكولم : هذا السهم القاتل الذي أطلق
لم يقع بعد ، واسلم السبل لنا
تجنبُ الهدف . إذن إلى الخيل !
دعنا من مجاملات الوداع ،
ولنغادر خلصة . إذا ما الرأفة انعدمت
كان في الخلصة ما يبررها حين تسارق نفسها .

(بمخرجان)

المشهد الرابع (23) خارج القلعة

(بدخل روص وشيخ)

الشيخ : ستين سنة وعشرا ، أذكر جيداً .
في هذا الرده من الزمن رأيت
ساعات مخيفات ، وغرائب مدهلات ، غير أن هذه الليلة
الليلاء

أتفهمت كل ما عرفته فيها مضى .

روص : أيها الأب الكريم ،

إنك ترى السموات وقد اضطربت بفعل الإنسان ،
تهدد مسرحه المدمى : إننا حسب الساعة ، في النهار ،
غير أن الليل المظلم يخلق مصباح السماء المُنْصَنَى :
أسلطان الليل هو ، أم عار النهار ،

أن يقبر الظلام وجه الأرض

حين ينبغي للنور أن يقبّله ؟

الشيخ : شذوذ عن الطبيعة

كالفعلة التي فُعلت . يوم الثلاثاء الماضي

إذ راح صقر يخلق إلى شامخ عليائه ،
 انقضّ عليه بومٌ بحجم الفأر وقتله .
 روص : وخيول دنكن (أمر عجيب ومؤكد)
 وهي الجميلة السريعة ، حبيبة نسلها ،
 استحالت بطبيعتها إلى حُصن هائجة ،
 وكسرت معالفها وانطلقت
 تقارع الطاعة ، كأنها تريد
 إعلان الحرب على البشر .
 الشيخ : يقال أنها أكل بعضها بعضاً .
 روص : أي والله ، وأنا واقف مأخوذاً
 أنظر إليها .

(يدخل مكدف)

هذا مكدف الكريم قادم .
 كيف يجري العالم الآن ، يا سيدي ؟
 مكدف : ألا ترى ؟
 روص : هل عرفتم من الذي اقترف هذه الفعلة الأكثر من دامية ؟
 مكدف : الرجلان اللذان صرعهما مكبث .
 روص : واعجباه !
 وما النفع الذي قد يطمعان فيه ؟
 مكدف : كانا مدفوعين .
 مالكولم ودونالين ، ابنا الملك الاثنان ،

تسللا وهربا: الأمر الذي يجعلها
 موضع الشبهة فيما حدث.
 روص: خروج على الطبيعة أبداً.
 يا طموحاً مفرطاً، تلتهم
 حتى ما يمدك بحياتك! - فالأرجح إذن أن الملكية ستقع
 لمكبث.

مكدف: لقد أعلن ملكاً، وذهب إلى «سكون» (24).
 لكيا يتوج.

روص: وأين جثمان دنكن؟
 مكدف: حملوه إلى كولم كيل،
 حيث أضرحه أسلافه.
 إنها حارسه عظامه.

روص: أتذهب إلى «سكون»؟
 مكدف: لا يا ابن العم. بل إلى فايف.
 روص: حسناً سأذهب أنا إليها.
 مكدف: قد ترى هناك أشياء يحسن صنعها، وداعاً!
 لئلا تلائمنا أرديتنا القديمة أكثر من الجديدة!
 روص: (للشيخ) وداعاً أيها الأب.

الشيخ: رافقتك بركة الله ورافقت كل من
 يجعل من الشر خيراً، ومن الأعداء أصدقاء!

هوامش :

- (1) على الأرجح ، حزامه والخنجر المحمول به .
- (2) يتعمد مكبث أن يجعل وعده لبانكورو مبهماً ، ويفهم منه بانكورو أنه يتحدث عن حالة موت دنكن موتاً طبيعياً ، فلا يفترق بانكورو ، بطلب المزيد من الشرف ، فعلاً يشين ولاءه .
- (3) هذا التناقض بين الحواس يرد ذكره عدة مرات في أثناء المسرحية .
- (4) «هكاته» هي ربة السحر والسحرة في العصور الكلاسيكية والوسيطه . وكان المعتقد أن السحرة في طقوسهم يتهللون إليها .
- (5) طاركوين ، أحد طغاة التاريخ الروماني القديم ، عاش في القرن السادس ق . م . تسلسل ليلاً إلى غرفة زوجة ابن عمه لوكريسيا واغتصبها ، في غياب زوجها . فاستنجدت بزوجها وأبيها ، وعندما أتيا إليها أخبرتهما بما حدث وطالبتهما بالانتقام لها ، ثم انتحرت . وقد أدى ذلك إلى حرب أهلية بين المدن الرومانية . و«اغتصاب لوكريسيا» من المواضيع التي اهتم بها الكثيرون من فناني وكتاب النهضة ، ولشكسبير قصيدة طويلة تحمل هذا العنوان .
- (6) في الليلة السابقة لتنفيذ الإعدام ، كان يرسل إلى المحكوم قارع ناقوس ليفرته السلام ، - أرهب سلام يسمعه إنسان .
- (7) كان يعتقد أن صوت الزيزان في الليل ينذر بالموت .
- (8) تقصد مالكولم ودونالدين ، ابني الملك ، وليس الحارسين ، والغريب أن ليدي مكبث لم تذكر من ابني الملك إلا الولد الأصغر .
- (9) الترجمة الدقيقة لهذا البيت يجب أن تكون : «النوم الذي يحوك قماشه الهم المتسللة» ، ويقصد شكسبير بذلك : قماشه النفس إذا نسلها الهم ، أعاد النوم حياكتها .
- (10) يبدو أن الحلو كان في القدم هو الطبق الأول في العشاء ، يتلوه طبق اللحم (المغذي الأكبر) كطبق ثان .
- (11) لا ريب أن في هذه العبارة صدى للعبارة الإنجيلية (متى ، 18 ، 9) ، التي يقول فيها السيد المسيح : «إن عينك سبيت لك الإثم فاقلعها ، والحقها عنك ، فخير لك أن تدخل الحياة وأنت أعور من أن يكون بك عينان وتلقى في نار جهنم . » لاحظ أن الإشارة إلى جهنم سترد بعد قليل في مشهد البواب .

(12) نبشون إله البحار.

(13) «مشهد الباب» هذا. كما يسمى هذا المشهد في النقد الشكسبيري، موضوع لكتابات وتأويلات كثيرة، منهم من قال أنه ضروري لأنه يعطي مكبث وزوجته مجالاً لفصل أيديهما وارتداء ثياب النوم. ومنهم من قال مع كولردج أنه مشهد كتبه قلم غير قلم شكسبير ولكن سوافقته، ومنهم من يرى أنه شكسبيري جداً بمعانيه الضمنية وكنائياته وأنه قد يكون هنا للترويج الكوميدي المؤلف في لحظات المأساة العنيفة، غير أنه أيضاً يصور القلعة وكأنها جحيم بها فيها من شياطين، ويصبح الباب «باب جهنم»، كما يرد في المسرحيات القروسطية الدينية.

(14) لأن الأسعار حيثئذ مستخفض كثيراً.

(15) في عام 1606 أقيمت قضية مشهورة على الأب اليسوعي غارنيت، الذي اتهم بأنه كان ضالماً في «مؤامرة البارود» التي استهدفت نسف البرلمان الإنكليزي. وقد قيل عنه، لبراعته الكلامية، إنه يتكلم بلسانين، أي يقول أقوالاً تحمل معنيين متناقضين لخدمة غرضه. وبعد أن أعدم الأب اليسوعي بتهمة الخيانة العظمى، جرى كلام كثير ولمدة طويلة حول هذا النوع من المراوغة اللفظية (Equivocation) وأدخل العديد من الكتاب إشارات إليها فيما يكتبون. وهنا واحدة منها. وقد اعترف غارنيت بأن هذا النوع من الكلام بالنقيضين مبرر إذا كان هدفه نبلاً، وهو مقاومة الكنيسة الكاثوليكية اضطهاد الدولة، قائلاً إذا كان القانون جائراً فإن خرقه لا يعتبر خيانة. من المهم أن نلاحظ هنا التوازي بين غارنيت، ومكبث، إذ أن مكبث أيضاً جعل يتكلم بلسانين.

(16) الخياط في الكتابات الإنكليزية القديمة موضوع تنذر كثير. وهو يتهم عادة بسرقة القماش والسروال الفرنسي، الذي كان أهل «الموضة» من الخياطين يقلدون به فرنسا، كان موضوعاً آخر للتنذر عن الإليزابيثيين. وهو عادة فضفاض. يبدو أن المعنى هنا هو أن «الموضة» الفرنسية تغيرت فجأة، وغدا السروال ذا طراز ضيق، فسرقت الخياط ما زاد لديه من قماش، غير أنه ضُبط الآن «بالبجرم المشهود». والمنطوي من هذا كله هو أن المزارع، وذا اللسانين، والخياط، مآلهم إلى جهنم لا لخطاياهم وحسب، بل لمغالاتهم في الثقة حينما يذنبون.

(17) هل كان يعلم شكسبير أن دانتلي، في «الكوميديا الإلهية» وضع الذين يخونون بلدهم وضيوفهم وأقرباءهم وأصدقاءهم، في الحلقة التاسعة من الجحيم، وهي الحلقة المتجمدة؟ وكل هذه الخيانات تنطبق على مكبث.

(18) طير الظلام هو اليوم شكسبير يوحى هنا بانطلاق قوى الزوبعة والدمار، كقوى شيطانية شريرة، لتطفئ على قلعة مكبث، والعالم المحيط بها.

(19) الإشارة إلى أن الملك هو الذي مسح بزيت الله، تعود إلى العبارة الواردة في سفر صموئيل الأول، 14، 10: «الممسوح بزيت الرب»، والإشارة إلى الهيكل وحياته، تعود إلى رسالة القديس بولس الثانية إلى أهل كورنثس، 6، 16: «إنكم هيكل الله الحي». شكسبير يضغط الفكرتين معاً، ليصور الهول في مقتل امرئ هو ملك وإنسان معاً.

(20) ميدوزة في الأساطير الإغريقية إحدى أخوات رعب ثلاث، شعورهن أفاع، وخن أجنحة ومخالب، وأنياب. ومن كان ينظر إلى ميدوزة، تحول في الحال إلى حجر.

(21) يغمى على الليدي مكبث، فعلاً أو تظاهراً. ويجري الحوار الجانبي التالي بينما يسعفها المرافقون والخدم.

(22) من الصور الكثيرة المستمدة من الملابس في هذه المسرحية، ضعف المرء يشتد إذا بقي معرضاً، كالجسد العاري. يقصد بالضعف الحزن الشديد الذي يجعلهم بذرفون الدموع.

(23) هذا المشهد يلعب دور الكورس. وبإشاراته إلى النذر الرهيبة يؤكد على أن في مقتل دنكن خروجاً على سنن الطبيعة، ثم يتحدث عن نجاح شخطات مكبث، ويوحى إلينا بمرورة مكدف.

(24) «سكون» هي المدينة الملكية القديمة التي كانت في الأغلب عاصمة مملكة «البكت» القديمة وهي على بعد ميلين شمالي «بيرث» في اسكوتلندة. وفيها «حجر المصير» الذي كان ملوك اسكوتلندة يجلسون عليه عندما يتوجون، وكان المعتقد أنه وسادة يعقوب التي يرد ذكرها في الثوراة، وقد سرقه إدوارد الأول عام 1296 من كنيسة وستمنستر بلندن.

الفصل الثالث

المشهد الأول

فورس . . . في غرفة القصر

(يدخل بانكورو⁽¹⁾)

بانكورو : تحققت لك الآن كلها : فأنت الملك ، وكودوز ، وغلامس ،

كما وعدت نسوة القدر . وأخشى

أنك لعبت لعبة جد غادرة من أجلها . ولكنه قيل

إنها لن تستمر في خلفك ،

بل أنا الذي سأكون الأصل والوالد

لملوك كثيرين . فإذا صدر عنهن أي صدق

(وأقوالهن عليك يا مكبث قد أشرقت)

إذن ، قياساً على الحقائق التي تأكدت عليك ،

أفلا يجوز أن يَكُنَّ مَوْحَى النبوءة لي أيضاً .

وَيُنْهَضُن في نفسي الأمل ؟ ولكن ، صمتا ، كفى .

(صدح أبواق . يدخل مكبث ملكاً ، ليدي مكبث ملكة ،

لينوكس ، روص ، لوردات ، ومراققون) .

مكبث : ههنا ضيفنا الأكبر !

ليدي مكبث : لو كان قد نُسي ،

لكان غيابه كفجوة في وليمتنا الكبرى ،
وغير لائق أبداً .

مكبث: سيدي ، إننا الليلة نقيم عشاء رسمياً ،
وأرجو حضورك

بانكوي: فلتأمروني ، رفعتكم ،
فواجباتي موثوقة بكم إلى الأبد
برباط لا يُفصم .

مكبث: أذهب أنت بعد ظهر اليوم؟

بانكوي: نعم ، مولاي الكريم .

مكبث: لَكُنَّا نود حسن مشورتكم
(وهي التي كانت دوماً جادة ونافعة)

في مجلس اليوم . ولكن سنرضى بيوم غد .
أتذهب بعيداً؟

بانكوي: على بعد ما يملأ الزمن ، يا مولاي ،

بين هذه الساعة والعشاء . وإذا لم يحسن حصاني الركض ،
فلا بد لي من أن أستعير من الليل
ساعة ظلام أو اثنتين .

مكبث: لا تفوتك وليمتنا .

بانكوي: قطعاً لا ، يا مولاي .

مكبث: سمعنا أن ابني عمنا المجرمين يقيمان

في انكلترا ، وفي ايرلندا ، ولا يعترفان

بقتل أبيهما بقسوة ، ويملآن من يصغي إليهما
 تلفيقات غريبة . ولكن لنرجىء ذلك إلى يوم غد ،
 حين سيكون لدينا ، إلى هذا ، من قضايا الدولة
 ما يحتاجنا معاً . أسرع إلى حصانك : وداعاً ،
 حتى عودتك في الليل . أذهب فليانس معك ؟
 بانكورو : نعم ، مولاي الكريم . وقتنا يستدعينا .
 مكبث : أرجو لخصائكما سرعة الإنطلاق ، وثبات الخوافر .
 وليهنأ كل منكما على صهوة جواده .
 أستودعك الله .

(يخرج بانكورو)

ليكن كل رجل سيد وقته
 حتى الساعة هذا المساء .
 ولكي نزيد من حلاوة الترحاب بالحفل .
 سنختلي بأنفسنا حتى ساعة العشاء :
 وحتى ذلك الحين ، كان الله معكم .

(يخرج الجميع ، سوى مكبث وخدام)

يا هذا ، كلمة معك .
 هل ذاك الرجلان في إنتظار فراغنا ؟
 وخدام : نعم يا مولاي ،
 خارج بوابة القصر .
 مكبث : أحضرهما أمامنا .

أن نكون هكذا ليس بشيء
 إنما أن نكون هكذا ونحن آمنون : (2)
 مخاوفنا من بانكورو
 عميقة الوخز، وفي طبعه الخلق بالملوك
 يسود ما يجب أن أخشاه . إنه يجرأ على الكثير،
 وهو إلى معدن ذهنه المقدام
 يتمتع بحكمة ترشد شجاعته
 إلى الفعل بأمان . ليس ثمة من أخشاه
 إله ، وملاكي الحارس إزاءه مهين ،
 كما كان ملاك أنطونيو ، على ما يقال ، إزاء قيصر .
 لقد عثف «الأخوات» .
 عندما قلدني ملكاً أول مرة ،
 وأمرهن بمخاطبته . وعندها ، كالأنبياء ،
 حينه أبا لسلالة من الملوك .
 تاجاً عاقراً وضعن على رأسي ،
 وصورلجاناً عقيماً في قبضتي ،
 لكيما يُنتزع منها بيد من غير ما سلالة ،
 فلا يخلفني ولدي . إن يكن الأمر هكذا ،
 فأنا ما لوثت ذهني إلا لذرية بانكورو!
 من أجلهم قتلت دنكن النيل ،

ووضعت الأحقاد في كأس سلامي ،
 من أجلهم فقط ، وجوهرتي الخالدة (3) .
 سلّمتها عدوّ البشر جميعاً ،
 لكيما أجعلهم ملوكاً ، يَزِرَ بانكرو ملوكاً !
 رفضاً مني لذلك ، تعال أيها القَدَرُ إلى الحلبة ،
 واطلب نزالي حتى الرموق الأخير !
 من هناك ؟

يدخل الخادم ثانية ومعه قاتلان
 والآن ، إذهب إلى الباب ، وامكث هناك حتى ندعوك .
 (يخرج الخادم)

أمس تحدثنا معاً أليس كذلك ؟
 قاتل 1 : بلى ، يا صاحب الجلالة .
 مكبث : حسناً . هل تأملتما فيما قلته لكما ؟
 أتعلمان أنه كان هو الذي ، في زمن مضى ،
 أخفض من قدركما في حين وضعتما الظنّة (4)
 فيّ أنا البريء ؟ وهذا ما أثبته لكما
 في إجتماعنا الأخير ، وتتبعتم معكما البرهان ،
 كيف أنكما خُذعتما ، وأُحبطتما ، ومن هم الوسائط ،
 ومن عمل معهم ، وغير ذلك من الأمور التي
 بوسعها أن تقول حتى لمن لا يملك من الروح
 إلا نصفها ، ومن العقل إلا المختل :

«هذا ما فعله بانكورو»

قاتل 1: وضحت لنا ذلك .

مكبث: أجل ، ثم إنتقلت إلى الأمر الذي هو الغرض من اجتماعنا هذا الثاني . هل تجدان

الصبر سائداً في الطبع منكم

فتستطيعان إغفال هذا؟ هل لُقِّتُمَا الانجيل فأردتما الصلاة لهذا الرجل الطيب ، ونسله (5)

هذا الرجل الذي أحنت يده ظهوركم للقبر، وأحوجت أولادكم للتسول حتى الأبد؟

قاتل 1: رجال نحن ، يا مولاي .

مكبث: نعم ، في كتاب الدليل أنتم رجال .

فالسلوقي ، وكلب الصيد ، والهجين ، والجرو ، وكلب الماء ، وشبيه الذئب ،

تدعى «كلاباً» كلها . أما الملف الثمين

فيميز بين السريع ، والبطيء ، والمرهف ،

وحارس المنزل ، والمطارد ، كل

حسب الموهبة التي جعلتها الطبيعة المعطاة

مرصعة فيه . وبهذا يكتسب

صفة خاصة ، إضافة إلى القائمة

التي تدرج الكلاب كلها سواسية . وهكذا الرجال .

فالآن إن كانت لكما منزلة في الدليل

ليست في أحط مراتب الرجولة ، أخبراني بها .
 ولسوف أجعل في الصدر منكما مهمة
 يقضي تنفيذها على عدوكما ،
 ويشدكما إلى القلب والحب منا ،
 فقد باتت الصحة منا في مرض بحياته ،
 ولنكونن بموته في أحسن حال .

قاتل 2: إني امرؤ يا مولاي
 أغضبه كلمات الدنيا وضرباتها الدنيئة ،
 فما عدت آبه ماذا أفعل
 لأکید للدنيا .

قاتل 1: وأنا امرؤ آخر
 أنهكته النكبات ، وقارعتة الأيام ،
 فجعلتُ حياتي رهنَ أي مجازفة ،
 أصلحها بها أو أخلص منها .

مكث : كلاكما يعلم
 أن بانكرو كان عدوكما .

قاتل 2: صدقت ، سيدي .

مكث : وهو عدوي أيضاً . وعلى مقربة دامية مني
 حتى لتطعنني كل دقيقة من كينونته

في حشاشتي : ومع أن بوسعي
 أن أكنسه عن ناظري بقوة سافرة ،

وأمر إرادتي بالمصادقة عليها ، فإن علي ألا أفعل ذلك ،
 من أجل أصدقاء معينين هم أصدقاء لي وله معاً ،
 لا يمكنني التخلي عن حبهم ، بل سأبكي سقوطه
 وأنا الذي صرعته : ومن هنا

فإني أطلب ودكما ومساعدتكما ،
 حاجباً الأمر عن أعين العموم
 لأسباب خطيرة شتى .

قاتل 2: لسوف نؤدي يا مولاي
 ما تأمروننا به .

قاتل 1: حتى ولو أن حياتنا . . .

مكبث: الحيوية تتوهج من خلالكما . في غضون الساعة هذه ، على الأكثر ،
 سأشير عليكما أين تزرعان نفسيكما ،
 وأعلمكما بالساعة المثلى ،

بل باللحظة عينها ، لأنها يجب أن تفعل الليلة ،
 وعلى مبعدة ما من القصر ، فالمحسوب دائماً
 أنني بحاجة إلى ما يرثني :

ولكي لا تبقى في العملية عاهة أو عيب ،

فإن ابنه فليانس ، الذي يرافقه ،

والذي يهمني غيابه

بقدر غياب أبيه ، يجب أن يلقي معه مصير

تلك الساعة السوداء . . . قرا على إنفراد .
 سأتيكما بعد قليل .

قاتل 2: لقد قررنا يامولاي

مكبث : سأدعوكما حالا . إنتظرا في الداخل .

(يخرج القاتلان)

خُتم الأمر! وإذا كانت روحك الطائرة يا بانكورو
 ستلقى السماء ، فعليها بالبحث عنها هذه الليلة!

(يخرج)

المشهد الثاني فورس . . . غرفة أخرى

(تدخل ليدي مكبث وخادم)

ليدي مكبث : هل غادر بانكورو البلاط ؟
خادم : نعم ، سيدتي ، وسيعود الليلة ثانية ،
ليدي مكبث : قل للملك أنني في إنتظار فراغه
لبضع كلمات معه .
خادم : سأفعل ، سيدتي .

(يخرج)

ليدي مكبث : حيثما تتحقق منا الأمنية ولا يتحقق الرضا ،
نكنُ لا شيئاً كسبنا ، وأنفقنا كل شيء :
انه لأسلم لنا أن نكون ما نحطم
من أن نقوم بتحطيم الآخرين في فرح مليء بالريب .

(يدخل مكبث)

مالي أراك يا مولاي تعزل نفسك وحيداً
جاعلاً من أبأس الخيالات رفاقاً لك ،
محتضناً تلك الخواطر التي كان عليها أن تموت

مع الذين تتردد هي عنهم؟ كل ما استعصى على العلاج
 يجب أن ينأى عن الفكر: ما صار قد صار.
 مكبث: لقد جرحنا الأفعى، ولم نقتلها.
 لسوف تلتئم، وتكون ما كانت، بينما يبقى
 حقدنا المسكين في خطر من نابها الأصلي.
 ولكن ألا فلينقصم هيكل الأشياء،
 ولتضطرب هذه الدنيا والآخرة،
 قبل أن نقتات طعامنا خوفاً، وننام
 في كرب من هذه الأحلام الرهيبة
 التي تزلزلنا كل ليلة. خير لنا أن نكون مع الموتى
 الذين، كسبا لسلامنا، أرسلناهم لسلام أبدي،
 من أن نرقد على عذاب النفس
 في اختبار لا يقر. دنكن في قبره.
 إنه بعد نوبات حمى الحياة في نومة عميقة.
 الخيانة فعلت اسوأ فعلها: لا الفولاذ، ولا السم،
 لا الحقد الأهلي ولا الجيش الأجنبي
 بقادر أن يمسّه بعد!
 ليدي مكبث: هيا، مولاي الكريم،
 لتبسط أسارير وجهك المكفهرة،
 وكن مشرقاً ضحوكاً بين ضيوفك الليلة.
 مكبث: سأكون، يا حبيبتى. وأرجو أن تكوني كذلك أنت أيضاً.

وجهمي همك نحو بانكورو:

هبيه الصدارة، عيناً ولساناً معاً.

نحن لن نسلم ما دمنا

نكره على غسل شرفنا بسيول النفاق هذه،

وجعل وجوهنا أقنعة لقلوبنا،

لتخفي حقيقتها.

ليدي مكبث: يجب أن تكف عن ذلك!

مكبث: آه، مليء بالعقارب ذهني، زوجتي العزيزة!

أنت تعلمين أن بانكورو وابنه فليانس في قيد الحياة.

ليدي مكبث: ولكن عَقْدَ الحياة فيهما ليس بالأبدي.

مكبث: ثمة عزاء بعد. مهاجمتها ممكنة.

فامرحي... قبل أن ينطلق الوطواط في طيرانه

بين الأوراق، وقبل أن تدعو «هكاته» السوداء

خنفساء الحراشف لتقرع بطنينها الناعس

جرس الليل المتائب، ستُفعل

فعلة خفيفة النبرة.

ليدي مكبث: وما هي؟

مكبث: كوني بريئة من العلم بها، فرختي الحبيبة،

إلى أن تهتفي لها. تعال يا ليل، يامُغْمِضَ العيون، واعصب

العينَ الحنون من النهار الشفيق

وبيدك الخفية الدامية

إلغ ، ومزَّق قطعاً ، ذلك العَقْدَ العظيم⁽⁶⁾
الذي يبقيني في شحوب !
أخذ الضوء يكشف . والغراب يطلق الجناح نحو غابة العقبان .
طيات النهار جعلت تتهدّل وتتناقص ،
وعملاء الليل السود راحوا ينشطون للفريسة .
أتعجبين لكلهاتي ؟ هدئي روعك ،
كل ما بالشر يبدأ ، إنها بالشر يقوى .
إذن ، أرجوك ، هيا معي .

(يخرجان)

المشهد الثالث

فورس . . . حديقة فيها
طريق يؤدي إلى القصر

(يدخل ثلاثة قتلة)

قاتل 1: ولكن من أمرك بالإنضمام إلينا؟
قاتل 3: مكبث⁽⁷⁾.

قاتل 2: لا حاجة بنا إلى الريبة فيه ، ما دام يعين لنا
وظيفتنا ، ومهمتنا ،
وفق التعليمات الدقيقة .

قاتل 1: إذن : قف معنا .

ما زال الغرب يومض بخيوط من نهار:
والمسافر المتأخر يُعَجِّل من سيره الآن ،
ليبلغ الخان مبكراً ، وقريباً أخذ يدنو
موضوع كميننا .

قاتل 3 : أصغيا ! أسمع خيلاً .

بانكوو : (من الداخل) أعطونا ضياء ، يا قوم !

قاتل 2: إذن أنه هو . أما الآخرون

الدرجةون في قائمة المدعوين

فقد سبق أن وصلوا القصر.

قاتل 1: خيله طليقة.

قاتل 3: لحوالي الميل. ولكن ذلك من دأبه،

كغيره من الرجال، فهم من هنا حتى بوابة القصر
يسيرون على القدم.

(يدخل بانكرو وفليانس ومعه مشعل)

قاتل 2: ضياء! ضياء!

قاتل 3: إنه هو!

قاتل 1: تهبأوا!

بانكرو: ستمطر الليلة.

قاتل 1: ولتنهمر!

(القاتل الأول يطفىء المشعل، بينما يهجم الآخران على بانكرو)

بانكرو: آه خيانة! أهرب يا فليانس، أهرب، أهرب!

لعلك تنتقم. أيها العبد!

(يموت بانكرو، ويهرب فليانس)

قاتل 3: من أطفأ المشعل؟

قاتل 1: ألم تكن هي الطريقة؟

قاتل 3: واحد وقع فقط. الإبن هرب.

قاتل 2: لقد أضعنا النصف الأفضل من مهمتنا.

قاتل 1: آ، لنذهب

ونخبر عن مدى ما أنجز.

(يخرجون)

المشهد الرابع قاعة فخمة في القصر... وليمة مهياة

(يدخل مكبث، ليدي مكبث،

روص، لينوكس، لوردات، ومرافقون)

مكبث: إنكم تعرفون مراتبكم، فاجلسوا... بدءاً
ومنتهى، من قرارة قلبي أرحب بكم.
لوردات: شكراً لجلالتكم.

مكبث: ونحن سنخالط الحفل
لنقوم بدور رب البيت المتواضع.
ربة البيت تلزم عرشها. ولكن إذ يحين الأوان
سنطلب إليها الترحيب بكم.

ليدي مكبث: أغلنها عني، سيدي، لصحبنا جميعاً
لأن قلبي يتكلم - إنهم هنا على الرحب والسغة.

(يدخل القاتل الأول، عند الباب)

مكبث: أنظري، إنهم يقابلونك بالشكر من قلوبهم.
الجانبان متساويان كلاهما: هنا سأجلس أنا في الوسط.
كونوا أحراراً في المرح... لحظة، وسنشرب نخباً.

لكل من على المائدة

(يذهب إلى الباب)

على وجهك دم .

قاتل: إذن فهو دم بانكرو

مكبث: عليك من الخارج ، ولا فيه من الداخل !

هل أجهزت عليه ؟

قاتل: مولاي ، قُطع عنقه .

أنا الذي قطعته .

مكبث: إنك أبرع من قطع العنق .

ولكن بارع أيضاً من فعل ذاك بفليانس .

فإن كنت أنت ، فإنك الذي لا يضاهى .

قاتل: مولاي صاحب الجلالة . . . فليانس هرب .

مكبث: إذن عادت نوبتي من جديد : وإلا كنت في أفضل حال ،

سليماً كالرخام ، ثابتاً كالصخر ،

حرّاً طليقاً كالهواء المحيط بي .

أما الآن ، فإنني محشور ، محصور ، مُحْتَبَس ، تكبلني

لجُوع المخاوف والشكوك . ولكن بانكرو سليم ؟

قاتل: نعم ، مولاي الكريم ، سليم مقيم في خندق ،

وفي رأسه حفرت عشرون طعنة

أصغرُها موتٌ للطبيعة .

مكبث: أشكر لك ذلك .

هناك ترقد الأفعى الكبرى . أما الأفعى التي هربت
فمن شيمتها أن تولد السم مع الزمن ،
وإن تكن الآن بلا أنياب . أخرج ، وغداً
نتباحث معاً ثانية .

(يخرج القاتل)

ليدي مكبث : مولاي صاحب الجلالة ،
إنك لا تجود بالبشاشة : وما الوليمة إلا بيع وشراء
إن لم تؤكد مرةً بعد مرة ، وهي جارية ،
بأنك بالترحاب تقيمها ، خير ما يأكل المرء ، في بيته .
أما خارج البيت ، فتوابل الطعام الإحتفاء
واللقاء بدونه لا طعم له .
مكبث : مُذكرتي العذبة !
هنيئاً مريئاً أيها الصاحب ،
وصحة للجميع !

لينوكس : هلا تفضلتم بالجلوس جلالتم ؟
مكبث : لكان فخرُ بلادنا الآن تحت هذا السقف
لو أن شخص بانكرو الكريم حاضر بيننا .

(يدخل شبح بانكرو ، ويجلس في مكان مكبث)

وأنا شديد العتبي عليه لعدم لطفه ،
أكثر مني عطفاً لطاريء ربا قد حل به .
روص : غيابه ، يا سيدي ،

يوقع اللوم على وعده . هلا آنستمونا

جلالتكم بالجلوس معنا؟

مكبث: المائدة ملاءى .

لينوكس: (مشيراً إلى الكرسي الذي جلس فيه بانكورا)

هنا مكان مخصص ، سيدي .

مكبث: أين؟

لينوكس: هنا ، مولاي الكريم ، ما الذي يثيركم؟

مكبث: من منكم فعل هذا⁽⁸⁾؟

لوردات: ما هو، يا مولاي؟

مكبث: لن تقدر أن تقول ، أنا الذي فعلتها . لا تهزلي
بخصلاتك الدامية .

روص: أيها السادة ، إنهضوا : جلالتهم متوعلك .

ليدي مكبث: اجلسوا ، أيها الصاحب الكرام . كثيراً ما يكون مولاي هكذا ،

منذ شبابه : أرجوكم ، أبقوا في مقاعدكم .

تدوم النوبة برهة ، وبسرعة الخاطر

يعود ثانية إلى صحته . أن تركزوا عليه ،

تسيئوا إليه وتطيلوا معاناته .

كلوا ، ولا تنظروا إليه . - أرجل أنت؟

مكبث: نعم ، رجل جسور ، يجراً على النظر

إلى ما قد يرعب الشيطان .

ليدي مكبث: أوه ! كلام هائل !

إن هذا إلا رسم من خوفك :
 إنه الخنجر المسلول في الفضاء الذي ، قلت ،
 انه اقتادك إلى دنكن . أوه ! هذه الإنتفاضات والجفلات
 زيفٌ إزاء الخوف الحقيقي ، وهي قد تليق
 بحكاية امرأة قرب نار الشتاء ،
 ترويه عن جدتها . يا للعيب !
 لماذا تشنّج قسماّت وجهك هكذا ؟ حاصلُ الأمر
 إنك إنما تنظر إلى مقعد .
 مكبث : أرجوك ، أنظري هناك !
 عايني ، أبصري ، ماذا تقولين ؟
 وما همني ؟ إن تهزّ رأسك ، تكلم أيضاً !
 إن كان لا بد للنواويس والقبور أن تعيد
 الذين ندفّنهم إلينا ، فلتكن أضرحتنا
 حواصلُ الحداث (9) .

(يختمفي الشبح)

ليدي مكبث : ماذا ! أفقدت رجولتك حُققاً ؟
 مكبث : إن كنت واقفاً هنا ، فقد رأيته .
 ليدي مكبث : خسئت ! عيب !
 مكبث : لقد سُفك الدم قبل اليوم ، في العصور الغابرة ،
 قبل أن تُبرىء الشرائع الإنسانية المجتمع
 ومنذ ذلك الحين أيضاً اقترفت جرائم

أرعب من أن تسمعها أُذُن : لقد جاء زمن
 كان المرء فيه ، إذا انسفح نحه ، يموت ،
 وفي ذلك نهاية له . غير أنهم اليوم يقومون ثانية
 وفي رؤوسهم عشرون جرحاً قاتلاً .
 ويدفعوننا عن مقاعدنا . . . وهذا أغرب حتى من جريمة
 كهذه .

ليدي مكبث : مولاي الكريم ،
 صحبتك الأشراف يتوقعونك .
 مكبث : والله نسيت .
 لا تأخذنكم الخواطر بي ، صحبتي الكرام .
 إن بي علة غريبة ، هي لا شيء
 للذين يعرفونني . أعطني خمرأ : املا الكأس .
 أني أشرب نخب فرح الذين على مائدتي كلها ،
 ونخب صديقنا العزيز بانكرو ، الذي نفتقده .
 يا ليتة كان هنا !

(يدخل الشبح ثانية)

لكم جميعاً ، وله ، نحن في ظمأ ،
 وليشرب الكل للكل !
 لوردات : واجباتنا ، وعهد علينا !
 مكبث : اذهب إغرب عن بصري ! فلتُخفك الأرض !
 عظامك لا نخاع فيها ، ودمك جامد .

لا إدراك في تينك العينين
 اللتين تحملق بهما . . .
 ليدي مكبث: اعتبروا هذا، أيها الشيوخ الأفاضل،
 أمراً معتاداً، ليس إلا.
 ولو أنه يفسد متعة الساعة.
 مكبث: ما يجسر امرؤ عليه، أبحر عليه أنا:
 أُذُنٌ دُنُوُّ الدب الروسي الحشن،
 أو الكركدن المسلح، أو النسر الهرقاني⁽¹⁰⁾
 اتخذ لك أي شكل إلا ذاك، فلن تصيب
 أعصابي الراسخة رعدة واحدة: أو، عد إلى الحياة،
 واطلب نزالي في الصحراء بسيفك،
 فإن حويت عندها رعدة، أعلن أنني
 دمية طفلة . . . عني بك، أيها الظل المريع!
 أيها الهزء الوهمي، عني بك!

(يختم في الشبح)

أف، هكذا . . . الآن وقد تلاشى،
 فإني رجل من جديد . . . أرجوكم، استكينوا.
 ليدي مكبث: طردت المرج، وفضضت الإجتماع
 بالعجيب من سوء السيطرة والنظام.
 مكبث: أيمكن أن توجد أشياء كهذه
 تعبر بنا كسحابة صيف،

دون أن تُذهلنا؟ انك تجليني أندھش
 حتى لطبعي أنا ،
 عندما أبصر الآن أن بوسعك رؤية مشاهد كهذه ،
 وتحفظين بياقوت خديك الطبيعي ،
 بينما يَبْيَضُ ياقوت خديّ فزعاً .
 روص : أية مشاهد ، يا مولاي ؟
 ليدي مكبث : أرجوكم ، لا تتكلموا . انه يتطور من سيء إلى أسوأ ،
 والسؤال يغضبه . . . في الحال ، ليلة سعيدة .
 لا تمسكوا بأصول مغادرتكم ،
 بل اذهبوا في الحال .
 لينوكس : ليلة سعيدة ، وعافى الله جلالته !
 ليدي مكبث : ليلة سعيدة لكم جميعاً !
 (يخرج اللوردات والمرافقون)
 مكبث : لا بد لمصرعه من دم ، كما يقولون . الدم يطلب الدم :
 لقد سمعنا أن الحجارة تتحرك ، والأشجار تنطلق ،
 وأن العرافة ، والإستدلال بالعلامات ، يكشفان
 عن طريق العقاقع ، والحدآت ، والغربان ،
 أعماق القتلة سراً وتكتهاً . ما هزيع الليل ؟
 ليدي مكبث : يكاد يصارع الفجر .
 مكبث : ماذا تقولين في مكدف ، وهو يتمنع بشخصه
 على أمرنا العظيم ؟

ليدي مكبث: هل طلبته، يا سيدي؟
 مكبث: سمعت ذلك صدقة. ولكنني سأطلبه.
 ليس ثمة واحد منهم إلا وجعلت في منزله
 خادماً مأجوراً لي. سأذهب غداً
 (ومبكراً سأذهب) إلى أخوات القدر:
 لسوف أستنطقنهن المزيد. فقد عزمت الآن على
 معرفة أسوأ الأمور بأسوأ الوسائل، ولصالحني
 سيعنو كل سبب. . . لقد خطوت في الدم
 بعيداً، فحتى لو لم أخض المزيد
 لكان النكوص مرهقاً كما المضي.
 في رأسي أمور غريبة ستنتقل إلى يدي،
 لا بد من فعلها قبل أن ينظر فيها أحد.
 ليدي مكبث: بك حاجة للنوم، ملِّح كل طبيعة.
 مكبث: هيا بنا إلى النوم. ما توهيم نفسي الغريب
 إلا فزع المستجد الذي تعوزه شدة المراس:
 ما زلنا بعد فتين في الفعل.

(يخرجان)

المشهد الخامس (11)

القفرء . . . رعد .

(تدخل الساحرات الثلاث ، ويلتقين بهكاته).

الساحرة 1: هه ، ما الأمر يا هكاته؟ تبدين مغضبة .

هكاته: أَلَسْتُ معذورةً ، وأنتن الشمطاوات

المتجرئات الوقحات؟ كيف جسرتن

على التعاطي والتعامل مع مكبث

بالألغاز وقضايا الموت

وأنا ، سيدة رُقاكم ،

والمبتكرة السرية لكل أذاكم ،

لم أَدْعِ قط إلى القيام بدوري

أو إبراز الروعة في فنكن وفني؟

والأسوأ أن ما فعلتن كله

كان لابن ضال عنيد ،

حقود حنيق ، كغيره

ليس يهوى إلا لما ربه ، دونكن .

أصلحن أمركن الآن : هيا

وفي وهدة آكرون (12)
قابلتني في الصباح . انه هناك
سيأتي ليسأل عن مصيره .
هين الأواني والرقى
ولوازم السحر وغيرها .
اني في الهواء لراحلة ، وسأقضي الليلة
لغاية مدمرة وقاتلة .
فعلة كبرى لا بد تقضى قبل الظهيرة . . .
عَلِقْتُ على الركن من القمر
قطرةً من بخار عميقة الأثر (13)
سألقتها قبل أن تدرك الأرض :
فإذا قُطِرَ بسحريّ الحيل
استحضرت عفاريت ملأى بالألاعيب
تجرّه بعنيف خداعها
إلى الحيرة والتخبط .
سيزدري القدر ويستخف بالموت ،
ولسوف يعلو بآماله
على الحكمة ، والنعمة ، والفرح .
وكلكن يعلم أن الغلو بالثقة
هو العدو الأكبر للبشر .

سمعاً! يدعونني . . . جنيتي الصغيرة، أنظرن!
جلست في سحابة غمام، بانتظاري . . .

(تخرج) (14)

المشهد السادس مكان ما من اسكوتلنדה

(يدخل لينوكس ولورد آخر)

لينوكس: ما قلتهُ سابقاً ينسجم مع أفكارك،
وهذا أن تسترسل في التأويل. كل ما أقول هو
أن الأمور قد صُرفت على نحو غريب. دنكن الطيب
عطف عليه مكبث: وإذا هو والله يموت.
وبانكرو الشجاع تأخر في دربه،
وهذا، لك أن تقول (إن شئت) إن فليانس قتله،
لأن فليانس قد هرب. على الرجال ألا يتأخروا في الدروب.
ومن له إلا أن يفكر بوحشية أن
يقتل مالكولم ودونالدين
أباهما الطيب؟ يا للحقيقة اللعينة!
لشد ما أحزنت مكبث! ألم يذهب على الفور،
في غضبة موالية، ويمزق المجرمين الاثنين
وقد استعبدهما الشراب، واسترقَّهما النوم؟
ألم يكن ذاك نبلاً منه؟ بلى، وحكمة أيضاً.

لأن ما من فؤاد حي إلا وكان سيفغضب
لو سمع الرجلين ينكران . ولذا فإني أقول
إنه دبر الأمور كلها خير تدبير . وإني لأحسب
لو أنه تمكن من وضع ولدي دنكن خلف رتاجه
(لا سمح الله بذلك !) ، لوجدنا

ما معنى أن يقتل المرء أباه . وهكذا فليانس .
ولكن كفى ! فمكدف من صريح كلماته ، ولأنه أخفق
في حضور وليمة المغتصب الطاغية ، سمعت
أنه يعيش مغضوباً عليه . هل تعلم ، سيدي ،
أين يقيم ؟

لورد: ان ابن دنكن الذي
يمنع عنه هذا الطاغية حق ميلاده
يقيم في البلاط الإنكليزي ، ويلقى
من الملك التقى إدوارد كل حسنى
فلا ينال حقد الدهر
من علو منزلته . . . هناك يمم مكدف وجهه
ليرجو الملك الورع ، نيابة عنه ،
أن يستنخي أمير نورثمبرلند ، والمحارب سيوارد .
عسى أننا بمساعدة هؤلاء (وببركته تعالى
تأييداً للعملية) نعود لموائدنا بالطعام ،
ولليالينا بالنوم ،

وندفع عن ولائنا ومآديننا الخناجر الدامية ،
 ونقوم بولائنا مخلصين ، ونتلقى التكريم أحراراً ،
 ثما نحن في توق إليه . . . وهذا النبأ
 قد أثار حفيظة الملك جداً ، حتى
 راح يستعد لمحاولة حربية
 لينوكس : هل أرسل في طلب مكدف ؟
 لورد : أجل ، وإذ رد باقتضاب حازم : « سيدي ، أرفض »
 أدار الرسول المكفهر ظهره ،
 وهمهم ، كأنه يقول : « ستندم على الزمن الذي
 جشمتني هذا الجواب . »
 لينوكس : وذاك أغلب الظن
 سيوصيه بالحذر ، والبقاء بعيداً
 ما تمكنه حكمته . ألا ليت ملاكاً طاهراً
 يطير إلى بلاط إنكلترا ، ويكشف
 عن رسالة مكدف قبل وصوله ، لعل بركة عاجلة
 تنزل قريباً على هذا البلد الذي يشقى
 تحت قبضته اللعينة !
 لورد : سأشفعه بصلواتي .

هوامش :

(1) في كتاب المؤرخ هولشييد، الذي اقتبس عنه شكسبير المسرحية، نجد أن بانكورو هو شريك مكبث في مقتل دنكن. غير أن بانكورو كان سلف الملك جيمز الأول، الذي اعتلى عرش انكلترا واسكوتلندة، موحدين، قبل كتابة المسرحية ببضع سنوات، فكان على شكسبير أن يعامل سلف الملك باحترام، ولأسباب درامية صرفة كان المستحسن أن يجعل مكبث وبانكورو شخصيتين متقابلتين متضادتين، ولا يعطي مكبث وزوجته أي شريك، ومع ذلك فإن كلام بانكورو هنا يوحي بأنه ضالع في الجريمة لأنه، بسبب من طموحه، أبقى سراً أمر الساحرات مع مكبث ولم يفضح ما جرى بينها.

(2) أي: أن يكون المرء ملكاً بالاسم ليس بشيء، إنما الشيء هو أن يكون ملكاً وهو آمن.

(3) أي روحه الخالدة سلمها للشيطان.

(4) يبدو من سياق الحوار هنا أن «القاتلين» في الأصل اثنان من الضباط عوقبا يوماً على سوء تصرفهما.

(5) الإشارة إلى أنجيل متى، 4، 44: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى الذين يكرهونكم، وصلوا من أجل الذين يؤذونكم ويضطهدونكم.»

(6) أي العقد الذي بموجبه يمتلك بانكورو وابنه فليانس الحياة من الطبيعة.

(7) مكبث، كأي طاغية، لا يثق في أحد، فيرسل قاتلاً ثالثاً ليتجسس على الرجلين اللذين اختارهما لتنفيذ جريمته.

(8) أي: من منكم قتل بانكورو؟

(9) أي، لكيما تمنع الأجساد من العودة من القبور، علينا أن نطعمها للحدآت.

(10) نسبة إلى هرقانيا، جنوب شرقي بحر قزوين.

(11) هذا المشهد، في الأرجح، مفحم على النص الشكسبيري، وهو من الإضافات التي كانت تستهدف إمتاع الجمهور بما تهيئه من فرصة للفرجة، والغناء، والرقص. والمعتقد أن المشاهد التي تظهر فيها هكاته في هذه المسرحية، أقحمها أفراد من الإدارة المسؤولة عن الفرقة التي كان شكسبير يكتب لها مسرحياته.

(12) سر في الحميم .

(13) كان القدامى يعتقدون أن هذه قطرة من زبد يسقطها القمر على أعشاب أو أجسام معينة بمفعول السحر القوي .

(14) كانت هكاته ترفع في «عربة مسرحية» تعلو بها البكرات ، ثم تخفيها الستائر الغضفاضة .

الفصل الرابع

المشهد الأول منزل في فورس

(في الوسط قدر كبيرة تغلي . رعد .

تدخل الساحرات الثلاث) .

ساحرة 1 : ثلاثاً مائت القطعة المخططة .

ساحرة 2 : ثلاثاً ، ومرةً أنّ الخنزير .

ساحرة 3 : اليوم يصيح : آن الأوان ، آن الأوان (1) .

ساحرة 1 : دوروا حول القدر دوروا

وارموا الحشى المسموم فيها . -

هاتي عذجومة قد رقدت تحت الحجر

واحداً وثلاثين يوماً بلياليها

تتصفّد بالزعاف ، واجعلها

في الحلة المسحورة - فيها

ستغور الآن حالاً وتمور .

معاً : يا كذح ، يا ويل ، يا ثبور ،

لهلبي يا نارنا ، قِدرنا سوف تغور .

ساحرة 2 : شُرحةٌ من أفعى آسنة

في الحلة فوّروها ،
 صوفُ خشّافٍ ،
 عينُ زخّافٍ
 عوّروها ،
 واصبغُ من ضفدع آمنة ،
 لسان كلب ،
 ومن حَلَقِ ثعبانٍ شطيّرة
 وزُباني من دودة حسيّرة ،
 ومن عَظاةٍ رِجلُها تلك الكبيرة ،
 وجناحُ بويمةٍ من السواهي
 لرُقِيّةٍ تدهو الدواهي
 في حساءٍ من جَهَنَّمَ يرغو ويثورُ
 معاً : يا كدحُ ، يا ويلُ ، يا ثبورُ ،
 لهلبي يا نارنا ، قِدرنا سوف تفورُ .
 ساحرة 3 : حراشفُ تنينٍ هذه ،
 وأنيابُ ذيب ،
 ومومياءُ سَاحرةٍ كالقنطريب ،
 ومن قِرْشَةٍ ضارية
 بأجاجها جارية
 حوصلةٌ مع المعدة .
 وجذورُ شوكران

اجتثت في الظلام ،
 مرارة مغزى ، عساليج طقوس
 إنتزعناها معاً عند الخسوف ،
 كبذ كافر يهودي
 وشفتنا تترى
 وأنف تركي أفندي
 وأصبع طفل خنيق بالولادة
 وضعته في خندق أمه القوحادة -
 هيا كفي الطبخة ، أنضجها !
 وأمعاء نمر أضيفها
 لعناصر قدرنا وهي تمور . . .
 معاً : يا كذح ، يا ويل ، يا ثبور ،
 لهلي يا نارنا ، قدرنا سوف تفور .
 ساحرة 2 : بدم السعدان أنا برّدوها :
 الرقية صارت . . هوّدوها . . .

(تدخل هكاته ، والساحرات الثلاث الأخريات) (2).

هكاته : آه ، أحستين ! أنا أثني عليكين ،
 الربح ربحي ، وربحكن ،
 عذنّ للقدر وغنّين ،
 دزنّ حولها في حلقة ،
 صخنّ كالجن وغنّين

يَتِمَّ السَّحَرُ فِي أَشْيَائِكَن .

(موسيقى ، وأغنية «أرواحنا السوداء هيا ، إلخ» .

تخرج هكاته والساحرات الثلاث الأنخريبات)

ساحرة 2 : في إبهامي وَخَزْ - إنه لدليل

على شيء قادم ، ملؤه شرٌّ وبيلُ . -

إفتحي يا أقفال

لكل من يقرع !

(يدخل مكبث)

مكبث : ما بالكن يا شُمُطَ الحَفَاءِ والسوادِ وَجُنَّةِ الليل !

ما الذي تفعلن ؟

الساحرات معاً : فعلاً لا يُسمَّى .

مكبث : أستحلفكن بالذي تحترفنه (3)

كيفما يكن سبيلكن لمعرفته ، أجبني :

حتى وإن تطلقن الرياح ، وتجعلنها تقارع (4)

الكنائس ، حتى وإن تحطم الأمواجُ الراغية

السفن وتبتلعها ،

حتى وإن تُضربُ حبةُ القمح في السنبلة ، وتقتلع الأشجار ،

وتتهاو القلاع على رؤوس قاطنيها ،

حتى وإن تُحَنَّ القصورُ والأهرام

رؤوسها على أسسها ، وتتمازج

خزائنُ بذور الطبيعة كلها في خليط كبير ، (5)

إلى أن يتخمد اندمار بالدمار، أجبني
عياً سأسأل .

ساحرة 1: تكلم .

ساحرة 2: أطلب .

ساحرة 3: سنجيب .

ساحرة 1: وقل إن كنت تؤثر السماع من أفواهنا
أو أسيادنا؟

مكبث: أدعينهم! اجعلني أرهم بعيني .

الساحرة 1: صبوا دم خنزيرة قد لَهِمَّتْ

صغارها التسعة،

وألثقوا في اللهب

شجراً أفرزته

مشتقة القتلة .

الساحرات معاً: عالياً أو سافلاً، تقدم

واكشف بارعاً عن نفسك ومهمتك .

(رعد . الطيف الأول: رأس مسلح) (6)

مكبث: قل لي: قوة مجهولة، (7)

الساحرة 1: يعلم ما بفكرك:

إسمع ما يقول، وشيئاً أنت لا تقل .

طيف 1: مكبث! مكبث! مكبث! من مكدف خذ الحذر،

احذر أمير فايف . - اصرفوني . - كفى . . . (8)

(ينزل)

مكبث: مهما تكن ، فشكراً لتنبهك الطيب لي .
 لقد أصبت في تخمين ما أخشاه . - ولكن ، كلمة أخرى . . .
 ساحرة 1 : يرفض الأوامر . هنا آخر
 أشد فعلاً من الأول .

(رعد)

الطيف الثاني : طفل دام .
 طيف 2 : مكبث ! مكبث ! مكبث ! -
 مكبث: لو كانت لي آذان ثلاث ، لأصغيت لك .
 طيف 2 : كن دمويّاً ، جسوراً ، جازماً : واسخر
 من قوة الإنسان ، فما من وليد لامرأة
 سيؤذي مكبث .

(ينزل)

مكبث: إذن ، عش يا مكدف : فيم خشيتي منك ؟
 ولكني سأجعل الحِرْزَ حُرْزِينَ ،
 واستكتب القَدْرَ تعهداً : لا ، لن تعيش (9) ،
 لكيا أقول للخوف الشاحب القلب أنه يكذب ،
 وأنا رغم جَلْجَلَةِ الرعود .

(رعد)

الطيف الثالث : طفل متوج في يده شجرة .
 ما هذا الذي

ينبجس وكأنه نسل الملوك ،
ويلبس على جبينه الطفلي
دائرة السؤدد وقمته؟
الساحرات معاً: أضغ ولا تتكلم إليه .
طيف: كن هصوراً، متكبراً، ولا يهتمك
من يتشكى ، من يتذمر، أو أين يلتقي المتآمرون :
مكبث لن يُقهر أبداً حتى
ترحف عليه غابة بيرنام العظيمة
إلى تلة دنسينان العالية .

(ينزل)

مكبث: وذلك لن يكون .
من يستطيع زحزحة الغاب ، أو أمر الشجرة
بأن تقلع جذرها المشدود بالتراب؟ يا نذائر عذبة وطيبة!
أيها الموتى المتمردون أبداً لن تقوموا ، حتى تتحرك
غابة بيرنام! ومكبث رفيع المقام سيحيا
أجل الطبيعة ، واهباً أنفاسه
للزمن وما اعتاد الناس من موت . - ولكن قلبي
يخفق لمعرفة أمر واحد: أخبرني (إن كان لفنكن
أن يعلم) ، هل ستحكم ذرية بانكوو أبداً
في هذه المملكة؟
معاً: معرفة المزيد لا تطلب!

مكبث : بل أصرّ! إن تحرمّني هذا
 ألا حلّت بكن لعنة أبدية! أعلمني -
 لماذا تغور تلك القدر؟ ما هذه الموسيقى؟

(مزامير)

ساحرة 1: عرض!

ساحرة 2: عرض!

ساحرة 3: عرض!

معاً: إعرضوا لعينيّه، وقلبه أفجعوا،
 كالظلال تعالوا، وكالظلال ارجعوا.

(عرض يتقدم فيه ثمانية ملوك، آخرهم يحمل مرآة بيده، يتبعهم بانكورو.)

مكبث : ما أشبهك ببانكورو! فلتسقط!

تاجك يسفع مقلتي : وشعرك

أيها الجبين الآخر المطوق بالذهب، كالأول . -

والثالث كسابقه . - يا أقدر الشمطاوات!

فيم تُرينني هذا؟ ورابع؟ - يا عينيّ، إنتفضا!

ماذا! أسيّمتد الخط حتى يوم القيامة؟

وآخرُ بُعد؟ - أسابع؟ لن أرى المزيد.

وهذا ثامن يظهر، يحمل مرآة

تريني العديد المزيد . . وبعضاً أرى

يحمل كرتين اثنتين وصوالج ثلاثة (10)

يا للمنظر الرهيب! - أرى الآن الصدق في هذا كله:

لأن بانكرو، بشعره المشعث المدمى ، يتسهم لي ،
 ويشير إليهم بأنهم ذريته . . ها ! أهكذا الأمر؟
 ساحرة 1: أجل مولاي ، هكذا الأمر كله . ولكن لماذا
 يتنف مكبث مبهوتاً هكذا؟

هيا بنا نشرح صدره
 ونعرض له أجمل إمتاعنا .
 سأسحر الهواء فيعزف ،
 ونرقصُ أغرب رقصاتنا ،
 عسى الملك العظيم هذا يقول لطفاً
 إن واجباتنا كفءٌ لترحابه .

(موسيقى . ترقص الساحرات ، ثم يختفين)

مكبث: أين هن؟ تلاشين؟ فلتبق هذه الساعة الذميمة
 ملعونة أبداً في تقويم الزمن!
 أدخل ، أنت الذي في الخارج هناك!

(يدخل لينوكس)

لينوكس: ما مشيئة جلالتكُم؟
 مكبث: هل رأيت أخوات القدر؟
 لينوكس: لا يا مولاي .
 مكبث: ألم يمررن بك؟
 لينوكس: قطعاً لا ، يا مولاي .
 مكبث: موبوء هو الهواء الذي يمتطينه ،

وملعون كل من فيهن يثق! - سمعت
 خبيب حصان . من الذي جاء هنا؟
 لينوكس: اثنان أو ثلاثة ، يا مولاي ، يحملون لك رسالة
 بأن مكدف قد هرب إلى إنكلترة .
 مكبث: هرب إلى إنكلترة؟
 لينوكس: نعم ، مولاي ، الكريم .
 مكبث: (جانبياً) أيها الزمن ، إنك تستبق أفعالي الرهيبة .
 الغاية الحثيثة لا يلحق أحد بها
 إذا ما الفعل رافقها . منذ اللحظة هذه ،
 سيكون أول خاطر في قلبي
 أول ما في يدي . وفي هذه الساعة بالذات
 لكيما أتوج كل فكري بفعل ، لن أفكر إلا لأنفذ .
 قلعة مكدف سأفاجئها ،
 وأصادر فايف ، وأعطي حد السيف
 زوجته ، وأطفاله ، وكل روح شقية
 هي من صلبه . لن أتفاخر كالأحق . . .
 هذا الفعل سأفعله ، قبل أن يبرد العزم .
 كفى مشاهد! - أين هم هؤلاء السادة؟
 هيا ، خذني إليهم .

المشهد الثاني فايف . . . غرفة في قلعة مكدف

(تدخل ليدي مكدف، وابنها، وروص)

ليدي مكدف: ما الذي فعل مما يستوجب هربه من البلد؟
روص: عليك بالصبر، سيدتي.

ليدي مكدف: هو لم يصبر قط:
كان هربه جنوناً. عندما لا تجعل منا أفعالنا
خونة، فإن مخاوفنا تجعلنا كذلك.

روص: أنت لا تدرين
أخوفه أم حكمته هي الدافع.
ليدي مكدف: حكمته! أن يترك زوجته، أن يترك أطفاله،
وقصره، وكل ما يملك، في مكان
يهرب هو منه؟ إنه لا يحبنا.

فهو تعوزه اللمسة الطبيعية. فالبغات المسكين، (11)
أصغر العصافير كلها، حين تكون
فراخه في العش، يقارع البوم.

الكل هو الخوف، واللاشيء هو الحب (12).

وما أقلّ الحكمة حين يكون الهرب
خارجاً على كل عقل .

روص : يا ابنة عمي العزيزة ،

أرجوك ، اضبطي نفسك . أما زوجك ،

فإنه نبيل ، وحكيم ، ومدرك ، ويعرف جيداً

نوبات المواسم . لا أجرأ على قول المزيد :

غير أن الزمان قاس عندما نكون خونة

ونحن لا نعلم ، عندما نمسك بالإشاعة

مما نخاف ، ونحن لا نعلم ما نخاف ،

بل على بحر هائج عنيف نطفو

في كل اتجاه ، ونتحرك - إسمحي لي بالذهاب :

لن أطيل غيابي ، بل سأعود ثانية .

الأمور ، في أسوأ الأحوال ، ستكف ، أو تصعد

إلى ما كانت عليه من قبل . - ابنة عمي الجميلة ،

بركاتُ الله عليك !

ليدي مكدف : (مشارة إلى ابنتها) حله أب ، ولكنه بغير أب .

روص : شديد الحماقة أنا ، وإذا أطلت المكوث

فإنني سأشين نفسي ، وأخرجك . (13)

أستأذنك في الحال . . .

(ينخرج)

ليدي مكدف : ولدي ، أبوك مات :

فيا الذي ستفعل الآن؟ كيف تعيش؟

الابن: كما تعيش العصافير.

ليدي مكدف: ماذا، أعلى الديدان والذباب؟

الابن: أعني بما أحصل عليه، مثلها.

ليدي مكدف: أيها العصفور المسكين! لن تخشى الشبكة، أو الدبق،

لا الفخ، ولا المصيدة.

الابن: ولم أخشاها يا أماء؟

إنها لا توضع للعصافير المسكينة.

وأبي لم يمت، رغم كل ما تقولين.

ليدي مكدف: بلى، لقد مات. ما الذي ستفعل بلا أب؟

الابن: بل ما الذي ستفعلن أنت بلا زوج؟

ليدي مكدف: بوسعي أن أشتري عشرين زوجاً في أي سوق.

الابن: إذن تشتريهم لتبيعهن من جديد.

ليدي مكدف: تتكلم بكل ذكائك.

وهو حقاً ذكاء كاف لمن في سنك.

الابن: هل كان أبي خائناً، يا أماء.

ليدي مكدف: أجل.

الابن: من هو الخائن؟

ليدي مكدف: هو الذي يقسم ويكذب.

الابن: وهل كل من يفعل ذلك خائن؟

ليدي مكدف: كل من يفعل ذلك خائن ويجب أن يشنق.

الابن: وهل يجب أن يشنق كل الذين يقسمون ويكذبون؟
ليدي مكدف: كل واحد منهم.

الابن: ومن يجب أن يشنقهم؟
ليدي مكدف: الرجال الشرفاء.

الابن: إذن فالكذابون والمقسمون حمقى. لأن هناك من الكذابين
والمقسمين ما يكفي للتغلب على الشرفاء، وشنقهم.

ليدي مكدف: آه، كان الله في عونك، يا قردي المسكين! ما الذي ستفعل
بلاأب؟

الابن: لو كان قد مات، لبكيت أنت عليه. وإذا لم تبكي عليه، فإن
ذلك دليل طيب على أنني قريباً سأحظى بأب جديد.
ليدي مكدف: ثرثاري المسكين، ما أعذب كلامك!

(يدخل رسول)

رسول: السلام عليك، أيتها السيدة الحسنة! أنا غير معروف لديك،
ولو أن منزلتك النبيلة معروفة تماماً لدي.

أخشى أن خطراً ما يدنو حثيثاً منك.

فإن تأخذي بنصيحة رجل متواضع،

لا تتواجدني هنا. إرحلي، مع صغارك.

أحسب أنني مغال في الوحشية، إذ أربك هكذا.

أما أن أفعل ما هو أسوأ فهو القسوة الشنيعة،

وهي التي تكاد تلم بك. حفظتك السوء!

لا أجراً على البقاء أكثر.

(يخرج)

ليدي مكدف : أين أهرب ؟
 لم أسيء إلى أحد ، ولكنتني أذكر الآن
 أنني في هذا العالم الأرضي حيث الإساءة
 كثيراً ما تُمتدح ، وفعل الخير يعتبر أحياناً
 حماقة خطيرة . فيم إذن ، وا أسفاه !
 أدفع عني دفاع المرأة
 إذ أقول لم أسيء إلى أحد ؟
 ما هذه الوجوه

(يدخل قتلة).

قاتل : أين زوجك ؟
 ليدي مكدف : أرجو ، ألا يكون في مكان خلا من القدسية
 فيستطيع رجل مثلك أن يلقاه
 قاتل : إنه خائن .
 الابن : تكذب ، يا نذلاً غليظ الشعر !
 قاتل : هاك ، يا بيضة !

(يطعنه)

يا فرخ الخيانة !
 الابن : قتلني ، أماه !
 أرجوك ، اهرب !

(يموت) (تخرج ليدي مكدف وهي تصيح «قتلة !» والقتلة يلحقون بها .)

المشهد الثالث (14)

انكلتره . . . غرفة في قصر الملك

(يدخل مالكولم ومكدف .)

مالكولم : لنبحث عن ظل بائس مهجور، وهناك
فلنفرغ بكاء ما في الصدر الحزين منا .

مكدف : بل أخرى بنا

أن نقبض السيف القاتل بشدة، وككرام الرجال
نصمد في الدفاع عن مسقط رأسنا الجريح . في كل صباح
جديد

تنوح أرامل جديدات، ويزعق أيتام جدد، وويلات جديدة
تصفع وجه السماء، فترجع السماء
كأنها تشعر مع اسكوتلندة، صارخة
ألفاظ حزين ماثلة .

مالكولم : ما أصدق، سأندبه .

وما أعرف، سأصدق . وما أستطيع تقويمه
حين أجد الزمن المؤاتي، سأقومه .

ما حدثتني به، قد يكون كما قلت، ربما .

هذا الطاغية الذي مجرد اسمه يَبْثُرُ اللسان منا ،
 كان يُحسب يوماً شريفاً : لقد أحبيته أنت جداً ،
 وهو لم يَمَسَّكَ بعد . أنا في مقتبل العمر ، ولعل ثمة شيئاً
 قد تستحقه منه عن طريقي ، والحكمة هي
 أن تضحي بحمل بريء ، ضعيف ، مسكين ،
 لترضية إله غضوب .

مكدف : أنا لست بخائن .

مالكولم : ولكن مكبث خائن .

والشيمة الكريمة الفاضلة قد تنثني

بأمر ملكي . غير أنني أستمحك المغفرة :

ما أنت عليه لن تستطيع أفكاري أن تحوله .

الملائكة ما زالت تشع ، ولو أن أشدها إشعاعاً قد سقط (15)

فلئن تلبس الدَّمَائِمُ سيماء الجبال

فلا بد للجميل أن يبدو جميلاً (16)

مكدف : لقد ضيعت آمالي .

مالكولم : ربها حيث وجدت أنا شكوكي :

لماذا غادرت بغير حماية زوجتك وولدك

(وفيها أعز الدوافع وأقوى روابط الحب)

دونها وداع؟ - أرجوك ،

لا تجعل من شُبُهاتي لوثةً لشرفك ،

بل مأمناً لي أنا : قد تكون صادقاً حقاً

مهما ظننت .

مكدف : انزف ، انزف ، أيها الوطن المسكين !
أيها الطغيان الكبير ، وطد أسسك ،
لأن الفضيلة لا تجرأ على كبحك ! تمتع بمغانم ظلمك ،
فحقك قد ثبت ! وداعاً ، يا مولاي .

لن أكون الوغد الذي تظن
حتى لو أعطيت كل ما في قبضة الطاغية من مكان ،
والشرق الغني إضافة إليه .

مالكولم : لا تنجرح كرامتك .

إني لا أتحدث عن خوف مطلق منك .

أعتقد أن بلدنا ينوء تحت النير ،

انه يبكي ، انه ينزف . وفي كل يوم جديد

يضاف جرح عميق إلى جروحه . وأعتقد كذلك

أن ثمة ايدياً سترتفع دفاعاً عن حقي .

وهنا يعرض علي ملك إنكلترا الكريم

بضعة آلاف من الرجال . ولكن ، رغم هذا كله ،

عندما أطأ رأس الطاغية بقدمي ،

أو أرفعه بسيفي ، فإن بلدي المسكين

سيبتلى برذائل أكثر مما سبق ،

وتزداد معاناته ، وبطرق شتى أكثر من أي وقت مضى ،

على يد الذي سيخلفه .

مكدف: ومن سيكزن؟

مالكولم: إياي أعني، وفي نفسي أعرف أن
جزئيات الرذيلة كلها قد طُعمت،

فإذا ما تفتحت، فإن مكبث على سواده

سيبدو نقياً كالثلج، وسترى فيه

الدولة البائسة حملاً، حين يقاس

بسوءاتي التي لا حدود لها. (17)

مكدف: في جحافل جهنم الرهيبة نفسها

لن يجيء شيطان أشد لعنة

بشوره ليز مكبث.

مالكولم: اسلم جدلاً بأنه دموي،

شهواني، جشع، غدار، مخادع،

عجول، حقود، فيه خلة من كل خطيئة

يمكن أن تسمى. أما أنا فلا قرار، لا قرار،

لفجوري: لا زوجاتكم ولا بناتكم،

لاعذاراكم، ولا ثياباتكم، بقادرات أن يملأن

بشر شبقني. ورغبتي

لسوف تتخطى كل عائق عفيف

يحول دون شهوتي. فالأفضل أن يحكم مكبث

من أن يحكم رجل مثلي.

مكدف: الإفراط الذي لا يسجد،

طغيان في طبيعة المرء ، وهو كثيراً ما سبَّب
 فراغ العرش السعيد قبل أوانه ،
 وسقوط العديد من الملوك . ومع ذلك ، لا تخش
 أن تأخذ لنفسك ما هو حقك :
 لك أن تتمتع في الخفاء بملذاتك بوفر عريض ،
 وتبدو مع ذلك بارداً - وتخدع الزمن .
 ولدينا ما يكفي من نساء راضيات . . . يستحيل
 أن يكون فيك ذلك العقاب الذي يلتهم العديد
 ممن سيكرسون أنفسهم للمجد حين يجدونك ميالاً لالتهامهم .
 مالكولم : وإلى هذا ، ثمة يتنامى
 في مزاجي السيء التركيب جداً
 جشعٌ لا يشبع ، بحيث أنني ، لو كنت ملكاً ،
 لفضيت على النبلاء طمعاً في أراضيتهم ،
 ولطمعتُ في مجوهرات هذا ، ودار ذاك ،
 فيغدو حصولي على المزيد مشهياً
 لاستزادة نهمي ، فأختلق
 الخصام دونها حق مع ذوي الطيبة والولاء ،
 مدمراً إياهم من أجل أموالهم .
 مكدف : هذا الجشع
 أعمق بعداً ، وينمو بجُذرٍ أشدَّ دماراً ،
 من شبق كصيف عابر (18) . ولقد كان دوماً

هو السيف الذي قتل ملوكنا . ومع ذلك ، لا تخف .
 في اسكوتلنده من الوفرة ما يفي بشهوتك
 حتى من محض أملاكك أنت . وهذه كلها محمولة
 ان هي وازنتها حسنات أخرى
 مالكولم: ولكن لا حسنات لي : فالحسنات القمينة بالملك ،
 كالعدالة ، والصدق ، والاعتدال ، والإتزان ،
 والكرم ، والمثابرة ، والرحمة ، والتواضع ،
 والحنو ، والصبر ، والشجاعة ، والجلد
 لا مذاق في لها . غير أنني أعج
 بتقاسيم كل جريمة ،
 أؤدي كلا منها بطرق عديدة . . . بل انني ، لو كان لي ،
 السلطان ،
 لصبيت حليب الوفاق العذب في الجحيم ،
 وقذفت سلام الكون إلى الشَّغْب ، وفصمت
 كل وحدة على الأرض .
 مكدف: وابلداه ! واسكتلنده !
 مالكولم: أيصلح رجل كهذا للحكم ؟ تكلم .
 أنا كما وصفت .
 مكدف: أيصلح للحكم ؟
 لا ، ليس يصلح حتى للحياة . - يا أمة شقية !
 متى ، وقد استبد بك طاغية لا حق له ، صولجانه الدم ،

متى سترين أيام صفائك مرة أخرى ،
 ما دام خليفةُ عرشك الأحقُّ
 يقف متهاً نفسه طالباً الحجر عليها ،
 ويُسْنَعُ مَحْتَدَه؟ كان أبوك
 ملكاً قديساً : والملكة التي حملتك
 كانت تموت كل يوم تعيشه
 على ركبتيها أكثر منها على قدميها .

الوداع !

هذه الشرور التي تعددها بحق نفسك
 هي التي نفتني من اسكوئلنده ، آه يا صدري ،
 هنا ينتهي أملك !

مالكولم : مكدف ، لوعتك النيلة هذه ،
 وليدة الأمانة ، محت من نفسي

كل ريبة سوداء ، وصالحت بين أفكاري
 وبين صدقك وشرفك . فالشيطاني مكبث
 حاول بالعديد من هذه المكائد أن يكسبني

ليوقعني في قبضته ، والحكمة الرصينة تصدني
 عن العجلة المغالية في التصديق . ولكن ألا حكم الله
 في عليائه بيني وبينك ! فإني في هذه اللحظة بالذات
 أجعل نفسي رهن توجيهك ،

وأنقض ذمي لنفسي ، إني هنا أنكر

اللوثات والسيئات التي نسبتها إلى نفسي ،
 فهي غريبة عن طبعي ، فأنا حتى الآن
 لم تعرفني امرأة ، لم أحنث بيمين قط ،
 أكاد لا أطمع حتى في ما هو ملكٌ يدي ،
 ولم أنقض يوماً عهدي لأحد : إني لن أخون
 الشيطان لزميله ، وسروري بالصدق
 لا يقل عن سروري بالحياة . وأول ما نطقت زوراً
 كان هذا الذي اتهمت به نفسي . . . أما الذي هو فعلاً أنا
 فهو لك ولبلدي المسكين أن يأمره :
 وإلى هناك ، في الواقع ، قبل قدومك هنا ،
 يستعد للتوجه شيخنا سيوارد ،
 على رأس عشرة آلاف محارب كامل الأهبة
 والآن ، سنذهب معاً ، ألا جعل الله فرصة النجاح
 بحجم صراعنا المشروع . لماذا أنت صامت ؟
 مكدف : ما أصعب التوفيق
 بين أمور كهذه أفرحتني وغازتني معاً !

(يدخل طبيب)

مالكولم : حسناً . المزيد قريباً .
 (للطبيب) هل الملك قادم ، أرجوك ؟ (19)
 طبيب : أجل ، سيدي . هناك جماعة من التعساء
 ينتظرون منه الشفاء . داؤهم قد أعيا

أعظم محاولات الطب ، غير أنهم ، حين يلمسهم
وقد حبا الله يده بالقدسية
يبرأون في الحال .
مالكولم : شكراً ، أيها الطبيب .

(يخرج الطبيب)

مكدف : ما المرض الذي يعنيه ؟
مالكولم : انه يسمى «بالسقام» :
عملٌ معجز حقاً لهذا الملك الصالح
شاهدته منذ مكوثي هنا في انكلتره
يقوم به . كيف يضرع إلى السماء ،
ذلك أمر هو أعلم به . غير أن أناساً غربيي العلل ،
كلهم أورام وقروح ترثي لها العين ،
وتياس منها الجراحة ، يبرئهم ،
بأن يقلدهم ديناراً ذهباً حول العنق
يشفعه بالصلوات والأدعية . ويقال
انه سيورث الملوك الذين يخلفونه
بركة الشفاء هذه . وإلى هذه القدرة الغريبة
فإنه يملك موهبة سماوية للنبوة ،
وثمة بركات شتى تحيط بعرشه
وتفصح عن إمتلائه بنعمة الله .

(يدخل روص)

مكدف: أنظر من القادم هنا

مالكولم: انه مواطني . ولكنني لا أعرفه

مكدف: ابن عمي الكريم ، مرحباً بك هنا .

مالكولم: الآن عرفته ! ألا عَجَل الله بإزالة

الموانع التي تجعل منا غرباء !

روص: مولاي ، آمين

مكدف: هل اسكوتلندة على ما كانت عليه؟

روص: أسفي على البلد المسكين !

يكاد يفزع من معرفة نفسه . ليس لنا

أن ندعوه أرضنا الأم ، بل قبرنا ، حيث لا شيء

أبدأ يبتسم ، إلا الذي لا يعرف شيئاً .

حيث الحشرات ، والحشرات ، والزعقات التي تمزق الهواء ،

تنطلق ، لا تلاحظ . حيث عنيف الحزن يبدو

وكأنه بلاء مبتذل : فناقوس الموتى

يكاد لا يسأل أحد لمن يُقْرِع ، وحياة الطيبين

تقضي قبل الأزاهير التي في قبعاتهم ، (20)

إذ هم يموتون قبل أن يأخذهم المرض .

مكدف: يا للوصف ،

أدق ، وأصدق ، من أن يُحتمل !

مالكولم: وما أحدثُ الفواجع؟

روص: إذا رويتَ الفاجعة بعد ساعة ، استسخفوك ،

فكل دقيقة حبل بجديدة

مكدف: كيف حال زوجتي؟

روص: والله، لا بأس

مكدف: وأولادي جميعاً؟

روص: لا بأس، أيضاً

مكدف: لم يفتح الطاغية عليهم سلامهم؟

روص: لا، فقد كانوا في سلام عندما غادرتهم.

مكدف: لا تتداخل في كلامك. كيف الأمور؟

روص: عندما جئت هنا لأنقل النبأ الذي

حملته عبثاً ثقيلاً، جرت شائعة

تقول إن العديد من كرام الناس قد أعلنوا العصيان.

وقد كان الشاهد عليها، لكي أصدقها،

أني رأيت جيش الطاغية يتحرك.

ساعة العون هي الآن. (مالكولم) عينك في اسكوتلندة

لسوف تخلق الجند، وتجعل نساءنا يحاربن

لكي يخلعن عنهن آلامهن المرعبة

مالكولم: فليكن عزاءهم

أنا قادمون هناك. ملك انكلترا الكريم

أعارنا سيوارد الباسل، وعشرة آلاف رجل.

وإن يعلن العالم المسيحي

عن جندي أفضل أو أكثر مراساً

روص: ليتني أستطيع الإجابة على
 هذا العزاء بعزاء مماثل! ولكن بي كلمات
 تودلو تنطلق عويلاً في الفضاء القفر
 حيث لن يمسك بها سمع إنسان
 مكدف: ما مفادها؟

القضية العامة؟ أم حزن خاص
 موثله صدر واحد؟

روص: ما من نفس شريفة
 إلا ولها فيه حصة من أسى، ولو أن معظمه
 يخصك أنت.

مكدف: إن يُخَصَّنِي أنا،
 فلا تُحِبُّهُ عني. أفض به إليّ بسرعة.
 روص: لا تدع أذنيك تحتقران لساني إلى الأبد
 لأنه سيسمعهما أفجع صوت
 سمعته أبداً.

مكدف: هه! حررتة!

روص: قلعتك فوجئت، وزوجتك وأطفالك
 بوحشية ذبحوا: أما أن أروي كيف،
 فإنه يعني أن أضيف إلى مصرع هؤلاء الأطباء
 مصرعك أنت.

مالكولم: يا رحمة السماء!

ماذا يا رجل ! لا تنزل قبعتك على جبهتك :
 هب الحزن كلمات . فالنجيعة التي لا تنطق
 إنما تهامس القلب الفائنض ، وتأمره بأن يتحطم .
 مكدف : وأولادي أيضاً ؟
 روص : زوجتك ، وأولادك ، وخدمك ، وكل من
 عشروا عليهم
 مكدف : وأنا غائب !
 زوجتي قتلت أيضاً ؟
 روص : كما قلت .
 مالكولم : لك العزاء . . .
 لنجعل من إنتقامنا العظيم دواءً
 يشفي هذا الحزن القاتل .
 مكدف : لا أولاد له . أطفاله الجميلون كلهم ؟
 هل قلت كلهم ؟ يا حداة الجحيم ! كلهم ؟
 ماذا ، أفرأخي الجميلون كلهم ، وأمهم ،
 بانقضاضة عاتية واحدة ؟
 مالكولم : قارعها كرجل .
 مكدف : سأفعل .
 ولكنني أشعر أيضاً كرجل .
 وهل لي إلا أن أتذكر ما كان لي
 ما كان أؤمن ما في الحياة لي . هل أبصرت السماء ذلك ،

ورفضت أن تدفع عنهم؟ أيها الخاطيء مكدف!
 مصرعهم جميعاً من أجلك. أنا اللاشيء
 لا لآثامهم، بل لآثامي أنا،
 وقعت المجزرة على أرواحهم: أراحتهم السماء الآن!
 مالكولم: ليكن هذا حَجَرِ المِسن لسيفك. دع الحزن
 ينقلب إلى غضب. لا تثلُم القلب، بل هِجْ غضبه.
 مكدف: آه، لكان بوسعي أن ألعب دور المرأة بعيني
 ودور المتبجح بلساني. ولكن، أيتها السماء الخيرة⁽²¹⁾
 اختصري كل تأخير! جيئيني
 بهذا الأبليس السكوتلندي وجهاً لوجه معي،
 ضعيه في مدى السيف مني، فإذا نجا
 ساحتته السماء هو أيضاً!
 مالكولم: هذه نعمة الرجال.
 هيا بنا إلى الملك، جيشنا جاهز.
 ما بنا حاجة إلا للإستئذان.
 مكبث: حان قطافه، والقوى العلوية
 ترتدي سلاحها.
 تقبل من البشر ما تستطيع
 طويل هو الليل الذي لن يطلع النهار عليه.

هوامش:

- (1) ثمة إشارات إلى نعيب اليوم قبل مصر كل من دنكر . ومانكرو، وليدي مكدف .
- (2) هذا المقطع أيضاً في الأرجح مفحم على النص الشكسيري ، ليس للساحرات المهرجات «الأحريات» من ضرورة هنا ، اللهم إلا لزيادة عدد المعينات في نهايته . من عادة المخرجين أن يهملوا هؤلاء الساحرات الإضافيات . . ويستأنف النص الشكسيري في قول الساحرة 2 التالي
- (3) أي السحر الأسود ، أو السحر الحرام .
- (4) كان ثمة من يعتقد أن الزوابع والثلوج والبروق والرعود تنطلق من السماء لا بأمر من الله ، بل بحيل من السحرة!
- (5) وبذا تنتهي البذور إلى العقم أو إلى إنتاج كل ما هو وحشي ودغل . يروق لمكث أن يرى خراب العالم إلى الأبد إذا لم يتحقق له ما يريد!
- (6) يقول ولسون ثابت عن الأطياف الثلاثة التي تظهر هنا بالتوالي ، أن الترتيب الذي تظهر فيه مهم لأن الرموز تكامل بمعانيها: «الدمار العنيف» وهو نفسه يدمر، آلام الميلاد الدامي الذي يجهّد لإيجاد قوة تصحح وضعاً مبتلى بالشر، الولادة القادمة الرائعة متوجة بالملكية . «الرأس يرمز إلى رأس مكث مقطوعاً ، والطفل الدامي يرمز إلى مكدف وقد انتزع قبل أوانه من رحم أمه ، والطفل الأخير يرمز إلى مالكولم الذي أمر جنوده بقطع الأغصان وحملها أمامهم في زحفهم على قلعة مكث .
- (7) الرأس المسلح هو رأس مكث . لاحظ المفارقة في قول مكث .
- (8) لأنه في عذاب .
- (9) مكث لا يعلم أن مكدف ليس في عداد من هم وليدون لامرأة ، فيطمئن إلى أن مكدف لن يؤذيه . ولكنه سيجعل الحرز حزين ، بأن يقتل مكدف ، فيجعل القدر بذلك يتعهد بأن أحداً لن يؤذيه ، فيكون إطمئنانه مزدوجاً .
- (10) تشير الكرتان إلى التوزيع المزدوج الذي حظي به الملك جيمز الأول ، عند توحيد اسكوتلندة وانكلترة ، في «سكون» (باسكوتلندة) وويستمستر (بلندن) ، عام 1603 . أما الصوالج الثلاثة فتشير إلى الصولجانين المستعملين في التوزيع الإنكليزي ، والصولجان المستعمل في التوزيع الاسكوتلندي .
- (11) في الأصل : «الصمو» ، وهو طائر صغير جداً .

(12) قارن ما جاء في «رسالة القديس بوحنا الأولى» 4، 18: «لا خوف في المحبة، بل المحبة الكاملة تنفي الخوف إلى خارج، لأن الخوف له عذاب، والخائف غير كامل في المحبة.»

(13) أي بالبكاء.

(14) يقول ناينس: «ارتباب مالكولم، واستمراره طويلاً في امتحان مكذب، يؤكدان تزعزع الثقة الذي انتشر عن الشر المركزي في المسرحية. ولكن الغرض الرئيسي من هذا المشهد قد لا يبين واضحاً إذا لم ندرك أنه يؤدي وظيفة الكورس، إذ في الحوار بين الشخصين يتم النص الصريح على تفاقم الشر الذي سببه مكبث...»

(15) ابليس رئيس الملائكة سقط، حين تمرد على الله.

(16) يريد أن يقول «مظهرك» الفاضل ليس دليلاً على أنك خائن. لأن الفضيلة لا بد لها أن تبدو في مظهرها الفاضل، رغم أن الشر الدميم قد يزيّف مظهره بسياء الجبال. فالشيطان الذي كان يشع قد سقط، ولكن الملائكة ما زالت على إشعاعها.

(17) هنا يسترسل مالكولم فينسب إلى نفسه كل الشرور التي هي، بالطبع، شرور الطاغية، والتي يجعلها شكسبير نقيض الصفات التي يجب أن يتحلى بها الحاكم العادل.

(18) مع «الشتاء» من عمر المرء، يتلاشى الشبق، أما الجشع فيبقى.

(19) يرى البعض أن هذا المقطع (من دخول الطبيب حتى دخول روص) أقحمه شكسبير، على الأرجح، إرضاءً للملك جيمز الأول، ولو أن قدسية الملك هنا، درامياً، تقابل شرانية مكبث. ونهى الهدوء الذي سيتبعه الخبر الفاجع الذي يأتي به روص. يذكر المؤرخ هولنشييد أنه كان من المعتقد أن الملك «إدوارد المعترف» فيه شيء من روح النبوة، وقدرة على شفاء المصابين بمرض يسمى «سقام الملك»، وأن بعض هذه القدرة أوروها لخلفاءه من ملوك انكلترا.

(20) جزء من الزبي الاسكوتلندي التقليدي، قبة فيها زهرة جبليّة.

(21) كان في عهد شكسبير قانون يمنع الممثلين من إساءة استعمال اسم الجلالة، أو اسم المسيح، أو الروح القدس، كما يمنعهم من ذكر هذه الأسماء بصحبة ما يوحى بالتفكه أو الإثم، الكلمة الشكسبيرية هنا. على الأرجح، هي «الله» في الأصل، غير أن الممثلين يستبدلون بكلمة السماء، خوفاً من عقاب القانون، كانت الغرامة عشرة جنيهات عن كل مرة يقع فيها ذكر الله في مثل الحالات المنصوص عليها.

الفصل الخامس

المشهد الأول

دنسينان . . . غرفة في القلعة

(يدخل طبيب علاج وسيدة وصيفة)

طبيب : لقد سهرت ليلتين معك ، ولا أستطيع أن أتبين أي صدق فيما أخبرتني . متى كانت آخر مرة مشيت فيها؟

سيدة : منذ أن ذهب جلالته إلى الميدان ، رأيتها تنهض من فراشها ، تلقي بمنامتها على جسمها⁽¹⁾ ، تفتح خزانتها ، تخرج ورقة ، تطويها⁽²⁾ ، تكتب عليها ، تقرأها ، وبعد ذلك تختتمها ، ثم تعود ثانية إلى الفراش : هذا كله وهي في نوم عميق جداً .

طبيب : انه لخلل كبير في البدن ، أن يتلقى فائدة النوم ، وفي الوقت نفسه يؤدي أفعال اليقظة ! في هذا الإضطراب السباتي ، فيما عدا مشيها والحركات الفعلية الأخرى ، ما الذي في أي وقت سمعتها تقول؟

سيدة : أمور يا سيدي لن أخبر عنها .

طبيب : لك أن تخبريني أنا ، بل من الضروري جداً أن تفعل .

سيدة : لا أنت ، ولا غيرك ، دون أن يكون لدي شاهدٌ يثبت ما أقول .

(تدخل ليدي مكبث ، بيدها شمعة)

أنظرا! ها هي مقبلة . هذا هو غرارها بالضبط . وهي وحق
حياتي نائمة نوماً عميقاً راقبها . أخف نفسك .

طبيب: من أين لها ذلك النور؟

سيدة: إنه موجود بقربها . فهي تجعل نوراً بجانبها باستمرار، انه أمر
منها .

طبيب: أترين ، عيناها مفتوحتان .

سيدة: نعم ، ولكن حسها مغلق .

طبيب: ما الذي تفعله الآن؟ أنظري كيف تفرك يديها .

سيدة: من عاداتها أن تفعل هذا ، وتبدو أنها تغسل يديها . وجدتها
أحياناً تفعل هذا الربع ساعة .

ليدي مكبث: ما زالت هنا بقعة .

طبيب: اسمعي! إنها تتكلم . سأدون ما يبدر عنها ، لأدعم ذاكرتي
دعماً أقوى

ليدي مكبث: زولي ، أيتها البقعة اللعينة! أقول، زولي! واحدة، اثنتان⁽³⁾:

هه ، إذن حان الوقت لفعلها ، جهنم مظلمة ، عيب ، مولاي ،

عيب! أجندي ومذعور؟ لم نخشى من يعرفها ، حين لن

يكون ثمة من يستدعي سلطتنا للحساب؟ ولكن من كان

يظن أن هذا الشيخ فيه هذا الدم الكثير؟

طبيب: هل انتبهت لذلك؟

ليدي مكبث: أمير فايف كانت له زوجة: أين هي الآن؟ ماذا، ألن تنظف

أبدأ هاتان اليدان؟ كفى، يا مولاي، كفى: إنك تفسد كل شيء بانتفاضك هذا.

طبيب: واه! علمت ما يجب ألا تعلميه⁽⁴⁾!

سيدة: لقد نطقت ما يجب ألا تنطق، أنا واثقة. والله اعلم بما هي تعلم.

ليدي مكبث: هنا ما زالت رائحة الدم: عطور بلاد العرب كلها⁽⁵⁾ لن تطيب هذه اليد الصغيرة. آه! آه! آه!

طبيب: يا لها من تنهدة! القلب مشحون ومثقل.

سيدة: لا أريد قلباً كهذا في صدري، ولو أعطيت رفعة الجسم كله.

طبيب: طيب، طيب، طيب

سيدة: نرجو الله أن الأمر كذلك، سيدي.

طبيب: هذا المرض لا يدركه فني: ومع ذلك فقد عرفت أناساً يمشون في نومهم، ماتوا طاهرين في فراشهم.

ليدي مكبث: اغسل يديك، البس منامتك، لا تبدُ شاحباً هكذا. أقولها

لك ثانية، بانكروو قد دُفن: لن يستطيع الخروج من قبره.

طبيب: أحتي هكذا؟

ليدي مكبث: إلى الفراش، إلى الفراش: هناك قرع على الباب، تعال،

تعال، تعال، تعال، أعطني يدك. ما صنع لا يمكن أن

ينتفض صُنْعُهُ. إلى الفراش، إلى الفراش، إلى الفراش.

(تخرج)

طبيب: هل ستذهب الآن إلى فراشها؟

سيدة: مباشرة .

طبيب: يدور بين الناس تهامس ذميم . الأفعال الشاذة
إنها تولد الشواذ من الهموم : والأذهان إذا وُبت
أطلقت لوسائلها الصماء أسرارها .
إن بها حاجة إلى الكاهن أكثر منها إلى الطبيب .
ألا غفر الله لنا جميعاً ! أعطني بها .
أبعدي عنها كل وسائل الأذى ،
وأبقها دوماً تحت ناظريك . تصبحين على خير .
ذهني شوشته ، وأدهشت بصري
أفكر ، ولكن لا أجراً على الكلام
سيدة: تصبح على خير، أيها الطبيب الكريم .

المشهد الثاني الريف قرب دنسينان

(بدعي . مع الخيل والبارق ، متيث ، كائيس ، أنس ، لينوكس ، وجنود)

متيث : الجيش الانكليزي قريب ، يقوده قُدماً مالكولم ،
وخاله سيوارد ، ومكدف الشهم .

الانتقام يشتعل فيهم ، لأن قضاياهم العزيزة
تشير حتى أشباه الموتى

إلى حومة الدم والنفير المحموم .

أنس : سيكون أفضل لقائنا بهم قرب غابة بيرنام :
إنهم في ذلك الطريق قادمون

كائيس : من يعلم أيرافق دونالين أخاه؟

لينوكس : لا شك ياسيدي أنه لا يرافقه . عندي قائمة
بأسماء السادة كلهم : هناك ابن سيوارد ،

وفتية عديدون لم نخشونوا بعد ، يعلنون الآن
أول رجولتهم .

متيث : وما الذي يفعله الطاغية؟

كائيس : لقد عزز تحصين دنسينان العظيمة .

البعض يقول أنه قد جُنّ ، والبعض ممن هم أقل كراهية له ،
يسمي ذلك هوجاً شجاعاً . ولكن المؤكد
هو أنه عاجز عن حصر أمره المتفاقم
ضمن نطاق السيطرة

أنغس : انه يشعر الآن
أن جرائمه الخفية لاصتة بيديه .
في كل دقيقة ثورة تعيبُ عليه نكته العهد .
والذين يأمرهم لا يتحركون سوى بالأمر
لا عن حب . إنه يشعر الآن أن لقبه
فضفاض عليه ، كرداء عملاق

على لص قزم
متيث : ومن إذن يلوم
أحاسيسه المعتملة إن هي ثارت وانتفضت
لأنها في دخيلته ، وكل ما في دخيلته
يشجب نفسه ؟

كاثنيس : حسناً . فلنبداً الزحف ،
لنعطي الرّاء . . . يستحق الولاء .
لنلتق بطبيب الأمة المريضة ،
ونسكب معه تطهيراً وشفاء للوطن
كل فطرة فينا

لينوكس : أو ما يكني

لَسَقِي زَهْرَةَ الشِّتَاءِ الْمَلَكِيَّةَ ، وَإِغْرَاقَ الدَّغْلِ .
وَالنَّتْجَةَ بِزَحْفَتِنَا صَوْبَ بَيْرِنَامِ .

(يُخْرَجُونَ فِي مَسِيرَةٍ)

المشهد الثالث دنسينان . . . غرفة في القلعة

(يدخل مكبث ، وطبيب ، ومرافقون)

مكبث: لا تأتني بأي تقرير بعد . فليهربوا جميعاً^(٦)

إلى أن تنتقل بيرنام إلى دنسينان ،

لن يخالجنني الفزع . ومن هذا الصبي مالكولم؟

ألم يولد من امرأة؟ الأرواح التي تعرف

عقابيل البشر كلها قالت لي جهراً:

« لا تخف يا مكبث . ما من رجل ولدته امرأة

سيتغلب يوماً عليك . » إذن ، فاهربوا يا أمراء خونة ،

وخالطوا الأبيقوريين الإنكليز⁽⁷⁾

فلا العقل الذي يحكمني ، ولا القلب الذي أحمل ،

سيذوي شكاً ، أو يرتعد هلعاً

(يدخل خادم)

سَخَطَك الشيطانُ عبداً أسود ، يا وغداً حليبيَّ الوجه!

من أين لك سحنة الأوزة هذه؟

خادم: هناك عشرة آلاف

مكبث : أوزة ، يا نذل ؟

خادم : جندي ، يا سيدي

مكبث : إذهب ، وخز وجهك ، وموّه خوفك بالأحمر ،

يا ولدا زنبقي الكبد⁽⁸⁾ . أي جنود ، يا مهرج ؟

موتاً لروحك ! خذاك بلون الخام

يلقنان الفزع . أي جنود ، يا وجهها من لبن ؟

خادم : الجيش الإنكليزي ، لطفاً

مكبث : أغرب بوجهك عني !

(يخرج الخادم)

سيتون ! يبتس قلبي

عندما أرى سيتون ! هذه الواقعة

سوف تبهجني أبداً ، أو تطيح بي الآن .

حسبي من العمر ما رأيت : طريق حياتي

يهبط بي إلى الذبول ، إلى إصفرار أوراق الشجر .

وما ينبغي أن يقتن بالشيوخوخة

من تكريم ، وحب ، وطاعة ، والأصدقاء زرافات ،

عليّ ألا أتوقعه ، بل أتوقع عوضاً عنه

اللعنات ، لا جهوريةً ، بل عميقة ، والتكريم شفهيّاً ، والنفس

مما يؤدّ القلب المسكين لو ينكره ، ولا يجراً

سيتون !

(يدخل سيتون)

سيتون: ماذا ترغبون جلالتيكم؟

مكبث: هل من جديد؟

سيتون: كل ما جاء في الأخبار، يا مولاي، قد تأكد

مكبث: سأقاتل، إلى أن يُجَرَّد لحمي عن عظمي

أعطني درعي

سيتون: لم يحن الوقت له بعد

مكبث: سألبسه

أرسلوا المزيد من الفرسان، أمشطوا القطر كله.

أشفقوا كل من يتحدث عن الخوف. إعطني درعي

كيف حال مريضتك، يا طبيب (9)؟

طبيب: مولاي، إنها ليست مريضة

بقدر ما هي مضطربة بالأخيلة المنهالة عليها،

والتي تحجب عنها الراحة.

مكبث: إشفها من ذلك.

أما بوسعك أن تداوي ذهناً عليلاً،

أن تقتلع من الذاكرة حزناً مجذراً،

أن تمحو الهموم المدونة في الدماغ،

وبترياق نسياني عذب

تنظف الصدر المكتظ من ذلك الحشو الخطر

الذي ينوء بوقره القلب؟

طبيب: في حالة كهذه على المريض

أن يداوي نفسه .

مكبث: ارم الدواء للكلاب . إني أرفضه .

تعال ، ألبسني درعي . أعطني صولجاني

سيتون ، أصدر الأوامر - يا طبيب ، الأمراء يهربون مني .

هيا ، يا رجل ، أسرع . إن يكن في مقدورك يا طبيب ،

أن تفحص أورام بلادي ، وتشخص علتها ،

وتطهرها عودة إلى عنقوان الصحة ،

أهتف لك حتى الصدى الذي

سيهتف من جديد . اسحبها يا رجل

أي راوند ، أي سنا⁽¹⁰⁾ ، أي عُقَار مُسهل ،

بوسعه إخراج هؤلاء الإنكليز من هنا؟ هل سمعت بهم؟

طبيب: نعم يا مولاي . إستعدادك الملكي

يجعلنا نسمع ببعض الأمور .

مكبث: جيء به خلفي⁽¹¹⁾

لن أخاف الموت والتهلكة

حتى تأتي غابة بيرنام إلى دنسينان .

(يخرج)

طبيب: (جانياً) لو كنت بعيداً وعلى مدى السلامة من دنسينان

لما أجتذبنني هنا مغنم مرة أخرى .

(يخرج الطبيب وسيتون)

المشهد الرابع الريف قرب دنسينان . . . غابة في مدى البصر

(يدخل مع الطبول والييارق، مالكولم، الشيخ سيوارد وابنه،
مكدف، متيث، كائيس، آنفس، لينوكس، روص، وجنود،
في مسيرة)

مالكولم: يا أولاد العم، أرجو أن قد دنت الأيام
التي ستكون فيها حُجراتنا آمنة سالمة .
متيث: لا نشكّ في ذلك قطعاً .
سيوارد: أية غابة هذه التي أمامنا؟
متيث: غابة بيرنام .

مالكولم: ليقطع كل جندي له غضناً،
ويحمله أمامه: بهذا سنغطي

على عدد جيشنا، ونجعل المستطلعين
يخطئون في تقريرهم عنا .

جندي: ستنفذ الأمر

سيوارد: لا نعلم إلا أن الطاغية الواثق من نفسه
ما زال مقيماً في دنسينان، وسيسمع لنا

بحصارها .

مالكولم : هذا أمله الأكبر

لأن الكبار والصغار، حيثما وجدوا

فرصة للخروج ، تمردوا عليه ،

ولا يخدمه إلا المغلوبون على أمرهم ،

والذين قلوبهم غائبة كذلك .

مكدف : لنترك حكمنا الصحيح

إلى أن تبين النتيجة الفعلية ، وَلْتَحَلَّ

بالجندية المُجدَّة .

سيوارد : قريب هو الوقت الذي

سيعلمنا ، بعد النهاية الفاصلة ،

ما نقول ألنا هذا اليوم أم علينا .

فالتكهنات لا تروى إلا آمالاً غير مؤكدة ،

أما النتيجة المؤكدة فلن تحسمها إلا الضربات .

وباتجاهها فلندفع الحرب !

(ينخرجون ، في مسيرة)

المشهد الخامس دنسينان . . . داخل القلعة

(بدخل، مع الطبول والييارق، مكبث، سيتون، وجنود)

مكبث : علقوا راياتنا على الأسوار الخارجية .
ما زالت الصبيحة هي : «أنهم قادمون» ! قوة قلعتنا
ستضحك هزءاً من الحصار . فليبقوا هنا
إلى أن تلتهمهم المجاعة والحمى
لو لم يمدوا بقوات هي قواتنا
لقابلناهم بالتحدي ، لحية للحية ،
ورددناهم مهزومين إلى بيوتهم . ما هذا الصوت ؟

(صراخ نساء من الداخل)

سيتون : انه صراخ النساء ، مولاي الكريم .

(يخرج)

مكبث : لقد كدت أنسى طعم المخاوف .
مرَّ بي زمنٌ كانت حواسي فيه تجمد
إن أنا سمعت زعقة في الليل ، وكانت فروة رأسي
عند سماعي قصةً مرعبة تُثار وتتحرك ،

كأن فيها حياة . لقد أُطِعمْتُ ألواناً من الرعب حتى شُبعْتُ :
 والهول الذي تعودته أفكاري القاتلة
 لن يستطيع أن يُجفلني بعد ، مرة واحدة .
 يدخل سيتون ثانية

فيم كانت الصرخة تلك ؟

سيتون : الملكة ، يا مولاي ، قد ماتت .
 مكبث : لكان حرياً أن تموت فيها بعد : (12)
 ولكان ثمة وقت لكلمة كهذه (13)
 غداً ، وغداً ، وغداً ،

وكل غد يزحف بهذه الخطى الحقيرة يوماً إثر يوم ،
 حتى المقطع الأخير من الزمن المكتوب ،
 وكل آماسنا قد أنارت للحمقى المساكين
 الطريق إلى الموت والتراب . ألا انطفئي يا شمعة وجيزة !
 ما الحياة إلا ظل يمشي ، ممثل مسكين
 يتبختر ويستشيط ساعته على المسرح ،
 ثم لا يسمعه أحد : إنها حكاية
 يحكيها معتوه ، ملؤها الصخب والعنف ،
 ولا تعني أي شيء .

(يدخل رسول)

جئتُ لتُعمل لسانك . قِصَّتْكَ ، بسرعة !
 رسول : مولاي الكريم ،

عليّ أن أخبر بها رأيت ،
ولكنني لا أعرف كيف أخبر .
مكث : طيب ، تكلم ، يا رجل .
رسول : فيما كنت أقوم بحراستي على التل ،
أرسلت بصري إلى بيرنام ، وفي الحال خُيِّل إليّ
أن الغابة بدأت تتحرك .
مكث : كذاب ، وعبد !
رسول : سلط عليّ غضبك ، إن لم يكن الأمر كذلك .
لك أن تراها قادمة على مدى أميال ثلاثة .
أقول انها أجمّة تتحرك .
مكث : إن كنت كاذباً فيما تقول
ستعلق حياً على أقرب شجرة ،
إلى أن ينكمش جلدك جوعاً . وإن كنت صادقاً ،
لن يهمني لو أنت فعلت بي ذلك . -
إني لأجرّ عنان العزم⁽¹⁴⁾ ، وأبدأ
أشك في كلام الشيطان بلسانين
إذ يكذب كالصدق : « لا تخف ، حتى تأتي
غابة بيرنام إلى دنسينان . » - وها غابة بيرنام
تأتي صوب دنسينان . - تسلهوا ، تسلهوا ، واخرجوا !
فإذا بدا هذا الذي يؤيده ،
لا مهرب ثمة من هنا ، لا ولا مكوث كذلك .

بدأت أسام الشمس ،
وأود لو أن هيكل الكون الآن يتحطم . .
اقرعوا جرس الإنذار! - يا ريح هبي ، ويا مخلعة أقبلي!
لنموتن ، في الأقل ، والعدة على ظهورنا .

(مخرجون)

المشهد السادس دنسينان . . . سهل أمام القلعة

(يدخل ، مع الطبول والبيارق ، مالكولم ، الشيخ سيوارد ،

مكدف ، إلخ ، وأفراد جيشهم وهم يحملون الأغصان .)

مالكولم : والآن ، كفى قريباً . ألقوا عنكم سُرُكُم الشجرية ،

وابرزوا كما أنتم . - خالي العزيز ، أنت

مع ابنك النبيل ، ابن خالي ،

ستفقد قلب جيشنا الأول : ونحن ومكدف الكريم

سنأخذ على عواتقنا فعل ما تبقى ،

حسب خطتنا .

سيوارد : أستودعكم الله . -

لنلقَ جيش الطاغية الليلة ،

ولننهزم إن نحن لم نحسن القتال !

مكدف : لتنطق أبواقنا كلها ! مَدَّوها جميعاً بالنفس -

هذه الرسل الصاخبة بالردى والدم !

المشهد السابع دنسينان . . . موقع آخر من السهل

(يدخل مكبث)

مكبث: لقد أوثقوني بخشبة: فلا أستطيع الهرب،
وعليّ كالدب أن أقاتل حتى نهاية الجولة (15).
من ذاك الذي لم تلده امرأة؟ رجل كذاك
عليّ أن أهاب، دون سواء.

(يدخل سيوارد الابن)

سيوارد الابن: ما اسمك؟
مكبث: سترتعب إن سمعته.
سيوارد: أبداً، حتى لو دعوت نفسك باسم ألهب
من أي اسم في الجحيم.
مكبث: اسمي مكبث.
سيوارد: ليس للشيطان نفسه أن ينطق اسماً
أكبر منه لأذني.
مكبث: لا، ولا أرعب منه.
سيوارد: تكذب، أيها الطاغية المقيت: وبسيفي

سأبرهن على أكذوبتك .

(يتقاتلان ، ويسقط سيوارد الابن قتيلًا)

مكبث : لقد ولدتك امرأة . -

غير أن السيوف اِسمُ لها ، والسلاح أضحك منه هزءاً ، إذا
أشهرها رجل هو وليد امرأة .

(يخرج نفير . يدخل مكدف)

مكدف : الجلبة أسمعها من هناك . - أيها الطاغية ، أرنا وجهك .

إن أنت قُلت بضربة من غير سيفي

لن تبارحني أبداً أشباح زوجتي وأولادي .

لا أقدر أن أضرب المشاة البائسين ، الذين أُجِّروا

لحمل رماحهم : أما أنت ، يا مكبث ،

أو أنني سأغمد سيفي عاطلاً ثانية ،

لم تنل ضربةً من شفرته .

لا بد أنك هناك . . .

هذه الضوضاء الكبيرة تنبئ

عن شخص كبير . دعيني يا ربة الحظ ألقاه !

وأكثر من ذلك لن أتمس .

(يخرج يدخل مالكولم والشيخ سيوارد)

سيوارد : من هنا ، يا مولاي . - القلعة استسلمت بغير عنف .

جماعة الطاغية على الجانبين تقاتل .

والأمراء النبلاء يبدون بسالة في الحرب .

يَكْأَدُ الْيَوْمُ يَعْلَنُ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ لَكَ ،

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقَلِيلُ .

مَالِكُومُ : لَقَدْ اتَّقَيْنَا أَعْدَاءَ

يَضْرِبُونَ مَعَنَا .

سِيوَارْدُ : سِيدِي ، أَدْخُلِ الْقَلْعَةَ .

(بمخرجان . نفیر)

المشهد الثامن موقع آخر من ساحة القتال

(يدخل مكبث)

مكبث: لماذا علي أن ألعب دور الأحمق الروماني ، وأموت (16)
على سيفي أنا؟ ما دمت أرى أحياء ، فإن الجروح
تبدو أليق بهم .

(يدخل مكدف)

مكدف: استدر ، يا كلب الجحيم ، استدر!
مكبث: من دون الرجال جميعهم تجنبتك أنت :
ولكن عد ، فإن نفسي مثقلة جداً
بدماء أهلك .

مكدف: لا كلمات عندي :
إنما صوتي بسيفي ، يا نذلاً دمويّاً
تعجز الألفاظ عن وصفك !

(بتقاتلان)

مكبث: أنت تضيع جهدي :
إن كان بوسعك أن تطيع بسيفك الماضي

هواء لا يقطع ، استطعت نرف دمي .

إهو بشفرتك على هامات تنجرح ،

أما أنا فأحمل حياة مسحورة ، لن تستسلم

لرجل ولدته امرأة .

مكدف : فلتياش من سحرك ،

ودع الملاك الذي رحت تخدمه (17)

ينجرك بأن مكدف من رحم أمه

انتزع قبل أوانه .

مكبث : ملعون ذلك اللسان الذي يخبرني بهذا ،

لأنه زعزع العنصر الاسمي في كإنسان (18) .

ولا يُصدَّقَنَّ أحد بعد اليوم هذه الشياطين المشعوذة ،

التي تخاطبنا بمعنيين اثنين معاً ،

تحفظ كلمة الوعد للأذن منا ،

وتنقضها لرجائنا . لن أقاتلك .

مكدف : إذن سلم نفسك يا جبان ،

وعش عُرضَةً ومُشَهَّدَةً للعصر :

ولسوف نعلق رسمك على السارية ،

كما نفعل بالنادر من الوحوش ، وتحتة نكتب :

«تفرَّجوا هنا على الطاغية .»

مكبث : لن أسلم نفسي

لأقبل الأرض أمام قدمي الصبي مالكولم ،

وتنقذني الدهماء بلعناتها .

رغم أن غابة بيرنام قد جاءت إلى دنسينان ،

وأنت غريمي الذي لم تلده امرأة ،

فإني سأحاول المحاولة الأخيرة : قدام جسمي

ها أنا أقذف ترسي الحربي : تهياً ، مكدف !

وليكن ملعوناً من يصبح أولاً : «قف ، كفى !»

(يخرجان وهما يتقاتلان . نفي يتكرر . يدخلان ثانية وهما

يتقاتلان ، ويقع مكبث صريعاً .)

المشهد التاسع داخل القلعة

(تراجع . تفسر . يدخل ، مع الطبول والبيارق ،

مالكولم ، الشيخ سيوارد ، روص ، أمراء ، وجنود .)

مالكولم: ليت من تفتقد من أصدقاء يصلون سالمين
سيوارد: لا بد للبعض من مِضيِّ . ولكن من هؤلاء الذين أرى
أمامي ،

لي أن أقول أن يوماً عظيماً كهذا رخيصاً اشتريناه ،

مالكولم: مكدف مفقود ، وابنك النبيل .

روص: ابنك ، يا مولاي ، دفع دَيْن كل جندي :

لقد عرف من العمر ما بلغ به الرجولة وحسب ،

وما كاد يُثبت أن به بأس الرجال

في الموقع الذي قاتل فيه ولم يتزحزح عنه ،

حتى مات مئة الرجال .

سيوارد: أ مات إذن ؟

روص: نعم ، وجيء به من الميدان . دافَعك للحزن

يجب ألا يقاس بقدره ، لأنه حينئذ

لن تكون له من نهاية .

سيوارد: هل كانت جروجه في مُقَدِّمِهِ؟

روص: نعم ، على الجبين .

سيوارد: إذن جنديُّ الله هو!

لو كان لي بنون بعدد شعرات رأسي ،

لما تمنيت لهم ميتة أجمل .

فليكن هذا الناقوس الذي يقرع له .

مالكولم: إنه أهل لحداد أكثر،

وهذا ما سارتبه له .

سيوارد: لا، إنه ليس أهلاً لحداد أكثر.

يقولون إنه رجل رحيلاً لائقاً وسدد ما عليه :

إذن كان الله معه ! - هنا عزاء جديد يُقبل .

(يدخل مكدف ، حاملاً رأس مكبث).

مكدف: سلاماً أيها الملك ! لأنك الآن ملك .

أنظر إلى رأس المغتصب اللعين : لقد تحرر الزمن!

أراك محاطاً بالآلئ مملكته ، (19)

وهم ينطقون تحيتي في صدورهم :

إني أطلب الآن أصواتهم جهورية مع صوتي ، -

سلاماً ، يا ملك اسكوتلنדה!

الكل: سلاماً ، يا ملك اسكوتلنדה!

مالكولم: لن ننفق كثيراً من الوقت
 قبل أن نكافئكم جميعاً على حبكم،
 ونكون قد أدينا حقكم علينا . . أمرائي وأقربائي،
 كلكم منذ هذه اللحظة ايرلات - أول من تكرم اسكوتلنדה
 بلقب كهذا . وما تبقى علينا فعله،
 مما سنزرعه من جديد في الأيام القادمة -
 كدعوة أصدقائنا المنفيين إلى الوطن،
 الهاربين من الطغيان اليقظ وأحابيله،
 والعثور على المؤيدين القساة
 لهذا الجزار الصريع، ومَلَكيته الشيطانية
 التي يُظنّ أنها قضت على حياتها
 بيدها العاتية هي، - هذا، وغيره من الضرورات
 التي تلح علينا، سنقوم به، بنعمة الله،
 كما ينبغي قدراً، وزماناً، ومكاناً.
 إذن فالشكر لكم جميعاً معاً، ولكل واحد منكم (20)،
 وندعوكم جميعاً لحضور تتويجنا في مدينة «سكون».

(نغير. يخرجون).

إنتهت

هوامش :

- (1) في المسرحية أكثر من إشارة تدل على أن مكبث وزوجته ينمان في الفراش عارين. ويبدو أنها كانت عادة شائعة.
- (2) أي تطوي الحاشية منها لتحدث فيها هامشاً.
- (3) ليدي مكبث تتخيل أنها تسمع الساعة تدق.
- (4) هذه الكلمات ليست موجهة للسيدة الوصيعة.
- (5) كانت بلاد العرب في الآداب الغربية، منذ عهد الإغريق، تعتبر بلاد البخور، وبالتالي بلاد الطيب والعطور.
- (6) يقصد الأمراء.
- (7) يقول المؤرخ هولنشييد: «لم يكن الاسكوتلنديون فيما مضى يعرفون أو يفهمون الأطعمة الفاخرة أو التخممة المعربة... هذه الكماليات دخلت القطر مع الإنكليز...».
- (8) الكبد الزنبقية البياض من إشارات الجبن.
- (9) في النص يدخل الطبيب في بداية هذا المشهد. ولكن الأفضل تأخير دخوله حتى هذه النقطة، لأن ليس له ما يفعله أو يقوله في القسم الأول من المشهد.
- (10) نباتان لهما مفعول المسهل.
- (11) يقصد بذلك بعضاً من سلاحه.
- (12) العبارة في الأصل توحى على الأقل بمعنىين اثنين: «كان لا بد لها أن تموت يوماً ما»، و «كان الأفضل لو تأجل موتها إلى ساعة أفضل من هذه، لو عاشت حتى تلك الساعة لكان ثمة وقت أشد ملائمة لكلمة كهذه». تعدد المعاني في العبارة الواحدة من ميزات شعر شكسبير.
- (13) أي: «الملكة قد ماتت».
- (14) أي: «ما عدت قادراً على ترك العنان على الغارب لتقني وعزيمتي».
- (15) كان من ألعاب الناس في عهد شكسبير لعبة «تعذيب الدب»، وذلك بأن يوثق دب بسارية، ويعطى بعض المجال بطول من الحبل الذي يربطه بالسارية، وتطلق

عليه الكلاب . فيدور ويدور بالخبيل حول السارية إلى أن ينتهي بحاله . وكانت اللعبة في «جولات» - كالملاكمة أو المصارعة اليوم .

(16) أمثال كاتو، وبروتس، وأنطونيوس . كان الروماني إذا أدرك أنه قد هزم، يلقي بنفسه على سيفه، ويتحرق.

(17) يقصد ملاك الشر، كمقابل لملاك الخير.

(18) أي روحه، أو عقله .

(19) كأنه تاج، ونبلاء المحيطين به اللائع المحيطة بالتاج .

(20) هذه العبارة يوجهها المسئل عادة إلى جمهور المشاهدين .

الفهرس

VII	تقديم
1	مكبث
3	أشخاص المسرحية
5	الفصل الأول
5	المشهد الأول
6	المشهد الثاني
13	المشهد الثالث
23	المشهد الرابع
27	المشهد الخامس
33	المشهد السادس
37	المشهد السابع
45	الفصل الثاني
45	المشهد الأول
49	المشهد الثاني
55	المشهد الثالث
65	المشهد الرابع

71	الفصل الثالث
71	المشهد الأول
81	المشهد الثاني
85	المشهد الثالث
87	المشهد الرابع
97	المشهد الخامس
101	المشهد السادس
107	الفصل الرابع
117	المشهد الأول
123	المشهد الثاني
139	المشهد الثالث
143	الفصل الخامس
147	المشهد الأول
151	المشهد الثاني
153	المشهد الثالث
157	المشهد الرابع
159	المشهد الخامس
163	المشهد السادس
167	المشهد السابع
169	المشهد الثامن
171	المشهد التاسع

العاصفة

أشخاص المسرحية

Alonso	آلونزو، ملك نابولي
Sebastian	سباستيان، أخوه
Prospero	بروسبيرو، دوق ميلانو الشرعي
Antonio	أنطونيو، أخوه، دوق ميلانو المغتصب
Ferdinand	فرديناند، ابن ملك نابولي
Gonzalo	غونزالو، مستشار شيخ أمين
Adrian and Francisco	أدريان وفرانسيسكو، سيدان
Caliban	كاليبان، عبد وحشي وممسوخ
Trinculo	ترينكولو، مهرّج
Stephano	ستيّفانو، خادم سكير
Ship Master	ربّان سفينة
Boatswain	ملاح
Mariners	بحارة
Miranda	ميراندا، ابنة بروسبيرو
Ariel	أرييل، روح من هواء

وليم شكبير

Iris

Ceres

Juno

Nymphs

Reapers

أرواح { إيريس
سيريس
جونو
حوريات
حصادون

مشهد المسرحية : جزيرة غير أهلة .

الفصل الأول

المشهد الأول

(تسمع أصوات عاصفة مع رعد وبرق . يرى الوسط
من سفينة تنهال عليها الأمواج العالية ، يدخل ربان
سفينة ، وملاح .)

ربان : (من ظهر السفينة الأعلى) : ملاح !

ملاح : (من وسطها) : نعم ، سيدي : كيف أنت ؟

ربان : بخير تكلم إلى البحارة - عليكم بها ، بسرعة ، وإلا جنحنا إلى الصخر.
تحرك ، تحرك !

(يعود إلى الدفة تسمع صافرة الربان . يسرع البحارة بالمجيء)

ملاح : هلموا يا أعزاء القلب ! همتكم ، همتكم ، يا أحباب ! بسرعة ... بسرعة ...
أطوا الشراع الأعلى ... انتبهوا إلى صافرة الربان . . (للزوية) هبّي
وانفخي حتى تفجّري قصباتك - إن كان لديك من مزيد !

(يأتي إلى ظهر السفينة الوزو ، سباستيان ، أنطونيو ، فرديناند ، غونزالو ، وآخرون)

الوزو : خذ الحذر يا ملاح ، يا ابن الحلال ... أين الربان ؟ تصرفوا كالرجال .
ملاح : أرجوكم ، أبقوا في الأسفل .

أنطونيو: أين الرّبان، يا ملاح؟

ملاح: ألا تسمعون؟ إنكم تفسدون شغلنا. لا تبارحوا قمراتكم: فأنتم تعينون الزوبعة.

غونزالو: لا يا رجل، كن صبوراً.

ملاح: عندما يصبر البحر... هيتا! ماذا يهّم هذه الهادرات من اسم الملك؟ إلى القمرات... بلا كلام! لا تزعجوننا!

غونزالو: طيب، ولكن تذكر من الراكب لديك.

ملاح: لا أحد أحبّه أكثر من نفسي... أنت وزير - فإن يكن بوسعك أن تأمر هذه العناصر بالصمت، وتحقق الهدوء لهذه الساعة، لن نمس حبلًا آخر. استعمل سلطتك... وإذا عجزت، فأحمد الله على أنك بقيت حياً حتى الآن، وهبيء نفسك في قمرتك لسوء ما قد يقع الساعة، إن وقع... همتكم، يا أحباب... قلت لكم، لا تقفوا في طريقنا...

(يركض إلى الأمام)

غونزالو: (يقطع كلامه عندما تفوس السفينة فجأة): هذا الفتى أجدر فيه طمأنينة عظيمة... يخيّل إليّ أن الغرق لم يكتب عليه، فالذي ينمّ عنه وجهه هو المشنقة بالضبط. أيها القدر الطيب، أصرّ على شنقه، واجعل حبل مصيره حبلنا، لأن حبلنا نحن قليل الجدوى... إن لم يكن قد ولد ليشنق، فإن قضيتنا بائسة.

(يعود الملاح، ويتراجع رجال البلاط أمامه نحو قمراتهم.)

ملاح: أخفضوا السارية العليا... بسرعة... أوطأ، أوطأ! حولوها للمسار البحري

(تسمع صرخة من الأسفل) قاتل الله هذا الصراخ . . صراخهم يعلو على الزوبعة ، أو شغلنا .

(يعود سباستيان ، أنطونيو ، غونزالو)

أمره أخرى؟ ماذا تفعلون هنا؟ انعطّل ، ونغرق؟ هل في نيتكم الغوص في البحر؟

سباستيان: ألا أكل الزهري حنجرتك ، أيها الكلب النابح ، الكافر ، اللئيم! ملاح: إذن تعال واشتغل أنت .

أنطونيو: إخرس ، يا جرو ، إخرس ، يا ابن الزانية ، يا صانع العياط السليط ، نحن أقل خوفاً من الغرق منك أنت .

غونزالو: إني أضمنه ضد الغرق ، حتى ولو لم تكن السفينة أقوى من قشرة جوزة ، ونخر كموس نازقة .

ملاح: (صارخاً) حولوها عكس الريح! اجعلوها بمسارين نحو البحر ثانية! (1) (بانساً) دعوها وشأنها!

(تضرب السفينة الصخر. كرات نارية تلتهب على

القلوع من المقدمة حتى المؤخرة. يدخل البحارة

مبّللين .)

بحارة: لقد ضاع كل شيء! إلى الصلاة! إلى الصلاة! لقد ضاع كل شيء!

ملاح: (يسحب زجاجة من ثيابه): وأفواهنا ، هل عليها أن تبقى باردة؟

غونزالو: الملك والأمير يصلّيان . فلنساعدهم لأن أمرنا أمرهم .

سباستيان: لقد نفذ صبري .

أنطونيو: ما أفقدنا حياتنا خديعة إلا السكارى - هذا الوغد الواسع الشدين - ألا بقيت غريقاً والبحر في مد وجزر عليك عشر مرات! (2)
غونزالو: لن يكون موته إلا شقاً، حتى ولو أقسمت كل قطرة ماء على عكس ذلك، وفغرت فاهاً عريضاً لتلتهمه!

(ضوضاء في الأسفل)

رحمتك يا رب!

سفيتنا تنشق! وداعاً، زوجتي وأولادي! وداعاً، أخي!

سفيتنا تنشق، تنشق!

أنطونيو: فلنغرق جميعاً مع الملك.

سباستيان: لنذهب لوداعه.

غونزالو: إني لأعطي الآن ألف فرسخ من البحر لقاء فدان واحد من أرض قاحلة...
سبخاء، ملأى بعوسج، بتنوب أسمر، أي شيء. لتكن مشيئتك يا إلهي،
ولكن بودي لو أموت موت الجفاف!

(ينطلق على الظهر جمهرة من الناس، متجهين نحو

جانب السفينة، في وهج الكرات النارية. فجأة،

تنطفئ الكرات. صرخة عالية من أصوات

عديدة.)

المشهد الثاني

(الجزيرة . سفح أخضر فيه طريق تنحدر خلال أجمة من أشجار الليمون
باتجاه صخور عالية ، في واجهتها مدخل كهف كبير، له ستارة . ميراندا ،
تتطلع نحو البحر . بروسبيرو يجيء من الكهف ، لابساً عباءة ساحر ،
وحاملاً عصا .)

ميراندا : (ملتفتة) : إن كنت بفنك ، أبتاه ،
قد أثرت هذا الهدير في المياه الهوجاء ، فسكنها .
لكأن السماء ستنهمر قاراً نثناً
لولا أن البحر ، إذ يرقى إلى خد السماء ،
يكتسح النار ويخمد ها . . . أوه ! لقد قاسيت
مع أولئك الذين رأيتهم يقاسون : مركب جميل
(لا بد فيه مخلوق نبيل ما !)
هوت به المياه خطاماً .

لقد ضرب الصياح قلبي ضربات مدوية .
والأرواح المسكينة قد هلكت .
لو كنت إلهاً ذا سطوة ،

لأغرقت البحر في الأرض ، فلا

يبتلع السفينة ، كما فعل ،

بكل من تحمل من أرواح .

بروسبيرو: تمالكي نفسك .

وكفاك دهشة : وقولي لقلبك المشفق :

ما حل بأحد أذى .

ميراندا: يا ويلي !

بروسبيرو: أي أذى .

ما فعلت شيئاً إلا إهتماً بك ،

بك أنت ، يا غاليتي ، أنت يا ابنتي ، أنت التي

لا تعرفين من أنت ، ولا تعرفين من أين أنا أتيت ،

أو أنني أفضل بكثير

من بروسبيرو ، سيد كهف جد فقير ،

وأبيك الذي ليس يفضل به شيء .

ميراندا: (وعيناها باتجاه البحر ثانية) : ما خطر ببالي يوماً

أن أعرف أكثر من ذلك .

بروسبيرو: حان الوقت .

لأن أخبرك بالمزيد . أعطيني يدك

وانزع عباة السحرية عني . . . هكذا ،

(يضع عباة جانبا)

استقر يا فني هناك . وأنت جففي عينيك واطمئني

من أن مشهد الحطام الرهيب ؛ الذي
 هزّ فيك فضيلة الرحمة نفسها ،
 دبّرتّه ، بما تهيأ لي من فني ،
 تدبيراً أميناً بحيث لم يصب أحد بلوثة
 لا ولم تهلك حتى شعرة واحدة
 لمخلوق في المركب الذي
 سمعت منه صراخاً ، ورأيتّه يغرق ، اجلسي ،
 لأن عليك الآن أن تعلمي المزيد .
 ميراندا : كثيراً ما

بدأت تخبرني من أنا ، ثم أمسكت ،
 وتركتني أسأل عبثاً ،
 لتنتهي إلى قولك : « كفى ، لم يحن الوقت » .
 بروسبيرو : حانت الساعة الآن ،
 بل إن اللحظة هذه تهيّب بك
 بأن تفتحي أذنيك ، وتطيعي ، وتنتهي .

(يجلس على مقعد من صخر ، قرب ميراندا)

هل بوسعك أن تذكرني
 زمناً قبل مجيئنا إلى هذا الكهف ؟
 لا أحسب أن بوسعك ذلك ، لأنك أيامئذ
 لم تتخطي سن الثالثة .
 ميراندا : بل بوسعي ولا شك ، يا سيدي .

بروسبيرو: كيف؟ بأي بيت، أو شخص، آخر؟

حدثيني عن صورة أي شيء

بقي عالقاً في ذاكرتك.

ميراندا: شيء بعيد . . .

أشبهه بالحلم منه بمؤكد

تجزم به ذاكرتي. ألم يكن لديّ

ذات يوم أربع، أو خمس، نساء يعنين بي؟

بروسبيرو: بلى، وأكثر يا ميراندا. ولكن كيف

بقي هذا حياً في ذهنك؟ ما الذي غير ذلك ترين

في المظلم من هاوية الزمان وغابره؟

إن كنت تذكرين شيئاً قبل مجيئك هنا،

فلعلك تذكرين كيف جئت هنا.

ميراندا: ولكنني لا أذكر ذلك.

بروسبيرو: قبل اثنتي عشرة سنة، ميراندا، قبل اثنتي عشرة سنة،

كان أبوك دوق ميلانو.

وأميراً ذا سلطان.

ميراندا: سيدي، ألسنت أنت أبي؟

بروسبيرو: كانت أمك رائعة من روائع الفضيلة،

وقد قالت أنك ابنتي، وكان أبوك

دوق ميلانو، ووارثته الوحيدة

أميرة، لا ولد دونها.

ميراندا: يا للسوء!

أي خيانة إذن أتت بنا هنا؟

أم كان خيراً مجيئنا؟

بروسبيرو: هذا وذاك معاً، يا ابنتي.

خيانة، كما قلت. أُلقي بنا من هناك،

وخيراً أسعفنا إلى هنا.

ميراندا: آه إن قلبي ليدمي

إذ أفكر بها سيبت لك من متاعب

لا تحفظها ذاكرتي. أرجوك، أبي -

بروسبيرو: إن أخي، عمك، المدعو أنطونيو -

إنتهي إليّ رجاء، كيف أن أخوا

يخون هكذا - هذا الذي كنت، بعدك،

أحبه أكثر من العالم كله، إليه

أوكلت إدارة دولتي، إذ كانت حينئذ

بين الدويلات كلها هي الأولى،

وبروسبيرو الدوق الأول، مشهوراً

بعلو القدر والمكانة - وفي الآداب والفنون

ليس من يضاهيه. ولما كانت هذه هي همّي كله

ألقيت بمهام الحكم على أخي،

وأضحيت غريباً عن شؤون دولتي، إذ انهمكت

وانتشيت بدراساتي الباطنية. أما عمك الغادر -

أمتبها أنت إلي؟

[ميراندا: تماما، يا أبي:

بروسبيرو: ما أن تعلم جيدا كيف يقبل الالتماسات

وكيف يرفض، من يرفع من مكانته

من ينزله كالنفاية، حتى أعاد

صنع من صنعتهم بنفسى، أعنى غيرهم

أو شكلهم من جديد، فصارت بيده

مفاتيح الموظف والوظيفة، وجعل

كل قلب فى الدولة يعزف ما

تطرب له أذنه. فصار بذلك

اللبلاب الذى أخفى جذعى الأميرى

وامتص ما فيه من خضرى. - أنت

لا تصغى الى!

ميراندا: بلى، يا سيدى، انى أفعل ذلك!

بروسبيرو: أرجوك، اصغى الى!

انى كنت، وقد فاتتنى الغايات الدنيوية،

أعيش فى عزلة، أهدب عقلى،

وأشغل نفسى بما يتجاوز ثناء الشعب،

فأثار هذا فى أخى الغادر نزوة

ذميمة. وإذا الثقة التى وضعتها فيه،

مثل أب فاضل، تبعث فى نفسه،

على العكس ، من الكذب ما يضاهي حجم
 ثقتي فيه التي لم يكن لها حد ،
 وكانت بلا قيد . وحين أصبح سيدا ،
 لم يتحكم في مداخليلي وعائداتي فحسب ،
 وإنما تحكم في كل ما تقتضيه سلطتي أيضا ،
 مثل واحد يفرض على ذاكرته ، بكثرة
 الحديث عنه ، حتى الحقيقة ، وغداً من
 هذا النوع ، وينتهي الى الايمان بكذبه ،
 ويعتقد بأنه كان دوقاً فعلاً ، وذلك
 عن طريق الوكالة والتصرف ظاهرياً
 في الملكية بكل ما لها من امتيازات ، وبذلك
 تنامي طموحه -]

أتسمعين؟

ميراندا: حكايتك تشفي الصمم يا سيدي .
 بروسبيرو: ولكي لا يبقى ثمة حاجز بين هذا الدور الذي يلعبه
 وبين الذي يلعبه عنه ، لا بد له من أن يكون
 سيد ميلانو المطلق - وأنا المسكين ،
 حسبي مكتبتني دوقية لي ، فظنتني
 عاجزاً عن سلطاتي الزمنية ، ويتأمر
 (لشدة ما يتعطش للحكم) مع ملك نابولي
 ويقدم له جزية سنوية ، مع الولاء ،

ونخضع تتويجه لتاج الملك ، و يحني
 رأس الدوقية التي لم تنحن يوماً لأحد
 بأشنع الذل . أسفي عليك يا ميلانو المسكينة !
 ميراندا : يا للساء . . .

بروسبيرو : تأملي الشروط ، والنتيجة ، ثم خبّريني ،
 هل هذا أخ شقيق ؟

ميراندا : لكان إثماً مني

لو أنني أسأت الظن بجدتي .

كرام الأرحام قد تلد لثام الأبناء .

بروسبيرو : والآن ، الشروط . . .

لما كان ملك نابولي هذا عدواً

لدودائي ، فإنه يصغي إلى طلب أخي :

وهو أنه ، لقاء ما يشترط عليه

من ولاء ، ومن جزية لا أعلم مقدارها ،

يعد باقتلاعي في الحال ، أنا ومن لي ،

من الدوقية ، ويجعل ميلانو الجميلة

هبة لأخي بكل مراسيم النبل . وعندها ،

في منتصف ليلة قُدرت للغرض ،

وقد جمع أنطونيو جيشاً من الخونة ، فتح

أبواب ميلانو ، وفي عزّ الظلام

طردني الموكلون بالأمر من مدينتي -

أنا، وأنت، وأنت تبكين .

ميراندا : (ودموعها تتساقط من جديد) : يا حسرتي .

أنا التي لا أذكر كيف بكيت ساعتئذ ،

سأبكي من جديد . انه لأمر

يعتصر عيني .

بروسبيرو : اسمعي بعضاً آخر ،

ثم آتي بك إلى ما نحن الآن فيه .

ولولاه ، لكنت هذه القصة

غير واردة بالمرّة .

ميراندا : لماذا لم يقضوا علينا

في تلك الساعة ؟

بروسبيرو : حسناً سألت ، يا بنية .

حكايتي تثير هذا السؤال . لم يجروا ، يا عزيزتي ،

لما يكنّ شعبي لي من عميق الحب . ولكنهم

بألوان جميلة موهوا الدميم من غاياتهم .

(يتردد ، ثم يستأنف كلامه سريعاً)

وباختصار ، أسرعوا بنا إلى مركب

واقلعوا معنا لبضعة فراسخ في البحر ، حيث هيأوا

زورقاً لم يبق منه إلا هيكل متفسخ ، لا حبال

ولا أشعة ، ولا قلع ، ولا سوارى ، حتى الجرذان

كانت بالغريزة قد هجرته . وهناك قذفوا بنا

نصرخ للبحر، فيزار لنا، نتنهد
للرياح، فتشفق برد التنهدات علينا
فتظلمنا بحُبها .

ميراندا: وا أسفاه . لشد ما

سببت لك من همّ عندها

بروسبيرو: آه، ملاكاً

كنت بحفظني . رحت تبتسمين

وقد ألهمت صبراً من السماء،

في حين رحت أنا أزين البحر بمالح الدمع

وأئن تحت وقري - مما مدني

بمعدة صامدة، لأتحمل

ما قد يلي .

ميراندا: وكيف بلغنا البر؟

بروسبيرو: بتدبير من الله .

كان لدينا بعض من طعام، وبعض من ماء عذب،

أعطانا كليهما نبيل من نابولي يدعى غونزالو

لطيب قلبه، إذ عيّ عندئذ

مسؤولاً عن هذه الخطة، وأعطانا كذلك

أردية فاخرة، وثياباً، ومواد، وضروريات

أفادتنا كثيراً فيما بعد . وكرماً منه،

إذ كان يعلم بحبي لكتبي، زودني

بمجلدات من مكتبي أجّلها

أكثر من دوقيتي .

ميراندا : ليتني أرى ذلك الرجل !

بروسبيرو : تيقظي الآن ،

ولا تتحركي ، واسمعي آخر أحزاننا البحرية .

(يرتدي عباءته ثانياً)

هنا في هذه الجزيرة وصلنا ، وهنا

جعلتني معلّمك وأفدتك أكثر

مما بوسع السوى من الأمراء أن يستفيدوا ،

فهم إنما لديهم مزيد من الوقت للساعات البواطل ،

وأساتذة لا يحرصون .

ميراندا : لشكر لك السماء ذلك ! (تقبله)

والآن ، أرجوك يا أبتى -

فما زال الأمر معتملاً في نفسي - ما الذي حدا بك

إلى إثارة زوبعة البحر هذه؟

بروسبيرو : اعلمي من ذلك هذا وحسب :

بصدفة هي أغرب الصدف ، أتت ربة الدهر السخية -

وقد أضحت الآن خليلتي العزيزة - بأعدائي

على هذا الشاطئ . ويعلمي المسبق بالأمور

أجد أن سَمَتي يعتمد على

نجم مليء بالسعد ، إن لم أطلب

فعله الآن ، إن أهملته ، فإن حظي
سيبتكس إلى الأبد : وهنا كفاك أسئلة .
انك تجنحين إلى النوم .

(بحركة من يده ، تغمض عينيها وتنام في الحال)

نعاس طيب ،

استسلمي له . . . اعلم أن لا حيلة لك به .

(يرسم دائرة سحرية على العشب)

هلمّ ، هلمّ إليّ ، يا خادمي . إني الآن مستعد .
اقترب ، يا آريل . . . (يرفع عصاه) . هلمّ !

(يظهر آريل من فوق)

آريل : سلاماً ، مولاي العظيم وسيدي الرصين ، سلاماً .

جئت ألبّي أطيب ما تشاء : لأطير ، إن شئت ،

أو أسبح ، أن أغوص في النار ، أو أركب

الغيوم الجعداء . (يهبط أرضاً ويغني) مر أشدّ أمرك

آريل وكل ما يتصف به .

بروسبيرو: أيها الروح ،

هل أقمت العاصفة كما أمرتك بالضبط؟

آريل : بالحرف الواحد .

صعدت إلى سفينة الملك : وأدهشتهم باللهب ،

في الجوّ جوّ مرة ، في الوسط مرة ،

في الظهر ، في كل قمرة . وأنشَقُّ أحياناً

والتهب في مواضع شتى . في السارية العليا ،
 في القلوع ، في دقل المقدم ، أشتعل على حدة
 ثم تلتقي الشعلات وتتحد . صواعق جويتر، رسل
 قصف الرعد الرهيب ، لم تكن أشد أنيةً
 أو أسرع من لمح البصر . وبدا كأن النار والقصف
 في الهدير اللاهب يحاصران نبتون بجبروته
 وفي أمواجه الجريئات يرسلان القشعريرة ،
 أجل ، ويرجفان صولجانه الثلاثي المخيف .
 بروسبيرو: يا روعي الجميل ،

من له من الثبات ورباطة الجأش ، فلا يُمسّ عقله
 بهذا الصخب؟

آرييل : لم تبق نفس

ما أحست بحمى الجنون ، وأنت بلعبة ما
 من الأعيب اليأس . كلهم ، عدا البحارة ،
 تركوا المركب وقذفوا بأنفسهم في زبد الماء الأجاج ،
 وإذ راح ابن الملك فرديناند يشتعل معي -
 وشعره منتصب انتصاب الأقصاب ، لا الشعر -
 فكان أول من قفز ، صائحاً : « جهنم خويت ،
 وكل الشياطين هنا ! »

بروسبيرو: هكذا أردتك أيها الروح .

ولكن ذلك كان على مقربة من الساحل؟

آرييل : قريباً جداً منه ، يا سيدي .
 بروسبيرو: (قلقا) : ولكنهم ، آرييل ، لم يصابوا بأذى؟
 آرييل : شعرة واحدة لم تُصب .
 وثيابهم الواقية لم تصبها لوثة واحدة ،
 بل خرجت أنضر من ذي قبل . وكما أمرتني ،
 فرقتهم جماعات في أنحاء الجزيرة .
 وابن الملك أتيت به البر بمفرده ،
 وقد تركته يبرد الهواء بالحسرات ،
 في ركن منزو من الجزيرة ، جالساً ،
 وذراعا في عقدة حزينة ، هكذا . (يقلده)
 بروسبيرو: والبحارة من سفينة الملك ،
 أخبرني ، كيف دبّرت أمرهم ،
 وبقية رجال الأسطول؟
 آرييل : سفينة الملك
 آمنة في المرفأ ، في الخليج العميق ، حيث
 استدعيتني مرة في منتصف الليل لأحضر الندى
 من جزر برمودا العاصفة أبداً - هناك خبأتها
 وقد قبع البحارة جميعهم في العنابر
 وبرقية أضيفت إلى ما عانوه من جهد
 تركتهم نائمين . أما بقية السفن ،
 التي كنت شئتُها ، فقد اجتمعت من جديد

وهي الآن طافية على البحر المتوسط
متجهة ، وكلها أسي ، نحو وطنها في نابولي ،
وهي تظن أنها رأت سفينة الملك تتحطم
وشخصه العظيم يهلك .

بروسبيرو: آريل ، مَهْمَتُكَ
أنجزتها بدقة . ولكن ثمة المزيد من عمل .
ما الساعة الآن؟

آريل : بعد الظهر .

بروسبيرو: (ناظراً إلى الشمس): بساعتين على الأقل... علينا كلينا أن ننفق الوقت
بين الآن والسادسة بأكبر جدوى .

آريل : (متردداً) أمزيداً من الجهد؟ بما أنك تفرض عليّ الواجبات ، فلاذكرك بما
وعدتَ

ولم تنجز .

بروسبيرو: ما بك الآن؟ أصابك النكد؟

ما الذي تقدر أن تطالب به؟

آريل : حريتي .

بروسبيرو: قبل أن تنتهي المدة؟ كفى! (يرفع عصاه)

آريل : أرجوك

أن تتذكر أنني خدمتك أفضل خدمة ،

لم أكذب عليك ، لم أرتكب خطأ ، وخدمت

دونها شكوى أو تدمير . وأنت وعدت

بأن تخفف عني سنةً كاملة .

بروسبيرو: أنسيت

من أي عذاب حررتك؟

آرييل : كلا .

بروسبيرو: لا بل نسيت ، فاستكثرت على نفسك أن تطأ نزيز

اليتيم الأجاج ،

وتركض على ريح الشمال العاتية ،

وتقوم بمهام لي في عروق الأرض

عندما يغشاها الصقيع

آرييل : لا ، لا ، يا سيدي .

بروسبيرو: تكذب ، أيها الحقود . أنسيت

الساحرة القبيحة سايكوراكس ، التي انحنى طوقاً

شيخوخةً وغيرةً؟ أنسيتها؟

آرييل : كلا يا سيدي .

بروسبيرو: بل نسيتها . أين كان مولدها؟ قل لي .

تكلم .

آرييل : سيدي ، في الجزائر .

بروسبيرو: آ ، صحيح؟ لا بد لي

مرة كل شهر أن أسرد من جديد ما الذي كنت ،

وهو ما تنساه . . . هذه الساحرة اللعينة ، سايكوراكس ،

لكثرة سيئاتها ومريع فعالها السحرية التي

لا تتحملها إذن بشرية ، كما تعلم ،
 نُفِيت من الجزائر . ولشيء واحد صَنَعْتُهُ
 أحجموا عن قتلها . أليس هذا صحيحاً؟
 آرييل : بلى ، يا سيدي .

بروسبيرو : هذه الشمطاء الضامرة جيء بها هنا وهي حبلى ،
 وهنا غادرها البحارة . وأنت ، يا عبدي ،
 كما أخبرتني بنفسك ، كنت يومئذ خادمها ،
 ولأنك روح أرق من أن
 تنفذ أوامرها الأرضية الكريهة ،
 رفضت طلباتها الكبيرة ، فاستشاط فيها .
 غضب لا يعرف القرار ، وبعون
 من خدامها الأقوى منك ، حبستك
 في صنوبة مشقوقة - وفي هذا الشق
 بقيت حياً معذباً

لاثنتي عشرة سنة ، مانت بعدها ،
 وتركتك هناك ، حيث رحت ترسل الآثات
 سراعاً كضربات النواعير . وهذه الجزيرة أيامئذ
 لم يشرفها كائن بشري ، فيما عدا الولد الذي
 خلفته هنا ، هذا الجرو النَّمش ، وليد الشمطاء .
 آرييل : نعم ، كالبيان ، ابنها .

بروسبيرو : كما قلت ، هذا الغبي ، كالبيان

الذي جعلته الآن في خدمتي . إنك أعلم
 بالعذاب الذي وجدتكَ فيه . لقد كانت أناتك
 تجعل الذئاب تولول ، وتخترق صدور
 الدببة الساخطة أبداً . كان ذاك عذاباً
 يحلّ بمن أنزلت عليه اللعنة ، وهي التي
 عجزت عن رفعها سايكوراكس .

عندما جئت ، وسمعتك ، كان فني هو الذي
 فتح الصنوبرة ، وأخرجك منها .
 آرييل : إني يا أستاذي لأشكرك .
 بروسبيرو : إن تدمرت ، لأفلقن سنديانة
 وأمسمرنك في أحشائها العقداء ، حتى
 تعيط لاثني عشر شتاء بكاملها .
 آرييل : عفوك ، أستاذي .

سأستجيب للأمر
 وأغفرت طائعاً .

بروسبيرو : افعل ذاك ، وبعد يومين
 أطلق سراحك .

آرييل : أنت أستاذي النييل !
 ماذا أفعل ؟ قل لي . ماذا أفعل ؟

بروسبيرو : اذهب واجعل من نفسك حورية من حور البحر ،
 على ألا تُرى إلا منك ومني ، خفياً

عن كل حذقة سوانا . اذهب وتقمص هذا الشكل ،
وعد وأنت فيه . هيا ، اذهب ،
بخفة ونشاط .

(يختمفي آريل . ينحني بروسبيرو على ميراندا)

استيقظي ، حبيبة القلب ، استيقظي . هنيئاً نمت .
استيقظي .

ميراندا: غرابة قصبتك

غيتني عن نفسي .

بروسبيرو: تنشطي . وهيا بنا

لتزور عبدي كاليان ، هذا الذي

لا يجينا أبداً بجواب كريم .

(يقتربان من تجويف في الصخرة)

ميراندا: إنه نذل يا سيدي

لا أحب النظر إليه .

بروسبيرو: ولكن ، مهما يكن ،

لا غنى لنا عنه . إنه يهيء نارنا ،

ويحضر حطبنا ، ويقوم بمهام

تفيدنا . (منادياً) كاليان ! يا عبد ! اسمع .

أنت ، يا تراب ! انطق !

كاليان : (من التجويف) : هناك حطب كاف في الداخل .

بروسبيرو: تعال هنا . ثمة أشغال أخرى لك .

هيا، يا سلحفاة، هيا.

(يعود آرييل في شكل حورية ماء)

يا طيفاً بديعاً، يا جميلي آرييل،
اقترِب لأهمس في أذنك.

(يهمس له)

آرييل: سمعاً وطاعة يا مولاي. (يختفي)

بروسبيرو: (لكالبيان): أنت يا عبداً كله سم، يا نطفة الشيطان في أملك الخبيثة، تعال
هنا!

(يخرج كالبيان من تجويفة الصخر، وهو يمضغ)

كالبيان: ألا فليُنزل عليكما كليكما.

أخبت ما جمعت أُمي من ندى

بريشة غراب من مستنقع مسموم!

ألا هبت عليكما ريح جنوبية غربية

وكستكما بثوراً من الرأس حتى القدم!

بروسبيرو: لكلامك هذا، ثِقْ أنك الليلة ستصيبك التشنجات،

ولسوف تُقْفِصُ نَخَزَاتُ الجانين أنفاسك، والعفاريثُ

طيلة الليل المديد ستُنشط

وتُعمل فيك فنونها. ولسوف تُقرص قرصاً

بكثافة قرص العسل، وكل قرصة أشد لسعاً

من النحل الذي يصنعه:

كالبيان: (نابحاً): أريد أن آكل غدائي.

هذه الجزيرة لي ، ورثتها عن سايكوراكس والدتي ،
 وأنت أخذتها مني . عندما جئت أول الأمر ،
 مسدّتي ودلّلتني . كنت تعطيني
 ماء فيه توت ، وتعلمني كيف
 أسمى النور الأكبر ، والنور الأصغر ،
 اللذين يشتعلان في النهار وفي الليل . عندها أحبتك
 وأطلعتك على مزايا الجزيرة كلها ،
 على الينابيع العذبة ، والحفر المالحة ، على أماكن الخصب والقفور .
 فلا تكن ملعوناً لفعلتي تلك ! ولتحلّ عليك
 رقي سايكوراكس جميعها ، سلاحف وخنافس وخفافيش !
 لأنني كل ما لديك من رعية
 أنا الذي كنت قبل ذلك مَلِكَ نفسي : وهنا تزريني
 في هذه الصخرة الصماء ، وتمنع عني
 بقية الجزيرة .
 بروسبيرو : أيها العبد الكذاب ،
 لا يجدي فيك اللطف بل الجلد . لقد عاملتك
 على قذارتك - برعاية إنسانية ، وأسكنتك
 حجرتي نفسها ، إلى أن حاولت إنتهاك
 شرف ابنتي .
 كالبيان : ها ! ها ! يا ليت ذاك تحقق !
 أنت منعتني - وإلا لملاّت

هذه الجزيرة بنسل كاليبان .
 بروسبيرو⁽³⁾ : أيها العبد المقيت الذي
 لا يقبل أن يُطبع فيه أيُّ خير،
 لأنه مطبوع على كل شرّ. لقد شفقت عليك،
 وجهدت في أن أجعلك تتكلم، وعلمتك كل ساعة
 شيئاً جديداً . وأيام كنت أيها المتوحش
 لا تعرف ما تعنيه، فتهذر
 كمخلوق وحشي، وهَبْتُ مقاصدك
 كلمات تفصح عنها . . . غير أن عِرْقَكَ الدنيء،
 رغم تعلّمك، فيه ما ترفض طبائع الخير
 أن تساكته . ولذا فإنك
 إستحقاقاً حُبست في هذه الصخرة،
 ولكنك تستحق أكثر من السجن .
 كاليبان : علمتني اللغة، وما جنيت منها إلا
 أنني أعرف كيف اشتتم . فليكرّفك الطاعون الأحمر
 لتعليمك إياي لغتكم .
 بروسبيرو : ولّ، يا بزرّة الشمطاء!
 إيتنا بحطب، وخير لك أن تسرع
 لكيما تنجز مهام أخرى . أتبرز كتفبك يا حقود؟
 إن أهملت، أو قمت غير طائع
 بما أمرتك، لأخلعن بَدَنَكَ بالتشنجات إياها،

واملأن عظامك أوجاعاً، فتجار حتى
ترتجف الوحوش لولولتك .

كاليان : (مذعوراً) لا، أرجوك . . .

(مهمباً لنفسه) عليّ بالطاعة - ففي فنه من القوة
ما بوسعه التحكّم بإله أمني سيّيبوس ،
وإخضاعه تابعاً له .

بروسبيرو: هيا إذن، يا عبد، انصرف!

(ينسل كاليان خارجاً. ينسحب بروسبيرو وميراندا إلى داخل الكهف. تسمع

موسيقى، ويدخل آرييل غير مرئي⁽⁴⁾، يعزف ويغني، يتبعه فر ديناند)

أغنية آرييل :

إلى الرمال الصفراء هذي تعالوا

وامسكوا الأيدي معاً

وتبادلوا الإنحناء ثم القبل -

والأمواج الهوجاء قد هجمت :

وأرقصوا رقصاً رشيقياً هنا وهناك

فتردد الحُور الحلواتُ

لكم القرار. . . اسمعوا!

قرار من أماكن متفرقة : باو. . واوا!

آرييل : وكلاب الحراسة تنبح :

قرار : باو. . واوا!

آرييل : اصغوا واسمعوا، إن هذا

غناء الديك المتبختر إذ يصبح -

قرار: كو كو كوكوا . .

فرديناند: أين هذه الموسيقى؟ أفي الهواء، أم الأرض؟

انقطعت! لا ريب أنها في خدمة

إله ما في الجزيرة. حين جلست على الساحل

أبكي من جديد هلاك أبي،

زحفت إليّ هذه الموسيقى على الأمواه،

تخفف من غلوائها والتباغي

بعذب أنغامها: ومن هناك تبعتها -

بل أنها اجتذبتني. ولكنها راحت . . .

لا، ها هي تبدأ من جديد.

أغنية آريل:

على عمق خمس قامات وأكثر

أبوك الآن راقد،

من عظامه يصنع المرجان:

هاتان لؤلؤتان كانتا بالأمس عينيّه.

وما من شيء فيه يتحوّل

إلا وبالبحر الآن تحوّل

إلى شيء ما نفيس وغريب . . .

وحوار البحر في كل ساعة

يقرعن ناقوس موته.

قرار: دنغ، دونغ.

آرييل: أصغ! إني الآن أسمعهنّ -

يقرعن ناقوس موته.

فرديناند: تذكر الأغنية أبي الغريق.

ما هذا بصوت أنسي، لا ولا الأرض

فيها صوت مثله. أسمعه الآن فوقني...

بروسبيرو: (وهو يقناد ميراندا من الكهف): إرفعي ستائر عينيك المهتبة، وقولي ما

الذي ترين هناك.

ميراندا: ما هذا؟ أروح هائمة؟

رباه، كيف تتلفّت حولها! صدقني يا سيدي

إنها لتحمل شكلاً جميلاً... ولكنها مجرد روح.

بروسبيرو: لا يا بنيّة، إنها تأكل وتنام ولها حواسّ

كالتي لدينا... هذا الفتى الذي ترين

كان في السفينة التي تحطمت: ولولا أن فيه شيئاً من وعشاء

الحزن - وهو سوس كلّ جمال (يلمس خدّها) -

لكان لك أن تقولي إنه

شخص وسيم: لقد فقد رفاقه

وهام يبحث عنهم.

ميراندا: (تتقدم، تحت سحر أبيها): لكان لي أن أقول إنه

مخلوق إلهي - لأنني ما شاهدت يوماً

شيئاً طبيعياً بهذا النبل.

بروسبيرو: (متوقفاً): أرى أن الأمر يسير
كما تشاء له . . . نفسي . . . أيها الروح ، أيها الروح الجميل ،
سأعتقك بعد يومين ، جزاء لك على هذا .
فرديناند: (إذ تجاهبه ميراندا): لا شك أنك الآلهة
التي جعلت هذه الأنعام في خدمتها . أرجو أن تخبريني
إن كنت تقيمين في هذه الجزيرة
وأن تتلطفي فترشديني
كيف ينبغي عليّ أن أتصرف هنا . . . وسؤالي الأول ،
وإن يكن آخر ما أنطق ، هو - أيتها الأعجوبة -
هل أنت فتاة ، أم لا ؟
ميراندا: لست بأعجوبة ، سيدي ،
بل أنا فتاة دونها ريب .
فرديناند: لغتي؟ يا للسماء!
إني خير القوم الذين يتكلمون هذه اللغة ،
لو كنت فقط حيث يتكلمونها .
بروسبيرو: (متقدماً) خيرهم؟ كيف؟
ماذا يكون من أمرك لو سمعك ملك نابولي؟
فرديناند: ما أنا فيه بالضبط ، أنا الذي أدهشني
سماعك تتكلمين عن نابولي . . . إنه يسمعني ،
ولأنه يسمعني ، أذرف الدمع . . . أنا ملك نابولي ،
وبهاتين العينين ، اللتين لم تعرفا الجزر منذئذ ، رأيت

والذي الملك تتحطم به السفينة .

ميراندا : واحسرتاه !

فرديناند : أي والله ، وأفراد حاشيته كلهم - وما دوق ميلانو

وابنه الجميل إلا اثنان منهم .

بروسبيرو : (لنفسه) : لدوق ميلانو

وابنته الأجل بكثير أن يسيطر عليك

لو كان الوقت هذا ملائماً . . . عند أول وهلة

تبادلا النظرات . . . أيها الرهيف آريل

سأعتقك من أجل هذا . . . (بصرامة) كلمة ، سيدي المحترم ،

أخشى أنك أنت نفسك قد أسأت في أمر ما . كلمة .

ميراندا : لماذا يتكلم أبي بهذه الخشونة ؟ هذا

هو ثالث رجل رأيته أبداً - وأول رجل

تنهدت أبداً من أجله . فلتدفع الشفقة بأبي

إلى الميل باتجاهي .

فرديناند : إن كنت عذراء

ولم ينطلق حبك لأحد ، لأجعلك

ملكة نابولي .

بروسبيرو : مهلاً ، يا سيد . كلمة واحدة أخرى . . .

كلاهما الآن تحت رحمة الآخر ، ولكن هذا الأمر السريع

يجب أن أصعبه ، لئلا يستخف الجائزة

كسبها السهل . . . كلمة أخرى ، وأمرك

بالإنتباه إلي : إنك هنا تغتصب

الاسم الذي هو ليس ملكاً لك - وتضع نفسك

في هذه الجزيرة كجاسوس ، لكيأ تأخذها

مني أنا ، سيدها .

فرديناند : لا ، قسماً برجولتي .

ميراندا : ما من شرٍ يستطيع السكنى في هيكلك هذا .

فإن يكن للنفس الشريرة بيت حسن كهذا ،

فإن الأشياء الخيرة ستكافح للسكنى معها .

بروسبيرو : (أمراً فرديناند) : اتبعني !

(لميراندا) لا تدافعي عنه ، إنه خائن . (لفرديناند) تعال ، سأغل عنقك إلى

قدميك ،

وستشرب ماء البحر . ولسوف يكون طعامك

رَحْوَيَاتِ الجداول الجارية ، والجذور الذابلة ، والقشور

التي كانت تحتضن البلوط . اتبعني .

فرديناند : كلا !

سأقاوم ضيافة كهذه أو أرى

قوة أعظم في عدوي .

(يستل سيفه ، فيمنعه السحر عن الحركة)

ميراندا : أبتاه ،

لا تكن قاسياً جداً في تجربته ، لأنه

وديح ، وغير مخيف .

بروسبيرو: ما هذا؟

أقدّمي تعلّمني؟ أغمّد سيفك يا خائن،

يا من تتظاهر، ولكنك تجبن عن الضرب. ضميرك

ملكه عليك الجرم: تعال من حارسك،

لأنّني أقدر على نزع سلاحك بهذه العصا،

واسقاطه من يدك.

(يقع سيف فرديناند من يده)

ميراندا: (تشذّ عباءة أبيها): أتوسل إليك يا أبي.

بروسبيرو: ابتعدي. لا تشبّثي بشيائي.

ميراندا: أشفق عليه يا سيدي.

وأنا أكفله.

بروسبيرو: اسكتي. كلمة أخرى واحدة منك

ستجعلني أعنّفك، إن لم أكرهك. ماذا،

أتحامين عن خائن! (تبكي) هس!

تحسبن أن ليس ثمة أشكال أخرى مثله

لأنك لم تري سواه وكالبيان... أيتها البلهاء،

ما هذا إلا كالبيان لو قيس بالآخرين،

وهم قياساً به ملائكة.

ميراندا: عواطفني إذن

جد متواضعة: إني لا أطمح

إلى رؤية رجل أوسم.

بروسبيرو: (لفرديناند): هيا، أطيح!

عادت أعصابك إلى طفرلتها،

ولم تبقَ فيها أية قوة .

فرديناند: تماماً .

حيويتي مقيدة كلها، كما في حلم .

فقداني أبي، والخنّور الذي أستشعره،

وغرق أصدقائي جميعاً، بل وتهديدات هذا الرجل

الذي أخضعني له، كلها خفيفة عليّ

إن أنا أتيح لي خلال سجنني أن أرى مرة في اليوم

هذه الفتاة: ولتنطلق الحرية في

أرجاء الأرض الأخرى كلها - وحسبي منطلقاً

سجنّ كهذا .

بروسبيرو: نجحت! . . (فرديناند) تعال! (لأرييل) أحسنت فعلاً يا جميلي أرييل ...

(فرديناند) اتبعني .

(لأرييل) اسمع ما أريد منك أيضاً أن تفعل .

ميراندا: اطمئن،

إن أبي أحسن طبعاً، يا سيدي،

عما يبدو في كلامه . وما بدر منه الآن

ليس من عادته .

بروسبيرو: (لأرييل): ستكون طليقاً

كرياح الجبال . ولكن تقذ بدقة

وتفصيل ما أمرتك به .

آريل : بالحرف الواحد . (يخرج)

بروسبيرو : (ملتفتاً لفرديناند ثانية) : هيا ، اتبعني . (لميراندا) لا تدافعي عنه !
(يدخلون الكهف)

هوامش :

(1) السفينة ، بانجرافها نحو الشاطئ بفعل العاصفة ، يخشى الملاح ارتطامها بالصخر وتحطمها عليه . وإرشاداته البحرية تعني أن يحاول البحارة ، بطي الأشرعة وإنزال السواري ، توجيهها نحو الساحل جانبياً ، لا رأسياً .

(2) عند إلقاء القبض على القراصنة ، كانت العادة أن يشنقوا عند حافة الجزر ، ويمد البحر ويجزر عليهم ثلاث مرات قبل أن تنزل جثثهم .

(3) في نسخة «الفوليو» حيث نشرت «العاصفة» لأول مرة ، يرد هنا اسم ميراندا كقائلة العبارة اللاحقة . غير أن معظم المحققين يفضلون عزوها إلى بروسبيرو ، ولو أننا منجذ في المشهد الثاني من الفصل الثاني أن كاليان يشير إلى أن ميراندا كانت تعلمه ، وتعليم كاليان هو فحوى هذه العبارة .

(4) يُفترض في المشاهد أن يتصور أن آريل ، ولو أنه يُرى على المسرح ، غير مرئي بالنسبة إلى الأشخاص الآخرين . كان من عادات المسرح الإليزابيثي في مثل هذه الأحوال أن يرتدي الممثل وشاحاً كتب عليه «غير مرئي» .

[ما بين المعقوفين من ترجمة الاستاذ ابو العيد دودو مقدّم المسرحية ، لأن هذا الجزء ساقط من الطبعة الى اعتمدنا عليها .

الفصل الثاني

المشهد الأول

(فضاء في غابة ، في جزء آخر من الجزيرة .

الملك الونزو مضطجع على الأرض الخضراء ، ووجهه مدفون بالعشب ، وقد

وقف حوله غونزالو ، أدريان ، فرانسيسكو ، وآخرون . على طرف منهم

سباستيان وانطونيو يتحدثان معاً ، ساخرين .)

غونزالو : أرجوك يا سيد أن تشرح . لديك سبب ،

كما لدينا جميعاً ، للفرح . لأن نجاتنا

أكثر بكثير من خسارتنا . أما شَجَّتْنَا القليل

فأمر شائع - كل يوم نرى زوجة ملاح ،

وربابة سفينة ما ، ومَنْ في السفينة نفسها ،

ولديهم موضوع لمثل هذا الشجن . ولولا المعجزة -

أعني خلاصنا . . . قلائل بين الملايين

يستطيعون الحديث مثلنا . إذن ، سيدي الكريم ،

بالحكمة وازن بين حزننا وعزائنا .

الونزو : (دون أن يرفع رأسه) : كفى ، رجاء .

سباستيان : يتلقى العزاء كالحساء البارد .

أنطونيو: والزائر العائد لن يكفّ عنه .

سباستيان: أنظر أنه ينصب ساعة قريحته ، وبعد قليل
ستدق .

غونزالو: سيدي -

سباستيان: واحدة . . . عد .

غونزالو: إذا ما المرء تأسّى لكل فاجعة تنوبه ،
جاء لذي الأسى -

سباستيان: (بصوت عال) دينار⁽¹⁾ .

غونزالو: (ملفتناً إليه): دوار⁽¹⁾ من ألم ، أجل . لقد نطقت
بأصدق مما قصدت .

سباستيان: لقد أخذتها بأحكم مما عَنت .

غونزالو: (للملك ثانية): ولذلك ، يا مولاي -

أنطونيو: الله ، ما أسرفه إنفاقاً بلسانه !

الونزو: أرجوك ، كفى .

غونزالو: طيّب . انتهيت . ولكن -

سباستيان: لا بد له من كلام .

أنطونيو: فلنراهن ، من - هو أم أدريان -

سيصبح أولاً؟

سباستيان: الذيك العجوز .

أنطونيو: الذيك الفرخ .

سباستيان: موافق . رهانك؟

أنطونيو: ضحكة!

سباستيان: صار!

أدريان: قد تبدو الجزيرة مهجورة -

أنطونيو: ها، ها، ها!

سباستيان: إذن، قبضت رهائك.

أدريان: لا تصلح للسكنى، وتكاد لا يبلغها إنسان -

سباستيان: ولكن -

أدريان: ولكن -

أنطونيو: كانت ظاهرة جداً.

أدريان: لا بد أن أجواءها لطيفة، رهيبة، خفيفة.

أنطونيو: لطيفة فتاة رهيبة.

سباستيان: نعم، وخفيفة كما تفضل عالمنا الكبير

أدريان: أنفاس الهواء علينا هنا عذبة زكية.

سباستيان: كأنّ له ريتين، متفسختين.

أنطونيو: أو كأنه معطر بالأسن.

غونزالو: هنا كل ما هو مفيد للحياة.

أنطونيو: حقاً، إلّا وسائل الحياة.

سباستيان: لا وسائل، أو أقلها:

غونزالو: ما أينع العشب! ما أنضره! ما أخضره!

أنطونيو: والله الأرض صفراء.

سباستيان: بعين فيها خضراء.

أنطونيو: لا يفوته شيء .

سباستيان: أبدأ ، نخطيء الحقيقة فقط ، كليا .

غونزالو: إنها الأمر النادر الغريب ، الذي يكاد لا يصدق -

سباستيان: نادر وغريب عن حق .

غونزالو: - أن - ثيابنا ، بعد أن نُفِعت في البحر ، بقيت

رغم ذلك على نضارتها ولمعتها ، كأنها

هي صُبِغت من جديد ، لا لَوُثت بالماء المالح .

أنطونيو: لو تسنى لأحد حيوبه أن يتكلم ، لكذبه .

سباستيان: نعم ، أو لامتلاً كذباً بقوله .

غونزالو: يخيّل إليّ أن ثيابنا الآن قشبية كما كانت

ساعة ارتديناها أولاً في أفريقيا ، في

زفاف ابنة الملك ، الحسناء كلاريل

على ملك تونس .

سباستيان: زفاف حلو ، ما لقينا في عودتنا

منه إلّا الهناء .

أدريان: لم تحظ تونس يوماً بسيدة مثلها ملكة عليهم .

غونزالو: منذ عهد الأرملة ديدونه (2) .

أنطونيو: أرملة؟ قاتلها الله . من أين جاءت تلك الأرملة؟

الأرملة ديدونه !

سباستيان: كيف لو أنه قال «الأرمل إينياس» أيضاً؟

عجيب ، كيف تفهم الكلام !

أدريان: أقلت «الأرملة ديدونه» تجعلني أعيد النظر
في ذلك. فقد كانت ملكة قرطاجة، لا تونس.
غونزالو: تونس اليوم، يا سيدي، كانت قرطاجة.
أدريان: قرطاجة؟

غونزالو: أؤكد لك: قرطاجة.

أنطونيو: كلمته أقوى من القيثارة العجائية.
سباستيان: لقد أنهض الأسوار، والمنازل أيضاً. (3)
أنطونيو: أي أمر مستحيل سيجعله الآن سهلاً؟
سباستيان: أظن أنه سيحمل هذه الجزيرة في جيبه ويأخذها
إلى البيت ليعطيها ابنه عوضاً عن تفاحة.
أنطونيو: ويزرع بذورها في البحر ويستتبت جزراً أخرى.
غونزالو: نعم.

أنطونيو: آ، أخيراً...

غونزالو: سيدي، كنا نقول إن ثيابنا تبدو الآن
قشبية كما كانت حين كنا في تونس،
في زفاف ابنتكم، التي هي الآن ملكة.
أنطونيو: وأعز من أتى هناك.

سباستيان: سوى، أرجوك، الأرملة ديدونه.

أنطونيو: آه يا ديدونه، يا أرملة يا ديدونه!

غونزالو: أليس معطفي يا سيدي قشياً كما كان
أول يوم لبسته؟ أقصد، نوعاً ما...

أنطونيو: أجاد صيدها، «نوعاً ما» تلك .

غونزالو: عندما لبسته في زفاف ابنتكم

الونزو: (رافعاً رأسه، وجالساً): إنك لتفحم هذه الكلمات في أذني،

ضدّ رغبتني . . . ليتني لم أزوّج قط

ابنتي هناك . لأننا بعودتنا من هناك

فقدت ابني، كما فقدتها هي أيضاً، في تقديري .

فلبعدها القصي عن إيطاليا،

لن أراها ثانية أبداً . آه يا وريثي

في نابولي وميلانو، أيّ سمك غريب .

قد جعلك طعاماً له؟

فرانسيسكو: ربما كان حياً، يا مولاي .

رأيته يضرب الأمواج تحته،

ويركب غواربها . . . وطأ الماء،

ملقياً عنه بعداوته، وبصدره تلقى

عالي العوارم التي تقابله: وأبقى رأسه الجريء

فوق الأمواج المقتلة، وبذراعيه السليمين

راح يضرب بقوة، مجذّفاً نفسه

إلى الشاطئ . . . الذي طأطأ فوق قاعدته المتآكلة بالموج،

كانه ينحني لإنقاذه . لا أشك

في أنه بلغ البرّ حياً .

الونزو: لا، لا، لقد راح .

سباستيان: (بصوت عال): مولاي، إنك السبب في هذه الخسارة العظيمة،
لأنك رفضت أن تبارك قارتنا الأوروبية بابنتك،
وآثرت أن تسلم قيادها لأفريقي -
حيث ستبقى، على الأقل، منقبة عن عينك التي
تجد الآن داعياً لإرواء حزنها بالدمع.
الونزو: أرجوك، كفى.

سباستيان: كلنا ركعنا أمامك، وتوسلنا إليك
الآن تفعل ذلك: والحسنة المسكينة نفسها،
وازنت بين الإعراض والطاعة،
أي الكفتين ينبغي لها أن ترجح... أخشى أننا
فقدنا ابنك، إلى الأبد. وفي ميلانو وناپولي
من الأرامل، بسبب هذا الأمر،
أكثر مما لدينا من رجال يعزونهن.
إن الخطأ خطوك.

الونزو: وأعز من خسرنه خسارتي.
غونزالو: مولاي سباستيان،
الصدق الذي تقوله يفتقر إلى الكياسة
وإلى الوقت الملائم لقوله. إنك تفرك القرصة
حين ينبغي أن تأتيها بالمرهم.
سباستيان: وليكن.
أنطونيو: كأبرع جراح.

غونزالو: مولاي الكريم ، طقسنا كلنا يكفهر
عندما تغيم نفسك .

سباستيان: يزبثر؟

أنطونيو: يزبثر جداً .

غونزالو: لو مُنِحتُ مزارعةً هذه الجزيرة يا مولاي
أنطونيو: لزرعها بذر العليق .

سباستيان: أو الحمّاض ، أو الخبازة .

غونزالو: وكنتُ ملكاً عليها ، ما الذي لكنت أفعله؟

سباستيان: لبقّي بعيداً عن السكر ، لانعدام الخمر

غونزالو: لكنت في الدولة الفاضلة أصنع

كل شيء بضدّه : فلا أسمع

بأي ضرب من تجارة ، أو أي إسم لقاضٍ ،

لن يعرف أحد الكتابة ، أو الشراء ، أو الفقر ،

أو استخدام الغير ، لا ولا العقود ، أو الميراث ،

أو حدود الأرض ، أو الحراثة ، أو الكروم .

ولا استخدام المعدن ، أو الحبوب ، أو الخمر ، أو الزيت :

ليس ثمة من حرفة لأحد ، والكل عاطل بلا عمل :

والنساء كذلك ، ولكنهن بريئات عفيفات .

ولا سيادة -

سباستيان: ولكنه يريد أن يكون ملكاً عليها .

أنطونيو: ختام دولته الفاضلة ينسى إستهلالها .

غونزالو: وكل شيء في الطبيعة يتبع
دونها عرق أو جهد. لن يكون عندي
خيانة، أو جريمة، أو سيف، أو رمح، أو سكين،
أو بندقية، أو الحاجة إلى أية آلة.
إنها الطبيعة هي التي تولد،
من تلقائها، الوفرة والسخاء والكثرة،
لإطعام قومي الأبرياء.
سياستيان: الا زواج بين رعاياه؟
أنطونيو: أبداً، يا رجل، الكل عاطل، البغايا والأوغاد...
غونزالو: ولأحكمّن حكم الكمال يا سيدي،
فأبّر العصر الذهبي، و -
سياستيان: (بصوت عال): رعى الله جلالته!
أنطونيو: عاش غونزالو!
غونزالو: أسمعني يا سيدي؟
الونزو: أرجوك، كفى. انك لا تقول شيئاً لي.
غونزالو: إني أصدق جلالتك، وما قلت ما قلت إلا لأهبي
فرصة لهذين السيدين، اللذين يتمتعان
برثات حساسة خفيفة، فيضحكان،
دائماً على لا شيء.
أنطونيو: عليك أنت كنا نضحك.
غونزالو: وأنا، في هذا الضرب من التهريج،

لا شيء لكما . فاستمرا ، واضحكا على لا شيء .

أنطونيو : يا للضربة الهائلة !

سباستيان : لولا أنها وقعت على وجهها .

غونزالو : إنكما سيدان من معدن رائع : بوسعكما أن ترفعا

القمر من فلّكه - لو أنه يبقى فيه

لخمسة أسابيع دون أن يتغيرا !

(يظهر آريل في الأعلى ، وهو يعزف موسيقى مهيبة)

سباستيان : نفعل ذلك ، ثم نذهب لصيد الخفافيش في الظلام .

(غونزالو يشيح بوجهه عنهما) .

أنطونيو : سيدي العزيز ، لا تغضب .

غونزالو : لا ، وحياتك . أنا لا أجازف بحكمي على الأمور بهذا الضعف . . .

(يضطجع) هلاً أضحكتهما حتى أنام ،

لأنني مثقل بالنعاس .

أنطونيو : إذهب ونم ، واسمعنا .

(ينامون كلهم ، إلا الونزو ، وسباستيان ، وأنطونيو)

الونزو : ماذا ، أبهذه السرعة ناموا جميعاً؟ ليت عينيّ

إذ تتغلغان ، تغلقان معهما على أفكار . . .

إني أجد أنها تميلان إلى فعل ذلك .

سباستيان : أرجو يا سيدي

الآ تمنع عنهما ذلك الميل الثقيل .

فالنوم قلما يزور الحزن . فإن زاره

كان مواسياً .

أنطونيو: نحن كلانا، يا مولاي،

سنحرس شخصكم، وفيما تنالون راحتكم،

ونسهر على سلامتكم .

الونزو: شكراً . . . نعاس ثقيل عجيب .

(ينام الونزو، ويختفي آريل)

سباستيان: ما أغرب النعاس الذي سيطر عليهم!

أنطونيو: إنها مزية المناخ .

سباستيان: لماذا إذن لا يغمض أجفاننا؟ لا أجد

إنني أريد النوم .

أنطونيو: ولا أنا . حيويتي كلها خفة .

سقطوا جميعاً معاً، كأنهم على اتفاق .

وقعوا - كما بصاعقة . . . (يهمس، مشيراً إلى النائمين) ماذا لو . . .

يا عزيزي سباستيان . آه، ماذا لو؟ كفى!

ولكن، يخيّل إليّ أنني أرى في وجهك

ما ينبغي لك أن تكون . الفرصة تحثك،

ومخيّلتي الجامعة ترى تاجاً

يحطّ على رأسك .

سباستيان: ماذا! أيقظان أنت؟

أنطونيو: ألا تسمعني أتكلم؟

سباستيان: أسمعك، إنها ولا ريب

لغة النوم ، وأنت تتكلم
 عن نوم فيك . ما الذي قلته ؟
 راحة غريبة هذه ، أن ينام المرء
 وعيناه مفتوحتان على سعتيها ، يقف ، يتكلم ، يتحرك ،
 ولكنه في نوم عميق .

أنطونيو: سياستييان النبل ،
 إنك تدع حظك ينام ، بل يموت ، تُغمض
 وأنت يقظان .

سياستييان: بل أنت تغطّ بوضوح ،
 وفي غطيطك معنى .

أنطونيو: إني أكثر جدية مما ألفت ، وأنت عليك
 أن تكون كذلك أيضاً ، إذا أصغيت إليّ . وإذا فعلت ،
 فإنك ستضطرب .

سياستييان: حسناً: إنني الماء الراكد بين المدّ والجزر .
 أنطونيو: سأعلمك كيف تتحرك .

سياستييان: علمني : فالجزر
 هو ما يلقّني الخمول الوراثي .

أنطونيو: آه ، ليتك تعلم كيف أنك تهوى الغاية
 وأنت تسخر منها هكذا . كيف أنك ، كلما عرّيتها ،
 زدت في إلياسها . أن الذين في الجزر ،

إنما في الأغلب يبلغون القرار

من جرّاء خوفهم ، أو خمولهم .
 سياستيان : استمر ، أرجوك .
 فالزم في عينيك وخذك يعلن
 أمراً خطيراً عنك ، وولادة
 مخاضها ولا ريب عسير عليك .
 أنطونيو : (مشيراً إلى غونزالو) : هاك ، سيدي .
 لئن يكن هذا النيل الضعيف الذاكرة ، هذا
 الذي ستكون ذكراه أيضاً ضعيفة
 حين يوارى التراب ، لئن يكن هنا قد كاد يقنعنا -
 فهو روح الإقناع بالذات ، لولا
 أن الإقناع حرفته - بأن ابن الملك حي يرزق ،
 فإن من المستحيل أن يكون غير غريق ،
 كما أن من المستحيل أن هذا النائم هنا يسبح .
 سياستيان : لا أمل لي
 في أنه غير غريق .
 أنطونيو : ومن الـ « لا أمل » هذه
 ما أعظم أملك ! فاللا أمل ، على هذا النحو ،
 هو نحو آخر لأمل رفيع ، بحيث أن
 الطموح نفسه لا يقوى على إرسال نظرة إلى ما هو أبعد
 دون أن يرفع شعلة إكتشاف هناك . . . أتسلم معي
 أن فرديناند قد غرق ؟

سباستيان: مات .

أنطونيو: إذن ، قل لي ،

من الوارث التالي لعرش نابولي ؟

سباستيان: كلاريل .

أنطونيو: هذه التي هي ملكة تونس ، هذه التي تقيم

على مسافة عشرة فراسخ أبعد مما يستطيع أن يرحل

إنسان في حياته ، هذه التي من نابولي

لن تبلغها رسالة ، إلا إذا كانت الشمس هي البريد .

فالرجل الذي في القمر بطيء السفر - ريثما الذقون الوليدة

تحسن وتريد الحلاقة . هذه التي ، بسببها ،

التهمنا البحر جميعاً ، وإن لفظ البعض منا ثانية ،

وفي هذا المصير إشارة لنا بأن نقوم بفعل

كان ما قد مضى توطئة له ، وما سيأتي

إنما هو رهن بمشيئتك ومشيتي .

سباستيان: ما هذا الكلام ؟ ماذا تقول ؟

صحيح أن ابنة أخي هي ملكة تونس ،

وأنها لذلك وريثة عرش نابولي - وبين المكانين

شيء من مسافة .

أنطونيو: مسافة يبدو أن كل بوصة فيها

تصيح : « اني لكلاريل تلك

أن تقيسنا عودة إلى نابولي ؟ إبقى في تونس ،

وليستيقظ سباستيان! « أترى ، لكأن الموت
هو الذي قد أمسك بهم . ولن يكونوا أسوأ
مما هم عليه الآن . هناك من بوسعه أن يحكم نابولي ،
وهناك أيضا من هو نائم . ونبلاء بوسعهم أن يهدروا
باستفاضة وعن غير ما ضرورة

كغونزالو هذا . أنا بالذات بوسعي أن أصبح
غراباً ، بنعيق كنعيقه . آه لو أنك تحمل
الخواطر التي أحملها ! ما أروع هذا النوم
خدمة لتقدمك ! أتفهمني ؟

سباستيان : أظن أنني أفهمك .

أنطونيو : وكيف تصنع لك قناعتك
ما أنت محظوظ به ؟

سباستيان : أذكر

إنك اغتصببت مكان أخيك بروسبيرو .

أنطونيو : صدقت .

وانظر ما أحسن ما تستقر عليّ أرديتي ،

فتلائمني أكثر من ذي قبل بكثير . كان خدام أخي

أيامئذ أقراني ، أما الآن فهم رجالي .

سباستيان : ولكن ، ضميرك ؟

أنطونيو : أجل ، سيدي ، أين هو ؟ لو كان فرحة في قدمي ،

لألجأني إلى خُفي . غير أني لا أشعر

بهذا الاله في صدري . لو حال عشرون ضميراً
 دوني ودون ميلانو، لكانت كالسكر
 تذوب قبل أن تزعجني . . . هنا يضطجع أخوك،
 وهو لا يفضل الأرض التي يضطجع عليها .
 لو كان ما يبدو أنه الآن . (ينخفض صوته) أي ميتا -
 وباستطاعتي بهذه الشفرة الطيعة (مشيراً إلى خنجره) -
 بثلاث بوصات منها -

أن ألقيه في فراشه إلى الأبد . . . بينما أنت، فاعلاً كذلك،
 ترسل إلي نومة أبدية هذه اللقمة العتيقة
 (مشيراً إلى غونزالو)، صاحبنا أبا الحكمة والروية هذا،
 فلا ينتقد نهجنا . أما البقية
 فسيلتقطون العبرة، كما تلحس القطرة الحليب -
 ويديرون الساعة كما نريد لأي أمر
 نقول أن لحظته مؤاتية .

سباستيان: قضيتك، أيها الصديق العزيز،
 ستكون سابقتي . فكما حصلت على ميلانو
 سأحصل على نابولي . . . استلّ سيفك . ضربة واحدة
 ستعفيك من الجزية التي تدفعها،
 وأنا الملك سأحبك .
 أنطونيو: فلنستلّ معا .

وعندما أرفع يدي ، أرفع يدك أنت أيضاً

واهو بها على غونزالو.

سباستيان : آ ، ولكن - كلمة .

(يتزويان ويتحدثان . موسيقى . يظهر آريل مرة

أخرى ، وهما لا يريانهُ وينحني فوق غونزالو) .

آريل : أستاذي ، بفنه ، علم مسبقاً بالخطر الذي

أنت فيه ، وأنت صديقه ، فأرسلني

لإيقائك حياً ، وإلا قُضي على خطته .

(يغني في أذن غونزالو)

إذ تغط في نومك أنت هنا

يستغل الوقت تأمرٌ

عيناه الآن مفتوحتان ،

فإن كانت الحياة تهَمُّك

ألق بالنوم عنك ، واحذرا!

استيقظ ، ألا استيقظ!

أنطونيو : إذن فلنضرب فجأة كلانا .

غونزالو : (مستيقظاً) : فلتحفظ الملك الملائكة الكرام!

كيف أنت الآن؟ هيا ، استيقظ ! (هازاً الوزو ، فيستيقظ)

الوزو : (لأنطونيو وسباستيان) : لماذا استلّ كلاكما سيفه؟

فيم هذا الشحوب منكما؟ ما الأمر؟

سباستيان : إذ وقفنا هنا نحرس عليك راحتك ،

قبيل لحظات ، سمعنا انفجار جثير أجوف
 كخوار الثيران ، بل كزئير الأسود - ألم يوظفك أنت؟
 لقد أصاب أذني كشيء رهيب .
 الونزو: لم أسمع شيئاً .

أنطونيو: كان صوتاً ترتعب له أذن الوحش ،
 ويزلزل الأرض . . . أجزم أنه كان زئير
 قطيع كامل من الأسود .

الونزو: هل سمعته ، يا غونزالو؟
 غونزالو: بشرفي ، يا مولاي ، سمعت هممة -
 هممة غريبة حقاً - أيقظتني .

هزرتك ، يا مولاي ، وصحت . ولما فتحت عيني
 وجدتتهما مشهرين السلاح . . . كان ثمة صوت ،
 دونما شك . فخير لنا أن نحترس
 أو نغادر هذا المكان ولنشهر سلاحنا .

الونزو: سر بنا من هذه الأرض ، ولنبحث من جديد
 عن ابني المسكين .

غونزالو: حفظته السماء من هذه الوحوش ،
 لأنني موقن أنه في الجزيرة .

الونزو: سر بنا .

آريل : (إذ تتحرك الجماعة) : سأخبر سيدي بروسبيرو بما فعلت .
 وأذهب يا ملك سالماً للبحث عن ولدك !

المشهد الثاني

(هضبة قفراء . الطقس يسوء . يدخل كاليان حاملاً

خطباً . يسمع صوت الرعد .)

كاليان: ألا حلّ ببروسيرو كل ما تمتصه الشمس
من أوبئة من المستنقعات ورواكذ المياه ، وأنزل
داءً في كل أنملة من جسده . (برق) أرواحه تسمعني ،
ولكن لا بد لي من اللعن والشتم . (يلقي بحمله منه) والآن قرّصتني
وأرعبتني برؤى العفاريت ، وقذفت في الطين بي ،
ولما اقتادتني كشعلة نار في الظلام
لتضلّلني ، لو لم يأمرها بذلك .
يطلقها عليّ لأتفه سبب -
أنا كالقروء ، تكشّر لي وتبرير
ثم تعضني ، وأنا كالقنفاذ التي
تنطنط في دربي عند قدمي الحافيتين ، وتسدّد
مناخسها حيثما تقع قدماي ، وأنا
تلتفّ عليّ الأفاعي ، وبألسنتها المشقوقة

تفتح بي حتى الجنون .

(يدخل ترينكولو)

أنظر، الآن، أنظرا

هذه إحدى أرواحه قادمة - لتعذبني

لتباطئي في جلب الخطب . سأقع على وجهي

لعلها لا تنتبه إليّ .

. (يقع على وجهه بحيث يخفيه ثوبه)

ترينكولو : (متعزراً في سيره، ناظراً إلى السماء) : هنا لا دخل ولا شجيرة لاتقاء أي طقس أبداً . وهذه زويدة أخرى قد بدأت ، أسمعها تغني في الريح وتلك السحابة السوداء ، تلك السحابة الضخمة ، أشبه بسفينة خور شنيعة توشك أن تصبّ خورها . فإذا ارعدت ، كما ارعدت من قبل ، لا أعرف أين أخبئ رأسي . تلك السحابة لن تنهمر إلا كالجرادل . (يعثر بكاليان) ما هذا هنا ، إنس أم سمك؟ ميت أم حي؟ (يشم) سمكة ، رائحته كالسمكة . رائحة سمكية قديمة جداً . . . نوع من الشبوط العتيق . سمكة غريبة . . . لو كنت الآن في انكلترا ، كما كنت يوماً فيما مضى ، ورسمت هذه السمكة فقط⁽⁴⁾ ، لما بقي أبله في عطلته هناك إلا ودفع قطعة فضية . هناك يُعتبر هذا الوحش رجلاً : أي وحش غريب هناك يعتبر رجلاً . إنهم لن يتكرموا بدرهم واحد لانقاذ متسول أعرج ، ولكنهم ينفقون عشرة دراهم لرؤية هندي ميت . (يرفع الثوب عن كاليان) له ساقان كالإنسان ، وزعانفه كالذراعين . (يتحس جسمه بعذر) حارّ ، والله ! (يتراجع) إني الآن أطلق رأيي ، ولن أتمسك به بعد . هذا ليس بسمكة ، بل أحد سكان

الجزيرة، ضَرَبَتْهُ قَبْلَ قَلِيلٍ صَاعِقَةٌ . (رعد) أف! العاصفة تهب من جديد .
 ليس لي إلّا أن أزحف تحت ثوبه . (يفعل ذلك، من عند الدليل) ما من ملجأ
 آخر حوالِيّ هنا . إن البؤس ليعرّف الإنسان بالعجيب من رفاق الفراش .
 (يلتف الطرف الأدنى من الثوب حوله) سأتلفلف هنا حتى تنقضي آخر هبة
 من العاصفة .

(يدخل ستيفانو مغنياً، وفي يده قنينة)

ستيفانو: في البحر إني لن أسافر،

سأموت في البر هنا، -

أهذا النغم المقيتُ يغنيه المرء في جنازة؟ يا الله، هنا عزائي .

(يشرب من القنينة، يغني)

أنا والربان، والملاح، والبحّار،

أحبينا مول، ومغ، ومارجري، وماريان،

ولم يهتم واحد منا بـ «كيت»،

لأن في لسانها حدة،

تصيح بالبحّار منا

«ليكرفك الموتُ كرفاً»!

لم ترفها نكهة القار والقطران

ولكنّ للخياط أن يحكّ فيها ما يحكّ .

إلى البحر إذن، يا رجال .

ودعوها، ليكرفها الموت كرفاً!

هذا نغم مقيت أيضاً . ولكن هنا عزائي . (يشرب)

كالبيان: لا تعذبني، آه!

ستيفانو: ما الأمر؟ (متلفتاً) ألدنا شياطين هنا؟ أتخذعوننا بوحوش وهنود، ها؟ أنا ما نجوت من الغرق لأخاف الآن سيقانك الأربع. فقد جاء في الأمثال: وما سار إنسان على أربع يستطيع أن يقهره. ولن يكون الأمر إلا هكذا معي، ما دام ستيفانو يتنفس من منخريه.

كالبيان: الروح تعذبني... آه!

ستيفانو: هذا وحش من وحوش الجزيرة، بأربع سيقان. وله، فيما يبدو لي، لسان... من أين له، بحق الشيطان، أن يتعلم لغتنا؟ سأسعفه قليلاً، ولو جزاء على ذلك. وإذا استطعت أن أسترده، وأبقيه أليفاً، وأبلغ به نابولي، فإنه هدية لأي إمبراطور وطأ يوماً جلد البقر.

كالبيان: (كاشفاً عن وجهه): لا تعذبني أرجوك. سأحضر خطبي إلى البيت أسرع من ذي قبل.

ستيفانو: أنه في نوبته الآن، وكلامه ليس من أحكم ما يقال. سأذيقه من قنيتي. فإذا لم يكن قد شرب خمرًا قط من قبل، فإنها ستساعد في القضاء على نوبته. وإذا استطعت أنا أسترده، وأبقيه أليفاً، لن آخذ الكثير لقاءه. ولسوف يدفع لقاءه من يأخذ، ويدفع كثيراً. (يمسكه من الكتفين)

كالبيان: ما زلت لا تؤذيني إلا قليلاً حتى الآن، ولكنك ستؤذيني قريباً، أعرف ذلك من رجفتك، وبروسبيرو يعمل الآن فيك سحره.

ستيفانو: هيا، هيا (يدفع القنينة في وجهه)، افتح فمك، هنا ما سيعطيك نطقاً، يا هرّ. افتح فمك، وهذا سيهرّ عنك هزتك، وحياتك، ويهزها قوياً.

(كاليان يشرب). ليس بوسعك أن تتبين من صديقك. إفتح شديقك ثانية.

ترينكولو: إني أعرف ذلك الصوت. لا بد أنه - ولكنه غرق. وما هذه إلا شياطين. ربنا احمني!

ستيفانو: أربع سيقان وصوتان: وحش رهيف حقاً. صوته الأمامي بمتدح صديقه، وصوته الخلفي ينطق بالبذاءة والذم. إذا تمكن كل ما في قنيتي من خمر من استعادته، فسأسعف قشعيرته. هنا. . (كاليان يشرب) آمين. سأصب بعض الخمر في فمك الآخر.

ترينكولو: ستيفانو!

ستيفانو: أيناديني فمك الثاني؟ رحمتك يا رب! هذا شيطان، لا وحش. سأتركه أنا لا أملك ملعقة طويلة⁽⁵⁾.

ترينكولو: ستيفانو! إن كنت أنت ستيفانو، المسني، وتحدث إليّ، لأنني أنا ترينكولو. لا تخف - صديقك - صديقك الطيب ترينكولو.

ستيفانو: إن كنت أنت ترينكولو... (يعود) اطلع! (يمسك بكاحله) سأسحبك من ساقيك الصُغْرَيْن. (يسحب، ثم يتوقف) إن كان لترينكولو ساقان، فهاتان هما. (يرى وجهه) إنك ترينكولو بالذات، حقاً. ما الذي جرى حتى أصبحت غائط هذا المسخ القمري⁽⁶⁾؟ أمن شأنه أن يغوط أمثال ترينكولو؟ ترينكولو: (وهو ينهض مزعزعا): حسبته مقتولاً، مضروباً بالصاعقة. ولكن ألم تفرق أنت، يا ستيفانو؟ أرجو الآن انك لم تفرق. هل استنفدت الزوبعة نفسها؟ لقد اختبأت تحت ثوب المسخ القمري، لخوفي من الزوبعة. (يتحسس بيلاهة) وأنت حي ترزق ياستيفانو؟ آه يا ستيفانو، لقد نجا اثنان من

نابولي!

ستيفانو: أرجوك، لا تقلبني بين يديك فمعدتي مضطربة.
كاليبان: هذان مخلوقان طيبان، إذا لم يكونا من الأرواح.
ذلك إله جميل، ويحمل شراباً سماوياً:

سأركع له. (يركع)

ستيفانو: كيف نجوت أنت؟ وكيف جئت هنا؟ أقسم بهذه القنية وقل كيف جئت هنا؟ . . . أنا نجوت على برميل خمر ألقى به البحارة إلى المياه - وحق هذه القنية التي صنعتها من جذع شجرة بيدي أنا، بعد أن انقلدت إلى الشاطئ.

كاليبان: (يتقدم): سأقسم بتلك القنية على أنني أكون تابعاً وفياً لك، لأن شرابها ليس من هذه الأرض.

ستيفانو: (مقدماً القنية لترينكولو): هاك. أقسم وقل لي كيف نجوت.
ترينكولو: سبحت إلى الشاطئ يا رجل، كالبطة. والله أنني أستطيع السباحة كالبطة.
ستيفانو: هاك، قبل الكتاب. . . (ترينكولو يشرب) لئن كنت تستطيع السباحة كالبطة، فقد خلقت كالأوزة. (يختطف القنية منه).

ترينكولو: ستيفانو، هل لديك المزيد من هذا؟

ستيفانو: البرميل بكامله، يا رجل. وغرفة خموري في صخرة على الساحل، حيث خبأت نبيذي. (يرى كاليبان) ها، يا مسخ! كيف قشعيرتلك الآن؟
كاليبان: ألم تهبط من السماء؟

ستيفانو: من القمر، وحياتك. (يجرع آخر ما في القنية) كنت الرجل الذي في القمر⁽⁷⁾، في سالف الأوان.

كاليبان : (منحنياً بشدة) : لقد رأيتك فيه ، وأنا أعبدك .

سيدتي أرثني إياك أنت ، وكلبك ، وشجيرتك .

ستيفانو : تعال ، أقسم على ذلك . قبل الكتاب . . .

سأزوده قريباً بمحتوى جديد . . . أقسم .

ترينكولو : وحق هذا الضياء الطيب ، ما هذا إلا وحش سخيـف . أنا خفته ؟ وحش

ضعيف جداً . . . الرجل الذي في القمر! وحش مسكين ساذج يصدق كل

ما يسمعه ! (يمتص كاليبان القنينة الفارغة) . حسناً تمتص يا وحش ، أي

والله .

كاليبان : سأريك كل قطعة خصية في الجزيرة .

وسأقبل قدمك . أرجوك ، كن إلهي .

ترينكولو : وحق هذا الضياء ، وحش سكبر ، وغدار . عندما ينام الله ، سيسرق قنيتته .

كاليبان : سأقبل قدمك ، وأقسم أن أكون تابعاً لك .

ستيفانو : هلم إذن . إركع ، وأقسم .

(يركع كاليبان ، مديراً لترينكولو)

ترينكولو : ساموت ضحكاً على هذا الوحش ورأسه رأس الجرو . . . هذا الوحش

القيح .

ويعنّ لي أن أضربه -

ستيفانو : هلمّ ، قبل ! (كاليبان يقبل قدمه)

ترينكولو : - لولا أن الوحش المسكين مخمور . . . وحش كرية !

كاليبان : سأريك أفضل الينابيع ، واقطف لك الثمار البرية .

سأصيد لك السمك ، واحضر لك ما يكفيك من حطب .

إلّا لفّ الطاعون ذاك الطاغية الذي أخدمه .
 لن أحمل له خطباً بعد اليوم ، بل اتبعك أنت ،
 أيها الرجل العجيب .

ترينكولو: وحش مضحك ، حقاً ، يجعل أعجوبة من سكير مسكين!
 كاليبان: أرجوك ، دعني آخذك إلى حيث التفاح يرنع .
 وبأظفاري الطويلة سأنبش لك عن جوز الخنزير
 وأريك عش الزرياب ، وأعلمك كيف
 تنصب فخاً للقرود السريع . سأخذ بك
 إلى عناقيد البندق وأحضر لك أحياناً
 نوارس فتية من الصخر . أذهب معي؟

ستيفانو: أرجوك الآن ، سربنا ، وكف عن الكلام . . . ياترينكولو، بما أن الملك
 ورفاقنا الآخرين قد غرقوا جميعاً ، فلسوف نرث هذا المكان . (لكاليبان)
 هاك ، احمل قنيتي . (آخذاً بذراع ترينكولو) رفيقي ترينكولو، سنملؤها
 ثانية عما قريب .

كاليبان: (يغني، وهو سكران): وداعاً، وداعاً، يا سيدي . . .

ترينكولو: سكر الوحش! عاط الوحش!

كاليبان: (مغنياً):

بعد اليوم لن أصيد

الأسماك بالسدود،

لن أحضر الخطب

تحت الطلب

للقود .

لن أجلف المواعين

لن أغسل الصحون -

بان ، بان ، كاكاليان

سيده اليوم جديد

فابحث عن خادم جديد .

الحرية يا هوا الحرية يا هوا ، الحرية ، الحرية يا هوا

ستيفانو: سربنا ، أيها الوحش الجميل ! (يخرجون مترنحين)

هوامش :

(1) التورية في الأصل بين كلمتي (dollar) (دولار) وdolor (حزن) ، لتشابه النطق بينهما .

(2) كانت ديدونة ملكة قرطاجة - تونس اليوم - وقد آوت إينياس وجماعته في طريقهم من طروادة إلى إيطاليا . كان زوجها أكارباس قد مات ، وأقسمت أن تكون وفية له طيلة عمرها . غير أنها أحبت إينياس الذي أصرّ على أن يهجرها للذهاب إلى إيطاليا . وساعة رحيله في المركب أحرقت نفسها في محرقة كبيرة على الشاطئ .

(3) كان لدي أمفيون قيثارة عزف عليها ، فنهضت على أنغامها أسوار مدينة طيبة ، كما يروي أوفيد في كتاب «التحولات» ، ولكن غونزالو ، بكلمة منه ، أنهض مدينة كاملة (قرطاجة) ، لأسوارها فقط .

(4) أي يرسم السمكة على لافتة إعلاناً عن وجود مخلوق غريب ليتفرّج الناس عليه .

(5) هناك مثل إنكليزي يقول: «على الذي يتعشى مع الشيطان أن يملك ملعقة طويلة» .

(6) الكلمة المركبة في الأصل تعني «العجل القمري» ، ويقصد بها المسخ الذي يسببه أحياناً أثر القمر ، وهو بدر ، في بعض المخلوقات .

(7) من أغاني الأطفال القديمة ، أغنية تقول: «الرجل الذي في القمر، هبط قبل أوانه» .

الفصل الثالث

المشهد الأول

(أمام كهف بروسبيرو. يدخل فرديناند حاملاً حطبة .)

فرديناند: ثمة ألعاب موجهة ، ولكن متعة الجهد

فيها ، توازنها . ثمة ضروب من حقارة

يتحملها المرء بنبل . ومعظم أمور الفقر

تشير إلى نهايات غنية . واجبي المهين هذا

لكان ثقيلاً عليّ بقدر ما هو مقيت ، ولكن

السيدة التي أخدمها تحيي الموات

وتجعل من مشاقتي ، لذائذي . . . آه ، ان فيها

من الرقة عشرة أضعاف قسوة والدها .

وهو مصنوع كله من خشونة . (يجلس) عليّ أن أنقل

بضعة آلاف من هذه الأخطاب ، وأكّدها ،

مهّداً بأليم العقاب إن أنا لم أفعل . وسيدتي الحلوة

تبكي كلما رأتني أشتغل ، وتقول : حقارة كهذه

لم يكن لها قط منفذ كهذا . . (ينهض ليستأنف العمل) إني أنسى .

غير أن خواطري الحلوة هذه تجدد بي جهودي :

فأكثر الشغل أقله ، حين أهوى (1)

(تأتي ميراندا من الكهف ، ويقف بروسبيرو بالباب خلفها ، غير مرئي).

ميراندا: يا حسرتي! أرجوك ، الآن .

ألا تجهد نفسك هكذا . يا ليت الصاعقة

أحرقك هذه الأحطاب التي أمّرت بتكديسها!

أرجوك ، ضعها عنك ، واسترح . عندما تحترق هذه ،

فإنها لسوف تبكي لأنها أتعبتك . . . أبي

مكبت على دراسته . أرجوك الآن ، أرح نفسك .

أنت في مأمن منه لهذه الساعات الثلاث .

فرديناند: يا أعز السيدات ،

ستغيب الشمس قبل أن أنجز

ما عليّ أن أجهد في عمله .

ميراندا: إذا جلست ،

فإنني سأحمل الأحطاب عنك . أرجوك ناولني تلك ،

لأحملها إلى الكومة .

فرديناند: أبدأ ، أيتها المخلوقة النفيسة -

إني لأوثر أن أقطع عضلاتي ، وأكسر ظهري ،

على أن تتحملي مهانة كهذه ،

وأنا جالس عاطلاً بقربك .

ميراندا: أنها تليق بي

بقدر ما تليق بك . وأستطيع فعلها

بسهولة أكبر بكثير. لأن إرادتي طيعة لها،
وإرادتك ضدها.

بروسبيرو: يا دودة مسكينة، لقد عُديت،
وهذه الزيارة هي الدليل.
ميراندا: تبدو متعباً.

فرديناند: أبداً، يا سيدتي النبيلة، إذا رأيتك قربي ليلاً،
غدا الصباح الطريّ معي. أتوسل إليك -
لكيما أذكرك في صلواتي -
ما اسمك؟

ميراندا: ميراندا. أواه يا أبي!
لقد خالفت أمرك!

فرديناند: ميراندا المدهشة (2)،

بل من الإدهاش قمته وغايته، إنك تساوين
أنفس ما في الدنيا كلها. . . ما أكثر السيدات اللواتي
عاينتهن بأعمق التقدير، وما أكثر ما

استعبد أذني التواقة الشغول

تناغمُ الستهن: ولمزايا متباينة

أحببت نساء متباينات - ولكن مهما

أُفعمتُ إحداهن روحاً، وجدتُ فيها نقيصة

تقاتل أنبل ما فيها من حسن،

وتتغلب عليه. . . أما أنت، آه أنت،

يا كمالا لا يضاهي ، فقد خلقت

من أروع ما في كل مخلوق .

ميراندا: لا أعرف

واحدة من جنسي . ولا أذكر وجه امرأة

سوى وجهي أراه في مرآتي . وما رأيت أحداً

قد أسميه رجلاً ، سواك أنت ، يا صديقي الطيب ،

ووالدي العزيز . كيف تكون التقاطيع في الخارج ،

لا علم لي ولا خبرة . ولكن قسماً بعفتي (متلعشمة) -

وهي الجوهرة في صداقي - لن أرغب في

رفيق في الدنيا سواك .

وما للمخيّلة أن تصنع شكلاً ،

ألاّك ، يهاثلك . ولكنني أثر

ثرثرة لا تخلو من هوج ، وأنسى بذلك

أوامر أبي .

فرديناند: أنا ، في حالي هذه ،

يا ميراندا ، أمير ، بل أحسب أنني ملك

(وأتمنى لو لم أكن !) وما كنت أتحمّل

عبودية الأخطاب هذه أكثر مما أتحمّل

ذبابة تحطّ على فمي . . . أصغي إلى روحي تتكلم . . .

ما كادت عيناى تقعان عليك حتى

طار قلبي لخدمتك ، وأقام هناك

يجعلني عبداً لها ، ومن أجلك

أظل هذا الخطّاب الصبور .

ميراندا: أتحبني ؟

فرديناند: يا سماء ، يا أرض ، اشهدي على هذا الصوت ،

وتوّجي ما أعترف به بنتيجة كريمة

إذا ما صدقا نطق ، وإذا ما إفكا نطق ، فاقلمي

خير ما قدّر لي شقاء وأذى . . . إني

أحبك ، وأثمنتك ، وأكرمك ،

فوق الحد من كل شيء آخر في العالم .

ميراندا: ما أبلهني ،

أبكي لما يفرّحني !

بروسبيرو: لقاء جميل

بين حبّين رائعين : ألا أمطرت السماء بركاتها

على ما يولد بينهما !

فرديناند: لماذا تبكين ؟

ميراندا: لعدم جدارتي ، لأنني لا أجراً أن أهب

ما أشتهي عطاءه ، وأجبن عن أن آخذ

ما أموت في تمنيه . . . إنه أمر طفيف ،

كلما جدّ في إخفاء نفسه

كبر الحجم الذي يريه . . . إليك عني يا براعة الحياء ،

ولقيني براءة صريحة ومقدسة .

ها أني زوجتك ، إن أردت الزواج مني .
 وإلا ، فلأموتن عذراءك . قد تنكر عليّ
 أن أكون رفيقتك ، غير أني سأكون خادمتك ،
 شئت أم لم تشأ .

فرديناند : (راكعاً) : سيدتي - يا أعزّ إنسان إليّ !
 وأنا سأبقى مطيعك هكذا ، إلى الأبد .

ميراندا : أزوجي أنت إذن ؟

فرديناند : نعم ، بقلب راغب

رغبة الرق في الحرية . . . هاك يدي .

ميراندا : ويدي ، وقلبي فيها . والآن ، وداعاً ،
 لنصف ساعة من الزمن .

فرديناند : ألف ، ألف وداع !

(تخرج ميراندا ، ويذهب فرديناند لطلب المزيد من الخطب)

بروسبيرو : لا أستطيع أن أفرح بهذا بقدر ما فرحا هما

وقد فوجئنا بكل شيء ، ولكن سروري

بأي شيء آخر لن يكون أعظم منه . سأذهب إلى كتابي ،

لأن عليّ بعد ، قبل موعد العشاء ، أن أقوم

بمهام كثيرة تتعلق بهذا .

(يعود إلى كهفه)

المشهد الثاني

(موضع قرب البحر. على الجانب الواحد تنحدر الأرض برفق إلى الساحل، وعلى الجانب الآخر صخور فيها مغارة صغيرة. يجلس عند مدخل المغارة ستيفانو، ترينكولو، وكالبيان، وهم يشربون.)

ستيفانو: لا تقل لي! - الماء نشربه عندما يفرغ البرميل، ولن نشرب قطرة قبل ذلك. ولذا، تحملاً، وعليكما بها. أيها الخادم الوحش، اشرب نخبي! ترينكولو: الخادم الوحش! (يشرب نخب ستيفانو) يا لجنون هذه الجزيرة! يقولون أن في هذه الجزيرة خمسة لا غير، ونحن ثلاثة منهم، فإذا كان للثنتين الآخرين دماغان مثلنا، فإن الدولة في ترنح.

ستيفانو: اشرب كلما أمرتك، أيها الخادم الوحش. تكاد تكون عينك موضوعتين في رأسك.

ترينكولو: وإلا، فأين تكونان موضوعتين؟ لكان وحشاً بديعاً لو كانتا موضوعتين في ذيله.

ستيفانو: خادمي الوحش أغرق لسانه في الخمر. أما أنا، فالبحر يعجز عن إغراقني. لقد سبحت قبل أن أدرك الشاطئ خمسة وثلاثين فرسخاً، كذا مرة، وكذا

أخرى . وحق هذا الضياء سأجعلك ملازمي ، يا وحش ، أو ببقداري .
 ترينكولو: ملازمك ، إن أردت - فهو لا يصلح لحمل البندق (3) .
 ستيفانو: لن نركض يا مسيو وحش .

ترينكولو: لا ، ولن نذهب ، ولكنكما سترقدان كالكلاب ، لا ولن تقولاً شيئاً .
 ستيفانو: يا مسخ القمر ، إنطق ولو مرة في حياتك ، إن كنت مسخاً قمرياً طيباً .
 كاليبان: كيف حال فخامتك؟ دعني أحس حذاءك . أما هو ، فلن أخدمه . هو غير
 شجاع .

ترينكولو: تكذب يا أجهل وحش ، إني مهياً لمعاركة أي شرطي . اسمع أنت يا سمكة
 فاجرة ، يا أنت ، هل كان يوماً جباناً من يشرب خمرأ بقدر ما شربت أنا اليوم؟
 استكذب أكذوبة وحشية ، لأن نصفك سمكة ونصفك وحش؟

كاليبان: أنظر كيف يسخر مني ! أتركه يسخر مني يا مولاي؟

ترينكولو: «مولاي» ، يقول ! أوحش بهذه البلاهة !

كاليبان: أنظر ، أنظر ، ثانية ! عضه حتى يموت ، أرجوك .

ستيفانو: ترينكولو ، احفظ لساناً طيباً في رأسك . أما إذا وجدناك متمرداً - فعلى أقرب

شجرة ! هذا الوحش المسكين من رعاياي ، ولن أسمح لأحد بإهانته .

كاليبان: شكراً لمولاي النبيل . أتفضل بالإصغاء ثانية إلى الإلهام الذي رفعته

إليك؟

ستيفانو: أي والله . إركع وأعدده ! وسأقف منتصباً ، كما سيقف ترينكولو .

(كاليبان يركع ، ويقف ستيفانو وترينكولو بصعوبة ، مترنحين

يدخل آرييل غير مرئي)

كاليبان: كما قلت لك من قبل ، إني خاضع لطاغية ،

لساحر، إنتزع بحيلته وخذاعه

هذه الجزيرة مني .

آريل : تكذب !

كاليبان : (ملتفتاً إلى ترينكولو) : أنت الذي تكذب ، يا قرداً مهرجاً .

يا ليت أستاذي الباسل يقضي عليك .

أنا لا أكذب .

ستيفانو : ترينكولو ، أن ترعجه ثانية في حكايته ، وحق هذه اليد ، فلأني سأخلع بعضاً من أسنانك .

ترينكولو : ولكنني لم أقل شيئاً .

ستيفانو : إذن ، هس ، كفى . (لكاليبان) استمر .

كاليبان : كما قلت ، حصل على هذه الجزيرة بالسحر ،

مني أنا حصلها . . . فإن كانت عظمتكم

ستتقم منه - لأنني أعلم أنك تجرأ ،

أما هذا المخلوق فلا يجراً -

ستيفانو : ما من ريب .

كاليبان : وتصبح سيدها ، وأنا سأخدمك .

ستيفانو : وكيف يتحقق ذلك ؟ أبوسعك أن تأخذني

إلى الطرف المذكور؟

كاليبان : نعم ، نعم ، مولاي . سأسلمه لك وهو نائم ،

حيث لك أن تدق مسباراً في رأسه .

آريل : تكذب . لن تستطيع !

كاليبان : ما هذا المهرج المشغل (4) ! يا رقعة تؤذي العين !

أتوسل إلى عظمتكم ، أنزل به ضرباً

ونخذ قنينته منه . وعند ما تذهب القنينة ،

لن يشرب إلا المالح من الماء ، لأنني لن أريه .

أين تقع المياه العذبة .

ستيفانو : يا ترينكولو ، لا تجازف بالخطر مرة أخرى . فإذا قاطعت هذا الوحش ولو

بكلمة واحدة ، وحق هذه اليد ، سأطرد من قلبي رحمتي ، وأجعل منك

بالضرب سمكة قديدة .

ترينكولو : لماذا ، ما الذي فعلت ؟ لم أفعل شيئاً . سأبتعد عنكما أكثر .

ستيفانو : ألم تقل أنه يكذب ؟

آرييل : تكذب ! .

ستيفانو : أنا أكذب ؟ خذ هذه (يضربه) . إن كنت تحب هذه (يضربه) كذبني مرة

أخرى .

ترينكولو : أنا لم أكذب . هل طار رشذك ، وطار سمعك معه ؟ ألا حلّ الزهري

بقنينتك ! هذا ما يفعله الشراب ، والشرب . لعنة الأمراض على وحشك ،

وأخذ الشيطان أصابعك !

كاليبان : ها ، ها ، ها !

ستيفانو : والآن ، أكمل حكايتك . (مهدداً ترينكولو) أرجوك ابتعد .

كاليبان : أشبعه ضرباً . وبعد قليل ،

سأضربه أنا أيضاً .

ستيفانو : إبتعد ! تعال ، أكمل .

كاليبان: أجل ، كما قلت لك ، من عادته
 أن ينام بعد الظهر . هناك لك أن تهشم دماغه ،
 بعد أن تستولي على كتبه . أو لك يا حدى الأحطاب
 أن تحطم جمجمته ، أو أن تبقره بقضيب ،
 أو تحزّ جوزته بسكينك . . . تذكر ،
 عليك أولاً أن تأخذ كتبه . لأنه بدونها
 مجرد سكير ، مثلي ، ولا يستطيع
 أن يأمر روحاً واحدة . . . كلهم يكرهونه
 كرهاً عميق الجذور ، مثلي . فقط أحرق كتبه .
 لديه أوانٍ بديعة - هذا ما يسميها -
 سيزين بها بيته عندما يتحقق له بيت .
 والذي عليك بالتمعن فيه عميقاً هو
 جمال ابنته . . . هو نفسه .
 يدعوها وحيدة الزمان : أنا لم أبصر قط امرأة
 سوى أمي سايكوراكس ، وإياها .
 ولكنها تفوق سايكوراكس جداً
 كما يفوق الأعظم الأقل .
 ستيفانو: أفتاة بديعة كما تصف ؟
 كاليبان: نعم مولاي ، ستليق بفراشك ، أؤكد لك ،
 وتخلّف لك أبدع خلفه .

ستيفانو: يا وحش ، سأقتل هذا الرجل . وسنصبح ، أنا وابنته ، ملكاً وملكة - بُعد

الشر عنا! وترينكولو وأنت ستصبحان واليين. أتروق لك المؤامرة، يا
ترينكولو؟

ترينكولو: ممتازة.

ستيفانو: هات يدك. آسف لأنني ضربتك. ولكن ما دمت حياً، احفظ لساناً طيباً في
رأسك.

كاليبان: في غضون نصف الساعة هذه، سينام.

أتقضي عليه حينئذ؟

ستيفانو: نعم، بشرفي.

آرييل: سأخبر سيدي بذلك.

كاليبان: أنت تجعلني أفرح، وأتمتع،

فلنبسط... هل لك أن تغني الأغنية

التي علمتها قبل قليل؟

ستيفانو: ما عليك يا وحش إلا أن تطلب، وأنا أفعل -

أي شيء. هيا. ترينكولو، فلنغنّ.

(يغني)

أبعدهم وأرشدهم، وأرشدهم وأبعدهم،

أنا حرّ البال...

كاليبان: ليس هذا هو النغم.

(آرييل يعزف النغم على مزمار ودف)

ستيفانو: وما هذا النغم؟

ترينكولو: (ملفتاً حوله): هذا نغم أغنيتنا، تعزفه صورة «لا أحد».

ستيفانو: (هازاً قنضته): إن كنت إنساً، اظهر في شكلك، وإن كنت شيطاناً، إتخذ الشكل الذي تشاء.

ترينكولو: (يكاد يبكي): آه، إغفر لي خطاياي!

ستيفانو: من يمت، يسدد ديونه كلها. أتحدّاك! (شجاعته تتقلص فحاة) الرحمة، الرحمة!

كاليبان: أخائف أنت؟

ستيفانو: أنا، يا وحش؟ أبداً.

كاليبان: لا تخف. تتردد ملء الجزيرة أصوات

وأنعام، وألحان عذاب، تُطرِب ولا تؤذي.

ألفٌ مغزفٌ رنانٌ قد يدندن أحياناً

حول أذنيّ، وأحياناً قد أسمع أصواتاً،

إن كنتُ عندها أفقت من نوم طويل،

تجعلني من جديد أنام - فأرى في الحلم

الغيوم تتفتح، وتتكشف عن نفائس

وشبكة الهبوط عليّ، فإذا أفقت عندها،

بكيت لأحلم من جديد.

ستيفانو: لسوف يتبين أن هذه لي مملكة بديعة، حيث أحصل

على موسيقي دون مقابل.

كاليبان: عندما يُقضى على بروسبيرو.

ستيفانو: سيتم ذلك في حينه. أنا أتذكر القصة.

ترينكولو: النغم يبتعد... لتتبعه، ثم نُقْمُ بشغلنا.

ستيفانو: سر بنا يا وحش ، فلتبعك . ليتني أستطيع
 رؤية عازف الدف هذا - إنه بارع .
 ترينكولو: أتجيء؟ سأتبعك ، يا ستيفانو .

(يتبعون آرييل)

المشهد الثالث

(أجعة الليمون فوق كهف بروسبيرو، قرب قمة القلعة. الونزو وحاشيته

يسرون بين الأشجار، متعين مكتئين. يتأخر عنهم غونزالو.)

غونزالو: قسماً بالعدراء، لا أستطيع الخطو بعد.

عظامي الشائخة تتوجع. إنها حقاً لمتأهة، سرناها

طرقاً مستقيمة وأخرى ملتوية. صبرك عليّ،

لا بد لي أن أستريح.

الونزو: لن ألومك أيها السيد الشيخ.

وقد نال مني أنا الإعياء أيضاً،

وأهلك حيويتي. اقعدوا، واستريحوا.

(يقعد الونزو، غونزالو، أدريان، وفرانيسكو)

وهنا أتخلى أنا عن أمني، فلا أبقيه

لمن يريد أن يتملقني. لقد غرق

هذا الذي تهنا في البحث عنه، والبحر يسخر

من بحثنا الخائب في البر. . . نعم، لندعه وشأنه.

أنطونيو: واقفاً على إنفراد مع سباستيان: يسرني جداً أنه فقد الأمل:

لا تقلع ، لصدة واحدة ، عن الغاية

التي عزمت على تحقيقها .

سباستيان : الفرصة التالية

سنغتنمها بأشد الحزم .

أنطونيو : ولتكن هذه الليلة .

فهم لشدة ما أرهقهم الترحال

لن يكونوا ، ولن يقدروا أن يكونوا ، على يقظة

كيقظتهم وهم غير متعبين .

سباستيان : نعم ، هذه الليلة ، حسبنا .

(موسيقى مهيبه وغريبة : يظهر بروسبيرو في الأعلى ، غير مرئي)

الونزو : ما هذه الأنغام ؟ أيها الصاحب الكرام ، أصغوا !

غونزالو : يا للموسيقى العذبة العجيبة !

(تدخل عدة أشكال غريبة ، وتمد مائدة لوليمة ، وترقص حولها وهي تسلم

وتحيي بحركات لطيفة ، وتدعو الملك ورفاقه إلى الأكل ، وتنصرف) .

الونزو : مدينا بحراس كرام ، أيتها السماء ! ما هذه ؟

سباستيان : مهزلة حيّة ! سأصدق الآن

أن في الوجود كراكد ، وأن في بلاد العرب

شجرة هي عرش العنقاء ، وأن ثمة عنقاء

تحكم الآن هناك .

أنطونيو : سأصدق كلا الأمرين . . .

وأي أمر آخر لا يصدق ، فليأت إليّ

لأقسم أنه أمر واقع . لم يكذب الرجالون قط ،
وأن يُسَفِّهُهم الحمقى في أوطانهم .

غونزالو: لو أنني في نابولي

حدثهم بما أرى الآن ، أترأهم يصدقونني

لو قلت إنني رأيت في الجزيرة أناساً كهؤلاء -

لأن هؤلاء ولا ريب ، أناس الجزيرة ،

فلئن تكن أشكاهم وحشية ، فإنهم كما تلاحظون ،

يفوقون بأدبهم وحسن تصرفهم

معظم أفراد نسلنا البشري ، بل

أكاد أقول ، كلهم .

بروسبيرو: أحسنت القول

أيها السيد الأمين ، لأن بعضكم الحاضر هناك

شرّ من الشياطين .

الونزو: لن أكف عن العجب

لهذه الأشكال ، هذه الحركات ، هذه الأصوات وهي تعبر ،

رغم افتقارها إلى اللسان ، عن ضرب

من حديث صامت رائع .

بروسبيرو: (مبتسماً بجهامة) امتدح عند المغادرة .

فرانسيسكو: ما أغرب ما تلاشت !

سباستيان: ما هم ، ما دامت

قد خلّفت أطعمتها وراءها . لأن لنا معداً . . .

(سياستيان يتفقد المائدة بجوع)

هلاً تفضلت فذقت ما هنا؟

الونزو: أنا؟ لا.

غونزالو: والله ياسيدي، لا حاجة للخوف. في أيام صبانا

من كان يصدق أن ثمة جبليين

كالثيران يغسلهم الندى، تتعلق بحناجرهم

أكياس من اللحم (5)؟ أو أن ثمة أناساً

استقرت رؤوسهم بين أكتافهم؟ وغير ذلك مما

يأتينا بالبراهين عليه هذه الأيام

كل مراهن بخمسة لقاء واحد (6)

الونزو: سأنهض وأكل،

ولو كان آخر ما أكل - ما هم، ما دمت أحسّ

أن الأفضل قد مضى... أخي، وسيادة الدوق،

تفضلاً، وكلامنا.

(الونزو، سياستيان، وأنطونيو، يجلسون إلى المائدة. رعد

وبرق. يدخل آريل في شكل طير كبير جارح، يصفق

بجناحيه على المائدة، وبحيلة بارعة، تختفي المائدة).

آريل: إنكم ثلاثة رجال خطاة، والقدر

الذي يسخر هذه الدنيا

وما فيها آله، قد جعل البحر الذي لا يُتخَم

يتقيؤكم - أجل، وعلى هذه الجزيرة،

حيث لا يسكن البشر، لأنكم بين البشر
لا تصلحون قطعاً للسكنى .

(ثلاثتهم يستلون سيوفهم)

وقد جئْتُكم !

بمثل هذه الشجاعة يشنق الرجال أنفسهم .

أو يغرقونها (بجاولون الهجوم، ولكن السحر يقيّد حركتهم) أيها الحمقى !

أنا ورفائي

خُدام القدر. والعناصر التي

صُنعت منها سيوفكم بوسعها أن تسقط

رويشة من جناحي بقدر ما بوسعها

أن تجرح الرياح المعولات، أو تقتل المياه التي

هي دوماً في التثام، بطعنات نهزاً منها .

ورفاقي الخدام لا يُجرحون كذلك، مثلي .

وأن يكن في مقدوركم الإيذاء،

فإن سيوفكم الآن أثقل مما تقوون عليه،

وترفض أن ترتفع . . . ولكن تذكروا

(وهذه هي رسالتي إليكم) أن ثلاثتكم

إقتلعتم بروسبيرو الفاضل من ميلانو،

وعرّضتموه للبحر - وها البحر جازاكم على ذلك ! -

هو، وطفلته البريئة . ولهذا الفعل الأثيم

فإن القوى التي تمهل ولا تهمل أثارت

غضب البحار والشيطان - نعم والمخلوقات جميعاً -
 لكي لا تتعموا بسلام . . . أنت من ابنك ، يا الونزو ،
 حرمتك ، وهي تحكم عليكم بواسطتي ،
 بأن هلاكاً بطيئاً ، أسوأ من أي موت
 فوري ، سيلاحقكم خطوة خطوة
 في كل طريق تسلكونه . وليس لكم اتقاء لسخطها
 (وإلا إنهار على رؤوسكم في جزيرة اليباب هذه)
 إلا الحزن في القلب ، تتلوه حياة نظيفة .

(ينتهي مع الرعد . ثم تدخل الأشكال ثانية على

أنغام الموسيقى الناعمة ، وترقص ، مكشرة ومومنة

بسخرية ، وتخرج بالمائدة) .

بروسبيرو: ما أبدع ما مثلت دور هذا الطائر الجارح

يا عزيزي آريل ، جعلت فيه رشاقة فاتكة !

لم تهمل شيئاً مما أوصيتك به

في ما كان عليك أن تقول : وكذلك خذامي الأصغر ،

أدى كل دوره بحيوية طيبة

وملاحظة دقيقة : رُقاي السحرية الكبيرة فاعلة ،

وأعدائي هؤلاء راخوا يتخبطون

مضطربين ، مشوشين ، إنهم الآن تحت سلطاني ،

وفي ثوباتهم هذه أتركهم ريشاً أزور

الفتى فرديناند - الذي يحسبونه قد غرق -

والغالية محبوبته ومحبوبتي .

(ينخرج)

غونزالو: باسم المقدسات ، يا مولاي ، فيم وقوفك
محملقاً باستغراب هكذا؟

الونزو: مريع ، مريع . . .

نُحِيلُ إِلَيَّ أن الأمواج نطقت ، وأخبرتني به ،

وأن الرياح غنته لي . . . وأن الرعد ،

مزمارَ الأرغن ذلك العميق الرهيب ، لفظ

اسم بروسبيرو ، كنغمة القرار لفعلتي الآثمة .

ولذا فإن ابني في أحوال أليم قد ثوى ،

وسأطلبه في أعماق ما أدركها قط مسبار

وهناك أرقد في الطين معه .

(ينطلق نحو البعد)

سباستيان : لو جاءتني الشياطين واحداً فواحداً ،

لقاتلت جحافلها جميعاً .

أنطونيو: وأنا أثني معك .

(يبتعدان مشدوهين ، شاهراً كلاهما الشيفه)

ونزالو: لقد أخذ اليأس من ثلاثتهم . إن عظيم جرمهم ،

ثالثهم الذي يبدأ فعله بعد زمن طويل ،

جعل الآن يأكل الروح منهم . أرجوكم ،

بروسبيرو عوداً ومفاصل ، ألحقوا بهم بسرعة ،

وامنعوا عنهم ما قد يستفزهم

هذا الجنون لفعله .

. أدريان : ألقوا بهم ، أرجوكم .

(يخرجون في اثر المجانين)

هامش :

(1) يعتقد محققو النصوص الشكسبيرية أن هذا البيت من أصعب ما في شكسبير تفسيراً ، لما يجدون فيه من تحريف ، ولعل هذه الترجمة أقرب تفسير للمعنى المقصود .

(2) الاسم باللاتينية يعني «مدهشة»

(3) لأنه سكران ويترنح - كالاثنين الآخرين . كلامهم المخمور لا يتناسك ، بالطبع .

(4) ترينكولو مهرج ويليسزي المهرجين الذي يتألف من ألوان كثيرة ، ربما كان بعضها من رقع .

(5) كانت الإكتشافات الجغرافية في عهد شكسبير في أوجها . وكان كثير من الرحالين يعودون لبرووا عن خوارق المخلوقات التي زعموا أنهم رأوها ، أو سمعوا بها . فهذا سير والتر رالي يقول في وصف رحلته إلى غيانا عام 1595 : «بالتقرب من آروي ثمة نهران هما أتويكا وكاورا ، وعلى نهر كاورا يقطن قوم لا تظهر رؤوسهم فوق أكتافهم . . . ويقال إن عيونهم في أكتافهم ، وأنواهم في وسط صدورهم ، وأن ذؤابة طويلة من الشعر تسترسل في نموها من بين أكتافهم . وقد أخبرني ابن طوبيا وآري ، الذي أحضرته معي ، إنكلترا ، أنهم أقوى سكان المنطقة كلها . . . »

(6) يشير غونزالو إلى التجار الإنكليز الذين كانوا يرحلون في خضم البحار المجهولة أيامئذ ، وقبل سفرهم يرهنون عند الرأسمالي مبلغاً على هذا الشرط الغريب : وهو أنهم إذا لم يعودوا ، خسروا المبلغ وإذا عادوا فإن عليه أن يدفع لهم خمسة أضعافه .

الفصل الرابع

المشهد الأول

أمام كهف بروسبيرو. يأتي بروسبيرو من الكهف ومعه فرديناند وميراندا.

بروسبيرو: لئن كنت قسوتُ في عقابك ،

فإن في تعويضك تصحيحاً لذلك ، لأنني

وهبتك هنا ثلث حياتي أنا ،

بل وهبتك من أحياء من أجلها - وها أنا ثانية

أسلمها يدك . . . لم تكن مضايقاتي لك

إلا تجاربي لحبك ، وقد

صمدت في الإمتحان صموداً رائعاً هنا . أمام السماء ،

أصادق على عطيتي الثمينة . ويا فرديناند

لا تبتسم لتفاخري بها ،

فلسوف تجد أنها تتجاوز كل مديح

وتجعله يتخلف قاصراً عنها .

فرديناند : أصدق ذلك

حتى لو قال موحى بعكسه .

بروسبيرو: إذن خذ ابنتي ، هدية مني ،

ومالاً اقتنيته أنت بجدارة . ولكن
 ان فضضت عقدتها العذراء قبل أن
 تقام الشعائر المكرسة
 وفق الطقوس القدسية بتمامها ،
 لن تُنزل السماء العذب من الندى
 ليستنبت هذا القران ، إنما الكره العقيم
 والنشاز وازورار المهانة كلها ستذر
 على جماع فراشكما الأعشاب والدغل المقيت
 فتكرهانه كلاكما . ولذا ، فخذ الحذر حتى
 تستنيرا بقنديل هايمن⁽¹⁾
 فرديناند : بما أنني آمل
 في أيام وادعة ، ونسل جميل ، وعمر طويل ،
 مع حب كحبي الآن ، فلا أعتم الأوكار
 ولا المؤاتي من أي مكان ، لا ولا العتي مما
 يوحى به روح الشر فينا⁽²⁾ سيذنب أبداً
 شرفي شبقاً ، ليثلم
 حدّ احتفال ذلك اليوم الذي
 سأتمنى فيه لو أن خيول فييوس⁽³⁾ قد كبت
 أو أن الليل ظل مغلولاً تحت الأرض .
 بروسبيرو : حسناً نطق .
 إجلس إذن ، وتحدث إليها . إنها لك .

(ينزوي المحبّان ويجلسان معاً على مقعد صخرة - يرفع بروسبيرو عصاه)

ها، آريل ! خادمي المجدّ، آريل !

(يظهر آريل)

آريل : لبيّك ، أستاذي الجبارا إني هنا .

بروسبيرو : لقد قمتم ، أنت ورفاقتك الأصغرون ،

بخدمتكم الأخيرة خير قيام . وعليّ إستخدامكم

بخدعة أخرى مثلها . إذهب ، وأحضر الجماعة

هنا ، إلى هذا المكان . إني أمنحك السلطة عليهم .

حثّهم على سريع الحركة ، لأنني أبغي

أن أعرض على أعين هذين الشابين

عرضاً صغيراً من عروض فني . إنه وعد ،

وهما يتوقعانه مني .

آريل : حالاً ؟

بروسبيرو : نعم ، برمشة عين .

آريل : قبل أن تقول ، «هلم ، هيا» ،

وتتنفس مرتين ، وتصيح «كيت ، وكيت»

ستراهم هنا كلهم يتراقصون

يومثون ويكشرون . . .

أتحبني ، أستاذي ، أتحبني ؟

بروسبيرو : جداً ، يا رهيبي آريل . . . لا تقترب

إلى أن تسمع ندائي .

آرييل : حسناً . فهمت . (يختمفي)

بروسبيرو : (لفرديناند) : إنتبه : كن وفياً . ولا ترخ الحبل
كثيراً للغزل . أغلظُ الإيمان قسَّةً

لنار في الدم . أكبح الإقبال منك

وإلا فاقراً السلام على وعدك .

فرديناند : ثق ، سيدي ،

إن الثلوج العذراء البيضاء الباردة على قلبي

تخفف من أوار كبدي .

بروسبيرو : حسناً

والآن ، هلم آرييل . وجيء بالمزيد

لثلاث يعوزنا روح من الأرواح . . اظهر ، وبخفة !

لا لسان ! عيون فقط . سكوت !

(موسيقى ناعمة)

القناعية (4)

(تظهر إيريس (5))

إيريس : أيا سيريس (6) ، يارية السخاء والندى ،

حقولك التي يمرع القمح فيها والشعير

والجودار والذرة ، والحمص والشوفان ،

وجبالك المعشوشبات التي

تسرح الخراف فيها وترعى ،

ومروجك البطحاء أكوام القش فيها علف لها ،

وضفافك التي فاضت بالحلفاء والأقاحي
يوشيهـا بأمر منك نيسان إذ ينهمر ،
ليجعل لباكرات الحور تيجاناً عفيفة ،
وآجام الرتم التي يحب إفياءها
الأعزب المطرود أضناه من الغيد الهوى ،
والكروم الحاضنات عرائشهن ،
والساحل العقيم الوعر بالصخور،
حيث رحت أنت تتنسمين الهواء -
ملكة السماء التي أنا

قوسها المائية ورسولتها ،
تهيب بك أن أتركها ، واسرعي بالمجيء
هنا في رقعة العشب هذه ،
لتشاطري اللعب جلالتها البهية :
تلك طواويسها تمن طيراناً في الفضاء . . .

(تظهر عربة خونو بطواويسها في السماء)

إقربي يا سيريس الغنية ، لثمتعيها .

(تدخل سيريس)

سيريس : مرحباً أيتها الرسالة الكثيرة الألوان التي
ما عصت قط أمراً لزوجـة جوييتـر:
أنت التي ، بجناحيك الأصفرين ، على أزهار
تذرذرين قطرات الشهد والزخات المنعشة ،

وتتوجين بطرفي قوسك الزرقاء
 فيعاني المشجرة وأعشابها التي لا تُحصد
 وشاحاً لأرضي ذات الكبرياء . . . لماذا دعيتني
 مليكتك للحضور هنا، في الخضراء القصيصة العشب هذه؟
 إيريس: لتمجدي قراناً من أخلص الحب
 وتهبي العاشقين المباركين
 سخياً من عطائك .
 سيريس: أخبريني، يا قوساً سماوية،
 هل أن فينوس أو ابنها الآن، فيما تعرفين،
 برفقة الملكة؟ فمنذ أن دبرا
 الوسيلة التي مكنت «ديس» الأغبر من ابنتي (7)
 أقلعت أنا عن عشرتها وعشرة ابنها،
 عشرة الفضائح .
 إيريس: لا تخافي
 إلتقاءها . فقد لقيت ألوهتها
 تقطع الغيوم باتجاه بافوس، وابنها
 تسحبه الحائم معها: أراد كلاهما المجيء هنا
 لسحر هذا الفتى وهذه الفتاة بريقية خليعة،
 وهما اللذان قد قطعا العهد على
 ألا تقام مراسيم الفراش حتى
 يضاء مشعل هايمن . ولكن حبيبة مارس،

هذه الشبقة ، عبثاً ما تعود ثانية -
 فابنها قد كسر سهامه بنصاها اللاسعة ،
 وأقسم أنه لن يطلق سهماً كرة أخرى ،
 ولن يلاعب إلا عصافير الدوري
 ويبقى طفلاً حتى النهاية .

(نهبط جونو من عربتها)

سيريس : جلالة الملكة المعظمة ،
 جونو الرائعة ، ها هي قادمة . أعرفها من مشيتها .
 جونو : كيف حال أختي المعطاءة ؟ هيا معي
 لنبارك هذين الاثنين ، لكيما يفلحا
 ويلقيا العز والإكرام في البنين .

(تغنيان)

جونو : فلتنعما أبدا
 بالشرف والمال وبركة الزواج ،
 بالعمر الطويل والنسل الكثير ،
 وبالأفراح في كل ساعة !
 وها جونو تغني بركاتها عليكما !
 سيريس : لكما تكاثر الأرض وخيراتها
 وامتلاء العنابر والبيادر أبدا ،
 والكروم المثقلات بعناقيدها ،
 والنباتات المطاطئات بطيئاتها .

ولترزقا بمولود ، على أبعد مدى

في نختام الموسم من الحصاد⁽⁸⁾!

تنكبت القلة والحاجة عنكما ،

ولتكن بركة سيريس عليكما!

فرديناند : إنها لرؤيا في غاية الجلال ،

ملأى بساحر الأنغام . هل لي أن أجراً

فأقول أن هؤلاء أرواح ؟

بروسبيرو : أرواح استدعيتها بفني

من تخومها لتمثل خيالاتي الراهنة .

فرديناند : دعني أقيم هنا إلى الأبد .

أن حماً مثلك نادراً ، مدهشاً ، حكياً ،

ليجعل جنة من هذا المكان .

(جونو وسيريس تتهامسان ، وترسلان إيريس في مهمة)

ميراندا : صمتا الآن ، حبيبي .

فجونو وسيريس تتهامسان جادتين .

بروسبيرو : هناك أمر آخر يجب قضاؤه . صمتا ،

وإلا فسدت رقيتنا .

إيريس : يا حور الجداول المتعرجة ، المدعوات بالنايدات ،

بتيجانكن الضفيرة بالزهور ونظراتكن الحانيات أبداً ،

أتركن مياهكن الرقراقة ، وفي خضراء الأرض هذه

استجبين للدعوة منا : ها هي جونو تأمركن !

تعالين أيتها الحور العذارى ، لتحتفلن معنا
بقران من أخلص الحب . لا تتوانين ! إسرعن !

(تدخل بعض الحوريات)

وأنتم يا ذوي المناجل ، المتعبين من شهر آب ،
تعالوا إلينا من الثلم الحريث ، لتمرحوا ،
وتعيدوا : قبعات القش ارتدوها
وقابلوا هؤلاء الحور النضرات جميعاً
في رقصة ريفية .

(يدخل بعض الحصادين بالملابس اللائقة ، وينضمون إلى الحوريات في
رقصة رشيقة . عند نهايتها ينهض بروسبيرو فجأة ، ويتكلم . وبعد ذلك ،
يختفي الجميع ببطء . ترافقهم أصوات غريبة ، جوفاء ، مضطربة) .

بروسبيرو: (لنفسه) : لقد نسيت تلك المؤامرة الخسيسة
من الوحش كالبيان وشريكه ،
على حياتي . لحظة مؤامرتهم
قد أزفت ، أو كادت . (للأرواح) أحستهم ، انصرفوا !
فرديناند : غريب . أبوك دهمته غضبة ما
تثيره بشدة .

ميراندا : ما رأيت أبي قط حتى اليوم
يخرجه عن طوره حتى كهذا .

بروسبيرو : يبدو عليك ، يا بني ، أنك مضطرب ،
كأنك في خشية من أمر ما ، هوّن عليك ، سيدي .

حفلتنا هذه الآن انقضت . . . ممثلونا هؤلاء ،
 كما أنبأتك سابقاً ، كانوا أرواحاً كلهم ،
 وتلاشوا هواءً ، نَسَيات ،
 وكما النسيج الذي لا أساس له من هذه الرؤيا
 هكذا لسوف تضمحل الأبراج المعتمدة بالغيوم ،
 والقصور الفخمة ، والهياكل المهيبة
 وكرة الأرض العظيمة نفسها ،
 أجل وكل ما عليها ،
 وكهذا المهرجان الموهوم الذي تلاشى ،
 لن تخلف هبأة واحدة وراءها . إنما نحن مادة
 كالتي تصنع الأحلام منها . وحياتنا الضئيلة
 تحذها نومة من طرفيها (9) . . . سيدي ، إني مبتلى .
 أصبر على ضعفي ، فذهني الشائخ غير مستقر .
 أرجوك أن تتفضل وتأوي إلى كهفي ،
 وهناك أسترح . سأمشي مشواراً أو اثنين ،
 لأسكن فؤادي الخافق .
 فرديناند وميراندا : (وهما في طريقهما إلى الكهف) : مع السلامة .
 بروسبيرو : أحضر بسرعة الفكر ! لقد فكرتك
 يا آريل ، فاحضرا !

(يظهر آريل)

آريل : إني لصيقُ أفكارك . ماذا تودّ؟

بروسبيرو: أيها الروح،

علينا بالتهيؤ للقاء كاليان.

آرييل: نعم يا أمري، وعندما قدّمتُ سيريس (10)

خطر لي أن أخبرك، بيد أنني خشيت

أن أغضبك.

بروسبيرو: قل لي ثانية، أين تركت هؤلاء الأندال؟

آرييل: قلت لك يا سيدي، إنهم احترقوا حرارةً بسكرهم -

واستبسّلوا حتى راحوا يطعنون الهواء

لتنفّسه في وجوههم، ويضربون الأرض

لتقيلها أقدامهم، ولكنهم بقوا مصممين

على خطتهم. عندئذٍ نقرت دفي

فانتصبت آذانهم كالمهرة بلا فارس،

وفتحوا أجفانهم، ورفعوا خياشيمهم

كأنهم يشمّون الموسيقى. فسحرت آذانهم

بحيث أخذوا كالعجول يتبعون خوّاري، خلال

مستنّ العليق وواخز الوزال والقُرّاص والأشواك

التي انغرزت في كواحلهم الواهنة: وأخيراً تركتهم

في البركة القذرة الآسنة خلف كهفك،

حيث راحوا يرقصون حتى ذقونهم، ففاقت

البركة التّنة أقدامهم برائححتها الكريهة.

بروسبيرو: أحسنت صنعاً يا طائري.

إحتفظ بعد بشكلك الخفي .

والتوافه المزوقة التي في بيتي ، اذهب واحضرها ،

طُعماً لصيد هؤلاء اللصوص .

آرييل : ذاهب أنا ، ذاهب أنا . . . (يخرج)

بروسبيرو: شيطان ، وولد شيطانا ، وفي طبيعته

لن يستقر أي تطبع ، وجهودي

التي أنفقتها عليه إنسانية ،

راحت سدى ، سدى كلها .

وكلما كبر سناً إزداد جسمه قبحاً ،

وذهنه نخرأ وسوساً . . . سأنزل بهم البلايا ،

حتى الجحير .

(يعود آرييل ، محملاً بآردية براقه ، إلخ .)

بروسبيرو: تعال . علقها على هذه الليمونة .

(آرييل يعلق الثياب على الشجرة . ويبقى هو وبروسبيرو غير مرئيين .

يدخل كاليبان ، وستيفانو وترينكولو ، مبللين جميعاً) .

كاليبان : خففوا الوطء ، أرجوكم ، فلا يسمع حتى القنفذ الأعمى وقع قدم . اقربنا

الآن من كهفه .

ستيفانو: يا وحش ، جنيتك التي تقول إنها لا تؤذي أحداً لعبت معنا دور النذل .

ترينكولو: يا وحش ، إني أشتم رائحة بول الخيل ، ولذا فإن أنقي مغضب جداً .

ستيفانو: وكذلك أنفي . . . أسمع يا وحش ؟ والله إذا سحطت عليك : أنظرا

(يشهر سكينه)

ترينكولو: لن تكون إلا في عداد الوحوش الضائعين .

كاليبان : مولاي الكريم ، أعطني رضاك بعد .

واصبر . لأن الغنيمة التي أُهديك إليها ،

ستسببنا هذه النكبة . ولذا فاخفض الصوت :

كل شيء ساكن كما في منتصف الليل .

ترينكولو: نعم . أما أن نفقد قنانينا في البركة -

ستيفانو: فليس في ذلك عار وشنار وحسب ، يا وحش ، بل خسارة لا حد لها .

ترينكولو: وذلك أدهى بالنسبة إلي من البلل . أهذه جثيتك التي لا تؤذي أحداً ، يا

وحش ؟

ستيفانو: سأنتزع قنيتي حتى لو سقطت على رأسي في إنتزاعها .

كاليبان : أرجوك ، يا مليكي ، اهدأ . . . (يزحف إلى الكهف) أترى هذا؟

إنه مدخل الكهف . . . بلا صوت ، وادخل . . .

وافعل ذلك الإثم الطيب الذي يجعل هذه الجزيرة

مُلْكك إلى الأبد ، وأنا ، كاليبان ، مُلكَ يديك

ولاحسَ قدميك إلى الأبد .

ستيفانو: أعطني يدك . بدأت تراودني أفكار دموية .

ترينكولو: (يلحظ الثياب المعلقة على شجرة الليمون) : أيها الملك ستيفانو ، أيها النبيل !

(يمسك بثوب) يا ذا الجلالة ستيفانو! أنظر أية أروية لك هنا !

كاليبان : دعها عنك ، يا أحمق - إنها نفايات .

ترينكولو: (يلبس الثوب) : آ ، ها ، يا وحش . نحن أدرى بما يباع في دكاكين الثياب

القديمة . أيها الملك ستيفانو! (ينطنط) .

ستيفانو: إخلع ذلك الرداء ، ترينكولو. وحق هذه اليد ، سأخذ ذلك الرداء .

ترينكولو: إنه لفخامتك . (يخلعه حزينا)

كاليبان : ألا أغرق الحَبْنُ هذا المأفون ! ماذا تعني

بهيامك هكذا بمثل أمتعة كهذه؟ لتتقدم كلنا

ونقم بالقتل أولاً: وإلا، إذا استيقظ ،

ملاً جلودنا قرصاً من الرأس حتى القدم ،

وجعل منا أشياء غريبة .

ستيفانو: إهدأ أنت يا وحش... يا ست ليمونة ، أليست هذه فروتي؟ (يلبسها) ها

الفروة الآن تحت خط الزنار، أخشى الآن يا فروة أن تفقدي شعرك ، وإذا

بك فروة صلعاء(11).

ترينكولو: (برنجف برداً) دو دو... نحن نسرق على الخط ، إن تفضلتم فخامتكم .

ستيفانو: أشكر لك هذه النكتة . هاك ثوباً عنها ، فروح الفكاهة لن تبقى بدون

مكافأة ما دمت أنا ملك هذا البلد . «نحن نسرق على الخط» ضربة

فكاهية رائعة . هاك ثوباً آخر عنها .

ترينكولو: تعال يا وحش ، خفف يدك واسرق البقية .

كاليبان : لا أريد شيئاً منها . سنضيّع وقتنا ،

ونتحول كلنا إلى اوزات شجر، أو إلى قروود

بجباه منخفضة شنيعة .

ستيفانو: يا وحش ، استعمل أصابعك . ساعدنا في نقل هذه إلى حيث قريةٌ خمرية ،

وإلا طردتك من مملكتي .

هيا ، احمل هذه .

ترينكولو: وهذه .

ستيفانو: نعم ، وهذه .

(يحملونه تسمع أصوات صيادين . يدخل عدد من الأرواح في أشكال كلاب

سلوقية ، وتطاردهم من مكان لمكان ، بتحريض من بروسبيرو وآرييل .)

بروسبيرو: هاي ، جبل ، هاي !

آرييل : فضة ، الحق ذاك ، فضة !

بروسبيرو: عفيف ، عفيف ، هناك . . . طاغي ، هناك طاغي (12) !

(لآرييل) اسمع ، اسمع !

(يخرج كاليان وستيفانو وترينكولو راكضين والكلاب تطاردهم .)

إذهب ومر عفاريتي بأن تطحنَ مفاصلهم

بأشد الإنتفاضات ، وتقصّر عضلاتهم

بتشنجات الشيخوخة ، وترقّطهم بالقرص

أكثر مما ترقّط فهذا أو نمر .

آرييل : اسمع ! إنهم يجأرون .

بروسبيرو: اشبعوهم طراداً . . . في هذه الساعة ،

أعدائي جميعاً تحت رحمتي .

بعد قليل سأفرغ من جهودي كلها ، وأنت

ستتنفّس الهواء بملء حريتك . لبرهة أخرى

اتبعني ، وقدم لي خدمة أخيرة .

هوامش :

(1) إله الزواج .

(2) أي ملاك الشر . إذ يفترض أن لكل إنسان ملاك خير وملاك شر «يشيران عليه» فيما يفعل .

(3) الشمس ، التي تتمثل في عربة ملتهبة يسوق خيولها أبولو .

(4) القناعية تعريب لكلمة (masque)، وهي ضرب من التمثيلية الأرستقراطية . شاعت في القرنين السادس عشر والسابع عشر في إنكلترا، وكانت تقام في القصور ويشارك فيها ممثلون محترفون وهواة . كانت في الأصل تعتمد على الإيحاء والرقص ، ولكن أدخل فيها أيضاً ، فيما بعد ، الحوار والغناء . كانت تؤلف لها موسيقى خاصة ، وتخرج إخراجاً فخماً ، وتلبس فيها أزياء رائعة ، وتقام عادة للإحتفال بمناسبات الدولة الكبيرة ، ولا سيما عند زفاف إحدى أميرات البلاط . قدمت هذه القناعية ، مع بقية «العاصفة» عند زواج الأميرة اليزابث ، ابنة الملك جيمز الأول ، عام 1613 ، في القصر الملكي .

(5) أو «قزح» ، وهي رسولة الالهة جونو ، زوجة جوبيتر .

(6) الهة الزرع ، تعتمد القناعية هنا على طقوس الخصب .

(7) «ديس» أو «بلوتو» ، إله العالم السفلى - ومن هنا وصفه بالأعبر وقد أحب ابنة سيريس ، برسيفوني ، واختطفها إلى مقره في العالم السفلى . مما أغضب أمها .

(8) الإشارة هنا إلى الأميرة اليزابث وزوجها اللذين من أجلهما أقحمت «القناعية» على هذا النحو في «العاصفة» في نهاية 1612 أو مطلع 1613 . فتواجهما في هذا الوقت من السنة ، بجعل «ختام موسم الحصاد» موعداً معقولاً لهما يرزقان فيه بطفل .

(9) فلسفة بروسبيرو هي أن الحياة لحظة من حلم يقظة ، بين فترتين من نوم طويل .

(10) قد يعني هذا أن آرريل هو الذي لعب دور سيريس .

(11) في هذه العبارة والعبارة التالية ، في النص الأصلي ، لعب على لفظة line (خط) يستحيل نقلها إلى العربية . من معاني هذه الكلمة ، لدى البحارين على الأخص ، «خط الإستواء» ، وكان المعتقد أن من يقطع هذا الخط يفقد شعره . ومن معاني الكلمة أيضاً «خصر» ، ومن هنا كلمة «زنار» . طبعاً هذا اللون من الفكاهة لا يعني شيئاً لأحد اليوم ، ولو أنه كان مضحكاً لجمهوره قبل أكثر من 350 سنة .

(12) جبل ، فضة ، عنيف ، طاغى ، أسماء الكلاب التي يحرضها بروسبيرو وآرييل .

الفصل الخامس

المشهد الأول

(بروسبيرو وآرييل يدخلان الكهف ويعودان ، بعد وقفة قصيرة . بروسبيرو ،

يجيء مرتدياً عباءته السحرية .)

بروسبيرو : خطتي الآن تلتئم في شكلها النهائي :

رقاي السحرية لا تُفَقِّص ، أرواحي تطيعني ، والزمن

يسير منتصب القامة (1) . . . ما الساعة ؟

آرييل : السادسة يا مولاي ، وهي الساعة التي

قلت إننا فيها سنكفّ عن العمل .

بروسبيرو : أجل ، قلت ذلك

عندما أقمت العاصفة أولاً . . . قل لي ، يا روحي

كيف حال الملك وأتباعه ؟

آرييل : إنهم محبسون معاً

على النحو الذي أمرت به ،

كما تركتهم - كلهم ، يا سيدي ، سجناء

في بستان الليمون الذي بقي كهفك الأنواء ،

وما بوسعهم أن يتزحزحوا حتى تطلقهم أنت : والملك

وأخوه، وأخوك، ثلاثتهم هناك وقد أخذ الجنون منهم،
والآخرون ييكونهم

وملؤهم الأسى والخوف، ولا سيما

ذاك الذي وصفته يا مولاي بـ «السيد الشيخ الطيب» غونزالو.

على لحيته تجري دموعه كما تجري قطرات الشتاء

من أطراف السطوح القصبية . . . لقد فعلت رقيتك فيهم أشد فعلها،

حتى أنك لو أبصرتهم الآن، لرقت

منك عواطفك .

بروسبيرو: أهذا ما تظن يا روح؟

آرييل: لو كنت أنساً، لرقت عواطفني أنا، يا مولاي .

بروسبيرو: وعواطفني لسوف ترقّ كذلك .

أتشعر أنت وتحسّ بلاياهم - وما أنت إلا من هواء -

وأنا الذي من جنسهم، ويحده مذاقهم مذاقي،

ومثلهم أتلوّع، لا أتأثر بحنوّ أكثر منك؟

ورغم أن كبائر ظلمهم أصابت الحشاشة مني،

فإني، بعقلي الأنبل، أقف موقفاً

ضدّ سخطي وعنفي: فالفعلة الأندر

هي فعلة الفضيلة، لا الانتقام، وما داموا قد ندموا،

فإن مجرى غاييتي لن يتعدى ذلك

ولو بنظرة شرراء واحدة. اذهب، واطلق سراحهم، آرييل

لسوف أفصّ رقاى، وأعيد لهم رشدهم،

فيثوبون إلى أنفسهم .

آرييل : سأحضرهم يا مولاي . (يختفي)

بروسبيرو: (يرسم دائرة بعصاه) يا جنّ التلال ، والجداول ، والبحيرات الراكدة والأجام .

وأنتم يا من على الرمال بأقدام لا وقع لها

تطاردون نبتون في جزره ، وتهربون منه

حين يعود : أنتنّ يا أشباه العرائس ، اللواتي

تصنعن في ضوء القمر خصلات خضراء حوامض

لا تقضم منها النعاج : وأنتم الذين تتلهون

بصنع فطر منتصف الليل ، فتفرحون

لسماعكم الناقوس الشجي يعلن هبوط الظلام :

بعونكم ، رغم ضعفكم كخدام ، أعمتُ أنا

شمس الظهيرة ، واستدعيت الرياح المتمردة ،

وبين اليمّ الأخضر والقبة الزرقاء

أطلقت حرباً مزججة : للرعْد القاصف الرهيب

أعطيت ناراً ، وسنديانة جويتر المتينة شققها

بقذيفته⁽²⁾ : والطود الراسخ القاعدة

هزّته ، ومن الجذور اقتلعتُ

أشجار الأرز والصنوبر . . القبور أمرتها

فأيقظت نيامها ، وفغرت ، وأطلقتهم -

بفني الجبار . . ولكن هذا السحر العتي

ها أنا ذا أرفضه . وحالما أحصل على
 موسيقى سماوية - أطلبها الآن - (يرفع عصاه)
 لأحقق إرادتي في عقولهم
 (وهذه رقية هوائية لها) ، سأكسر عصاي ،
 وأدفنها على عمق قامات في الأرض ،
 وكتابي سأغرقه في أغوار
 لم يدركها قط مسبار .

(موسيقى مهيبه ؛ هنا يدخل آرييل أولاً ، ثم الوزو بحركة
 جنوبية ، يرافقه غونزالو ، ثم سباستيان وأنطونيو على
 الغرار نفسه ، يرافقهما أدريان وفرانيسكو ، يدخلون
 جميعاً في الدائرة التي رسمها بروسبيرو ، وهناك يقفون
 مسحورين ؛ يرقبهم بروسبيرو ، ثم يتكلم .)

بروسبيرو: (لألونزو أولاً): ألا شفى النغمُ الشجيُّ عقلك -
 والنغم خير مريح للذهن إذا تغلغل -
 هذا الذي يفور الآن سُدىً في جمجمتك . هناك قف ،
 يصدّك السحر . . .

غونزالو ، أيها الرجل القدسي الشريف ،
 عيناى تشاركان ما تريان في عينيك ،
 وتذرفان معها القطرات . إن الرقية في انحلال سريع .

وكما يتسلل الصبح إلى الليل ،
 مدياً الظلام ، هكذا تبدأ حواسهم المستيقظة

بطرد أبخرة الجهل التي غَشِيَتْ
 صفاء عقولهم . . . يا غونزالو الطيب ،
 حافظي الأمين ، والسيد الوفي
 لذلك الذي تتبعه ، على حسن صنيعك
 لأجزلنّ لك العطاء ، قولاً وفعلاً . . . وأنت يا الونزو ،
 بأشدّ القسوة عاملتني أنا وابتتي .
 وكان أخوك مُعيناً على فعلتك -
 وها أنت الآن يا سباستيان تُقرص قرصاً جزاء عليها .
 وأنت يا أخي ، يا لحمي ودمي ، يا من احتضنت الطموح
 وطردت الضمير وشيم الطبيعة - وأردت ، مع سباستيان .
 (الذي يعاني لذلك الآن أشدّ القرص في داخله) ،
 أن تقتل مليكك - إني أغفر لك ،
 وأن تكن شاذّ الطبيعة . . . جعل إدراكهم
 يرتفع ، ومدّه القادم
 سيملاً قريباً شطآن العقل التي
 هي الآن طينية ملوثة . ما من أحد فيهم
 حتى الآن ينظر إليّ ، أو يريد معرفة من أنا .
 آرييل ، أحضر إليّ القبعة والسيف من حجرتي .

(يسرع آرييل إلى الكهف)

سأكشف عني ، وأقدم نفسي
 كما كنت فيها مضى ، دوق ميلانو . أسرع أيها الروح ،

ستكون حراً عما قريب .

(يعود آريل ، ويساعد بروسبيرو في تبديل ملابسه ، وهو يغني) .

آريل : (يغني)

حيثما النحلة ترشف

أرشف أنا مثلها

في تويج الأقحوانة مضجعي ،

فيه أرقد حينما اليوم يصبح .

وعلى متن وطواط أطيّر

ألحق بالصيف طروباً مرحاً .

طروباً مرحاً سأحيا الآن

تحت النور العالق بالفنّ .

بروسبيرو: عفاك ، يا آريل الرهيف . لسوف أفتقدك ،

ورغم ذلك سأمنحك حرّيتك . هكذا ، هكذا .

(إذ يساعده آريل في ارتداء ثيابه)

إلى سفينة الملك ، وأنت ما زلت غير مرئي -

هناك ستجد الملاحين نياماً

في العنابر: عندما يستيقظ الرّبان والبحّار الأول

أدفع بهما إلى هذا المكان .

وفي الحال ، أرجوك .

آريل : إني أشرب الهواء أمامي ، وأعود

قبل أن يخفق نبضك مرتين .

(يختفي)

غونزالو: العذاب، والهّم، والعجب، والذهول، كلها
تقيم هنا: ألا هدتنا قوة ما في السماء
خروجاً من هذا البلد المحيف .
بروسبيرو: أنظر يا سيدي الملك،
دوق ميلانو المظلوم، بروسبيرو!
ولمزيد التوكيد على أن الذي يخاطبك الآن
أمير حيّ، فإني أعانق جسمك،
وأرحب بك وبحاشيتك
أخلص الترحيب .
الونزو: إن كنت إياه أم لا،
أو إن كنت شيئاً مسحوراً يسخر مني،
كما سخر مني مؤخراً، فلست أدري . نبضك
يخفق، كما في اللحم والدم . ومنذ أن رأيتك،
خفت عني ابتلاء ذهني الذي
أخشى أن جنوناً ما أصابني به . لا بد لهذا -
أن يكن حقاً واقعاً - من قصة غريبة عجيبة .
إني أعيد لك دوقيتك، وأتوسل إليك
أن تغفر لي إساءاتي . . . ولكن كيف اتفق لبروسبيرو
أن يكون حياً يرزق، وهنا؟
بروسبيرو: (لغونزالو): أولاً، يا صديقي النبيل،
دعني أعانق شيخوختك، أنت الذي شرفه

أعلى من كل حدّ وقدر.

غونزالو: لن أقسم إن كان هذا
حقيقياً، أم لا.

بروسبيرو: ما زلتُم تذوقون

بعض غرائب الجزيرة، التي لن تدعكم

تجزمون بشيء. أهلاً وسهلاً، أيها الصاحب جميعاً

(جانبا لسباستيان وأنطونيو) أما أنتما، يا زوجاً من السادة، لو أردت لقذفتكما
بعبوس جلالته،

وبرهنت أنكما خائنان. ولكنتي في هذه اللحظة
لن أشي بأحد.

سباستيان: (لأنطونيو): الشيطان يتكلّم فيه.
بروسبيرو: كلا... .

فأنت، يا أخبث السادة - لو دعوتك بأخي
لأصيب حتى فمي بعدوى - إني أغفر لك
أشنع سيئاتك، كلها، وأطالبك
بدوقيتني، التي أعلم أنك مجبراً
ستعيدها.

الونزو: إن كنت حقاً بروسبيرو،
أسرد لنا تفاصيل بقائك حياً،

وكيف لقيتنا هنا، نحن الذين قبل ساعات ثلاث

ألقي بنا حطام السفينة على هذا الشاطئ، حيث فقدت

(ما أمضى حدّ هذه الذكرى !)

ابني العزيز فرديناند .

بروسبيرو: عميق حزني لذلك يا مولاي .

الونزو: إنها خسارة لا تعوّض ، والصبر

يقول إنها أكبر من قدرته على الشفاء .

بروسبيرو: أغلب الظن أنك

لم تطلب من الصبر إسعافه ، وهو الذي ببركته

مدّني بعون ناجع في خسارة مماثلة ،

فرضيت وقتعت .

الونزو: أنت ، في خسارة مماثلة؟

بروسبيرو: عظيمة مثلها ، ومؤخراً كذلك ، وما بوسعي

من طاقة على التخفيف منها أضعف بكثير

مما قد تستجمعه أنت تعزية لك . لأنني

فقدت ابنتي .

الونزو: ابنتك؟

أيتها السماء ! ليتهما كليهما حيّان في نابولي ،

ملكاً وملكة هناك ! ولو كانا ، لتمنيت

أن أكون عمرغاً في ذلك القاع الطيني

حيث يرقد ولدي . . . متى فقدت ابنتك؟

بروسبيرو: في هذه العاصفة الأخيرة . . . أرى أن هؤلاء السادة

أذهلهم هذا اللقاء ، فراحوا

يلتهمون عقلهم ، رافضين أن يحسبوا
 أن أعينهم تصدُق في فعلها . . . كلماتي هذه
 أنفاس طبيعية : ولكن مهما تكونوا
 قد أُلقي بكم عن وعيكم ، ثقوا
 بأنني أنا بروسبيرو ، أنا ذلك الدوق بعينه
 الذي قُذِف به من ميلانو ، فانتَهت به الغرائب
 إلى هذا الشاطئ الذي تحطمت عليه ،
 ليصير سيدها . حسبي الآن هذا ،
 لأن ثمة تاريخاً ليوم بعد يوم ،
 ليس رواية لساعة الفطور ، ولا هو
 يصلح للقاء الأول هذا .
 أهلاً بك يا مولاي .
 هذه الحجرة بلاطي . هنا قليل حشَمي ،
 وفي الخارج ليس لي من رعية . أرجوك ، أنظر إلى الداخل .
 بما أنك قد وهبتي دوقيتي من جديد ،
 فإني أرد لك الجميل بمثله -
 فأكشف لك ، على الأقل ، عن عجب يرضيك
 بقدر ما أرضيتني دوقيتي .

(يكشف بروسبيرو عن فرديناند وميراندا ، وهما يلعبان الشطرنج)

ميراندا: سيدي الحلو ، إنك تخادعني .

فرديناند: لا يا حبيبتي العزيزة ،

لن أخادعك ولو أُعطيْتُ الدنيا كُلُّها .

ميراندا: بلى ، ولكن لقاء عشرين مملكة ، لك أن تشاحن ،
واعتر أنا ذلك لعباً منصفاً .

ألونزو: إذا تبين أن هذه

رؤيا من رؤى الجزيرة ، أكون قد فقدت
ابناً حبيباً مرتين ،

مباستيان : معجزة خارقة !

فرديناند : (لأبيه): لئن تتهدد البحار ، فإنها رحيمة -

لقد لعتها دونها سبب . (يركع)

ألونزو: (معانقاً ابنه): والآن ، فلتُحِطْ بك

من كل جانب ، بركاتُ أبٍ هزه الفرح .

إنهض وقل لي كيف جئت هنا؟

ميراندا: يا للروعة !

ما أكثر المخلوقات الحسنة التي هنا!

ما أجمل البشرية! ما أبدع العالم الجديد ،

الذي فيه أناس كهؤلاء!

بروسبيرو: (مبتساً بحزن) إنه جديد عليك .

ألونزو: ما هذه الفتاة التي كنت تلعب معها؟

أقدم صداقة لك لا يمكن أن تبلغ ثلاث ساعات :

هل هي الالهة التي فرقت بيننا

وجمعتنا معاً هكذا؟

فرديناند: أبي، إنها بشر فان،
 ولكن العناية الخالدة جعلتها لي.
 اخترتها عندما لم يكن بوسعي أن أطلب من أبي
 نصيحته، بل ما حسبت أنه في قيد الوجود. إنها
 ابنة دوق ميلانو الشهير هذا،
 الذي كثيراً ما سمعت بصيته
 ولكن لم أره قط من قبل.
 منه جاءتني حياة ثانية، وأباً ثانياً
 جعلته لي هذه السيدة.
 الونزو: وأنا أبوها الثاني.
 ولكن يا لغرابة الأمر: عليّ
 أن أطلب الغفران من ولدي.
 بروسبيرو: حسبك هنا، يا مولاي.
 لا تدعنا نثقل الذاكرة
 بهمّ راح وانقضى.
 غونزالو: لقد بكيت في داخلي،
 وإلا لتكلمت قبل هذا... أنظري من العُلى أيتها الآلهة،
 وأنزلي على هذين الزوجين تاجاً مباركاً،
 لأنك أنت التي خططت الطريق
 التي أتت بنا هنا.
 الونزو: أقول آمين، يا غونزالو.

غونزالو: هل طرد صاحب ميلانو من مدينته ، لكيما
يصبح نسله ملوك نابولي؟ آه افرحوا
أشدّ مما اعتدتم أن تفرحوا ، وانقشوا هذا
بالذهب على الأعمدة الباقية : «في رحلة واحدة
وجدت كلاريل زوجاً لها في تونس ،
ووجد أخوها فرديناند زوجة له ،
حيث كان قد ضاع . . . وبيروسيرو وجد دوقيته
في جزيرة معدمة ، ولكننا جميعاً وجدنا أنفسنا ،
عندما لم يبق أحد مُلكاً لنفسه . »
الونزو: (لفرديناند وميراندا) : أعطيانِي يديكما .
وليحتضن الحزنُ والفجيعةُ قلبَ كل من
لا يتمنى لكما الفرح .
غونزالو: آمين ، آمين .

(يدخل آرييل ، يتبعه الرّبّان والملاح مندهشين)

آ ، أنظريا مولاي ! هنا المزيد منا !
لقد تنبأت ، إن كان ثمة في البرّ مشنقة ،
فإن هذا الغلام لن يغرق . (للملاح) ها يا أبا الكفر ،
شتمتَ نعمة الله في السفينة ، أما من شتِمة على الشاطئ ؟
أما من فم لك في البرّ ؟
ما الخبر ؟

ملاح: أروع خبر هو أننا وجدنا ملكنا وحاشيته

في أمان ، ويليه روعة أن سفيتنا
التي قبل ثلاث ساعات فقط اعتبرناها عظمة ،
سائلة الآن ، ومهيأة ، ورافعة أبدع القلوع كما كانت
أولاً عندما ركبنا بها البحر .

بروسبيرو: يا روحي ، الكثير الحيل !
الونزو: ما هذه بالأحداث الطبيعية . إنها تتصاعد
من غريب إلى أغرب . قل ، كيف جئت هنا ؟
ملاح: لو حسبت يا مولاي أنني في كامل يقظتي ،
لحاولت جهدي أن أخبركم . . . كنا في نومنا كالموتى
وقد حشرنا - كيف ، لست أدري - في العنابر ،
وإذا ، فجأة ، بأصوات عديدة غريبة ،
أصوات زججرة ، وزعيق ، وولولة ، وقعقة سلاسل ،
وأصوات متباينة أخرى ، رهبة كلها ،
توقظنا ، وتطلقنا أحراراً على الفور ،
حيث أبصرنا ، بكل زيتنها ونضارتها ،
سفيتنا الملكية العامرة ، الفخمة ، وريثانا
يقفز لمشاهدتها . . . وفي رمشة عين ، رعاكم الله ،
كما في حلم ، فصلنا عن الآخرين
وجيء بنا هنا مشلولي الإرادة .

آرييل : (هامساً في أذن بروسبيرو) : هل أحسنتُ صنعاً ؟
بروسبيرو: أبدعت ، يا أخفَّ روح ! سأحررك .

الونزو: إنها متاهة غريبة لم يطأ مثلها إنسان؛
وفي هذا الأمر ما هو أكثر مما تضطلع به
الطبيعة أبداً. لا بد لنا من موحى
يصحح معرفتنا.

بروسبيرو: سيدي، ومولاي،

لا ترهق ذهنك بالحووم حول

غربة هذا الأمر. ففي وقت فراغ ملائم

ننصرف إليه كلياً عما قريب، سأفسر لك

كلا من هذه الأحداث التي وقعت -

ولسوف يبدو لك التفسير محتملاً. فامرح

حتى ذلك الحين، وليكن كل شيء عند حسن ظنك.

(لآريل) تعال هنا، أيها الروح،

أطلق سراح كاليبان ورفيقه.

فك الرقبة... (يذهب آريل) كيف حال مولاي الكريم؟

هناك بعض الفتية من حاشيتك.

ما زالوا مفقودين، ولا تذكرهم.

(يدخل آريل، يسوق أمامه كاليبان وستيفانو وترينكولو، والأنخيران

يرتديان الثياب المسروقة)

ستيفانو: ليتدبر كلُّ امرئ شؤون الآخرين، ولا تدع أحداً

يتدبر لنفسه. كل شيء نصيب. تشجع،

أيها الوحش الشكس، تشجع!

ترينكولو: إن كان ما ألبس في رأسي باصرتين صادقتين،
فإن هذا مشهد جميل.

كاليبان: يا سيتيوس! إنها أرواح رائعة حقاً.

ما أبدع سيدي! أخشى

أنه سيعاقبني.

سباستيان: هاها!

ما هذه المخلوقات يا سيدي أنطونيو؟

أتشترها النقود؟

أنطونيو: محتمل جداً. أحدها

سمكة ظاهرة، ويمكن تسويقها ولا ريب.

بروسبيرو: أنظروا إلى شارات هؤلاء الرجال، يا سادتي،

ثم قولوا هل هم حقيقيون... هذا الوغد المسوخ،

كانت أمه ساحرة، بل ساحرة قوية

تستطيع أن تتحكم بالقمر، وتسبب المد والجزر،

وتتعامل بأوامرها خارج سلطاتها.

هؤلاء الثلاثة سرقوني، وشبه الشيطان هذا -

لأنه شيطان نغل - تأمر معها

على قتلي: اثنان من هؤلاء الرجال

لا بد أنكم تعرفونهما وتعترفون بهما. أما مخلوق الظلام هذا

فإنني أقر أنه لي.

كاليبان: سأقرض حتى الموت!

الونزو: أليس هذا ستيفانو، خادمي السكير؟
 سباستيان: إنه سكران الآن. من أين له الخمر؟
 الونزو: وهذا ترينكولو، مستوياً يتطوطح! أين تراهم
 وجدوا هذا الشراب العظيم الذي حرمهم؟
 كيف اتفق لك أن تتخلل هكذا؟
 ترينكولو: تمخلت وما زلت منذ أن رأيتك آخر مرة، وأخشى أن الخل لن يخرج من
 عظامي أبداً. ولن أخشى حطّ الذباب (3).

(ستيفانو يثن)

سباستيان: ما بك الآن يا ستيفانو؟
 ستيفانو: آخ، لا تلمسني! أنا لست ستيفانو، بل أنا التشنّج.
 بروسبيرو: يا أنت، أتريد أن تكون ملك الجزيرة؟
 ستيفانو: لكنت ملكاً مؤزّماً إذن.
 أالونزو: (مشيراً إلى كاليان): هذا أغرب مخلوق وقعت عليه عيناى.
 بروسبيرو: وهو مختل النسب في أخلاقه
 إختلاها في شكله. . . هيا، يا أنت، إلى حجرتى!
 وخذ معك رفيقك. فإذا أردت
 صفحي، رتبها أجمل ترتيب.
 كاليان: نعم، سأفعل ذلك. وسأعقل بعد اليوم
 وأطلب الرأفة. أيّ حمارٍ ثلاث مراتٍ مزدوجاً
 كنتُ أنا، لأحسب هذا السكير إلهاً!
 وأعبّد هذا الأبله الغبي!

بروسبيرو : هيا ، تحرّكوا .

الونزو : انصرفوا - وأعيدوا الأمتعة إلى حيث وجدتموها .

سباستيان : أو قل سرقتموها .

(ينسحب كاليبان ورفيقاه)

بروسبيرو : مولاي ، إني أدعو جلالتكم وحاشيتكم

إلى حجرتي الفقيرة : حيث تستريحون

لهذه الليلة وحدها ، وسأقضي بعضها

بحديث لا أشك في أنه سيجعلها

تمرّ بسرعة . . . قصة حياتي

وتفاصيل الأحداث التي جرت

منذ أن جئت هذه الجزيرة . وفي الصباح

سأخذكم إلى سفيتكم ، وهكذا إلى نابولي ،

حيث آمل أن أرى زفاف

حبيبنا هذين تكرّسه الشعائر ،

ومن ثمّ سأعود بنفسي إلى ميلانو بلدي ، حيث

يكون كلّ خاطر ثالث في بالي هو قبري .

الونزو : إني أتوق

إلى سماع قصة حياتك التي ، ولا ريب ،

ستأخذ الأذن بغرابتها .

بروسبيرو : سأروي كل شيء .

وأعدكم ببحر رائق ، ورياح سانحة

وإقلاع ينأى بكم بعيداً
 عن أسطولكم الملكي . محبوبي آرييل ،
 هذه مهمتك : ولتكن بعد ذلك حرّاً
 مع العناصر، والوداع لك . . .
 (منحنياً للجماعة) تفضلوا، اقترّبوا .

(يدخلون جميعاً الكهف ، وتنزل الستارة)

ختم

(يلقيه بروسبيرو)

رقاي السحريةُ الآن رميتها،
وما بي من قوة سوى قوتي أنا،
وما أوهنها! صحيحُ الآن
أنّ عليّ أن تحبسوني هنا
أو ترسلوني إلى نابولي .
وبما أنني استرددت دوقيتي
وعفوت عن مخادعي ، لا تدعوني
أقيم في هذه الجزيرة الجذباء ، بسحركم
بل أعتقوني من قيودي
بعون من كريم أكتفكم (4) .
على أشرعتي بوادع الأنفاس منكم
أن تمتلئ ، وإلا خاب مسعاي الذي
كان : أن أمتعكم . والآن تعوزني
الأرواح للتنفيذ ، والفن للسحر -

ونهايتي هي اليأس : إلّا
 إذا أنقذتني صلاتكم
 وهي شديدة النفاذ حتى
 لتدرك الرحمة نفسها ،
 وتصفح عن السيئات كلها .
 فكما تودون غفراناً لذنوبكم ،
 بسماحكم حرّروني .

هوامش :

- (1) لأنه ما عاد مثقلاً بالهموم .
- (2) تعتبر السنديانة في الأساطير الإغريقية شجرة جوبيتر ، كما أن الصواعق تضرب بأمر منه .
- (3) تحليل اللحم يمنع حظّ الذباب عليه .
- (4) يقصد أيضاً تصفيق الجمهور .

الفهرس

175	العاصفة
179	الفصل الأول
179	المشهد الأول
183	المشهد الثاني
215	الفصل الثاني
215	المشهد الأول
233	المشهد الثاني
243	الفصل الثالث
243	المشهد الأول
249	المشهد الثاني
257	المشهد الثالث
265	الفصل الرابع
265	المشهد الأول
283	الفصل الخامس
283	المشهد الأول
303	ختام

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية

وحدة الرغبة، الجزائر

2007

Achevé d'Imprimer sur les Presses

ENAG, Réghaïa

- Algérie -

Bp. 75 Z.l. Réghaïa

Tél. : 021 84 80 10/84 86 11

مكبث

متبوع بـ:
العاصفة

ويقدم لنا شكسبير شخصيات خالدة. لا نعدم أبدا العثور عليها في كل زمان ومكان، فنجدته يرافق - بصفته شاعرا - الرغبات الجامحة بصفة لا تخلو من إعجاب وإفتتان، وكأنه يشعر بالعطف عليها كما لو أنها قد إتخذت شكلا حيا. فيرعى نشأتها ويلازمها حتى تنفجر كالعاصفة بكل ما فيها من بروق ورعود.

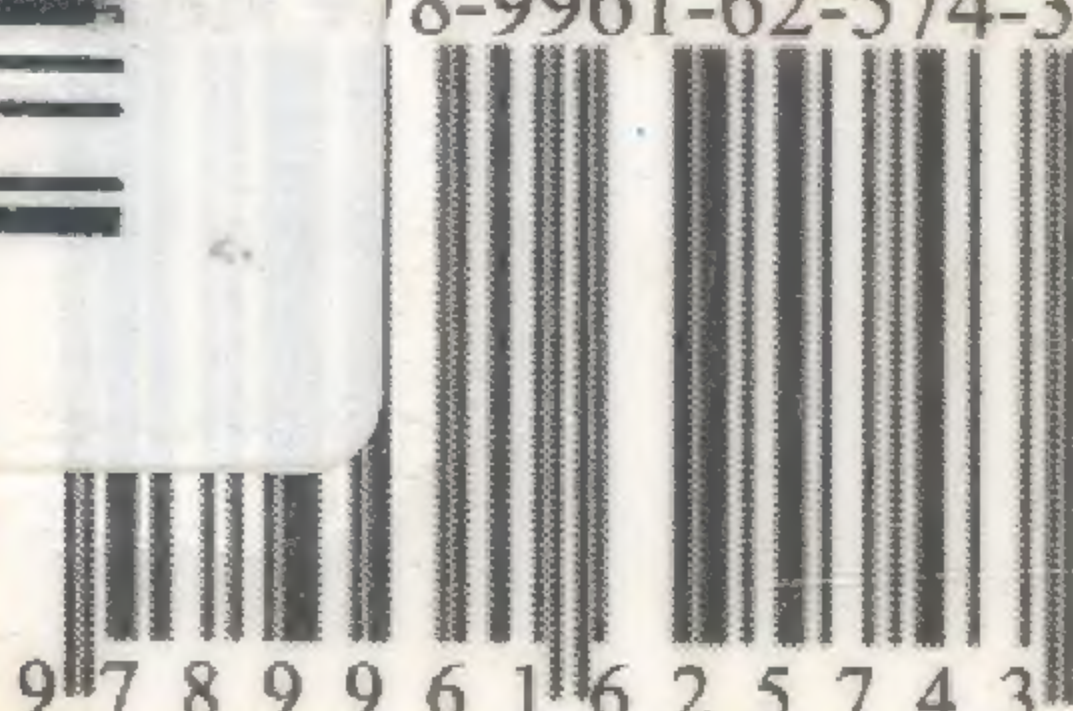
أبو العيد دودو

Bibliotheca Alexandrina



0548042

78-9961-62-574-3



9 789961 625743

